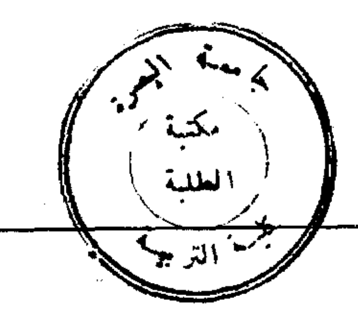
ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق

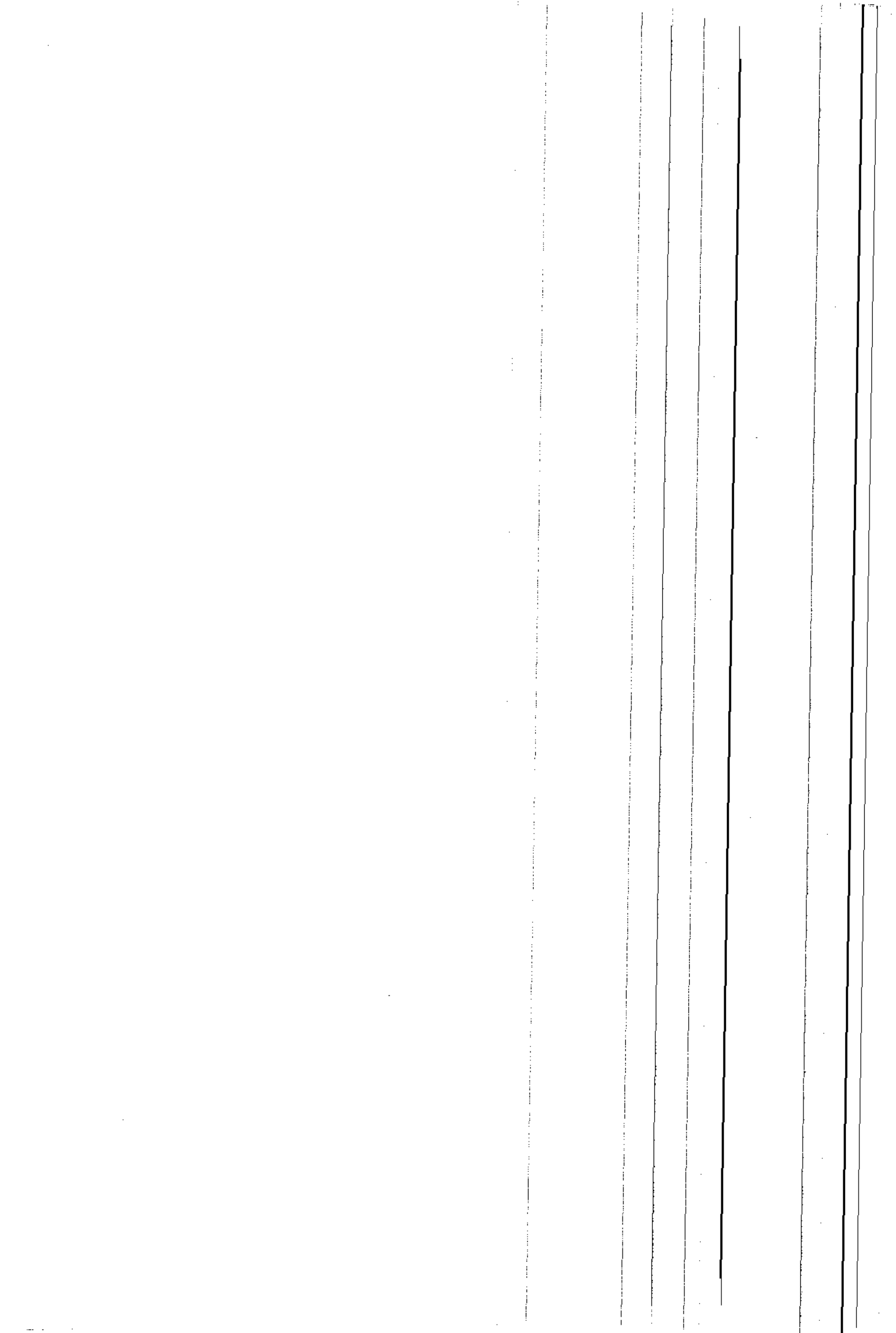
الصراعات .. و التحولات

« دراسة وثائقية تحليلية لثورة ٨ شباط (١٤ رمضان) ١٩٦٣ في العراق والصراعات التي سبقتها ، والتحولات التي رافقتها وأعقبتها.»

علي خيون



الطبعة الاولى

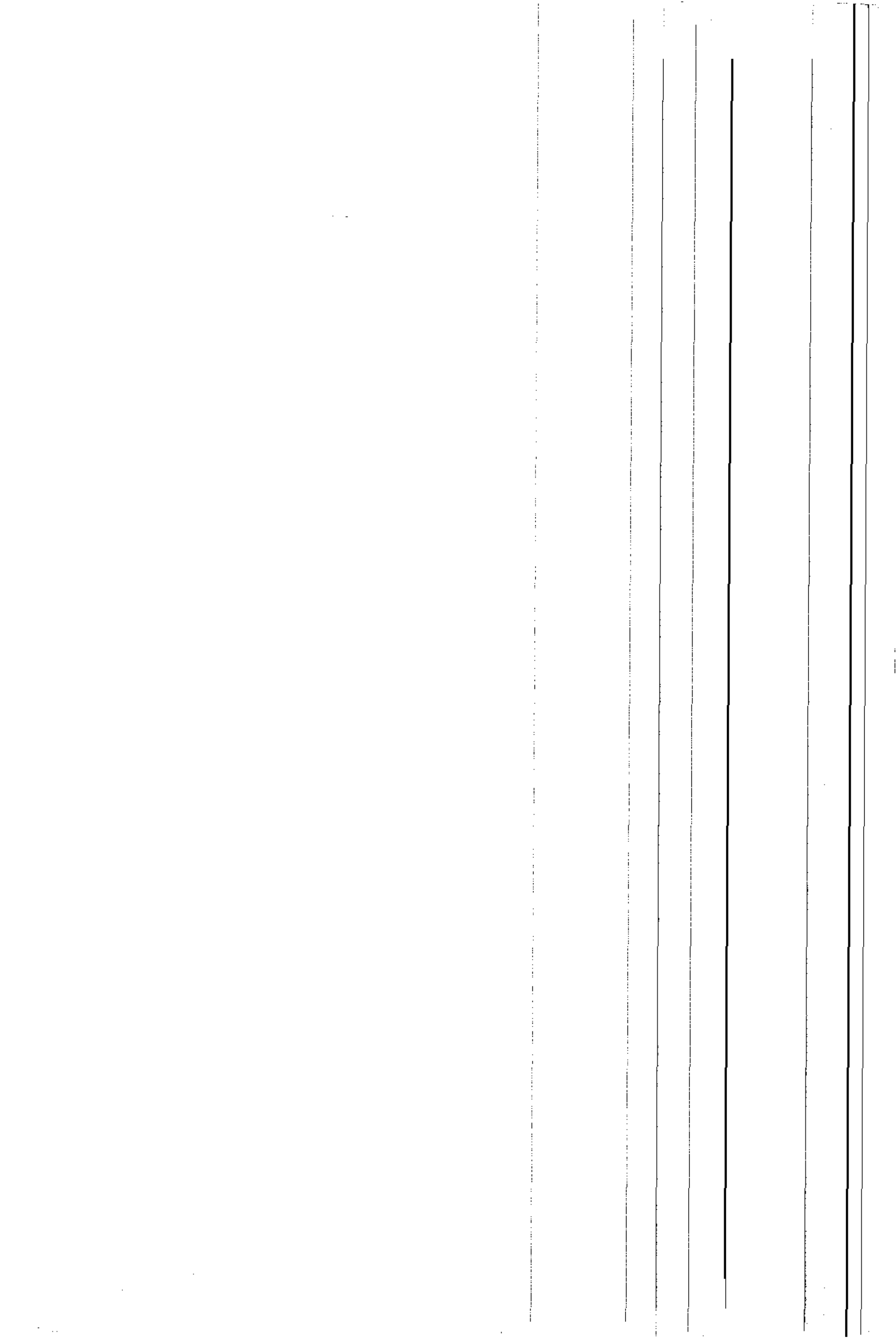


الإهداء

.. إني ومن منطلق الوفاء ، مدين بالشكر بوجه خاص لرجل رحل مبكراً وبقيّ بيننا مثلاً وقيماً وأخلاقاً قلّ نظيرها ، هو الفريق الأول الركن عدنان خيرالله نائب القائد العام للقوات المسلحة وزير الدفاع الذي تشرفت بالعمل سكرتيراً صحفياً له لعدة سنوات كنت فيها شاهداً على سيف مرهف لم تثلمه الملمات ، وفارس مقدام في حرب ضروس ، ومناضل صلب في ثورة عظيمة كان هو أحد أبرز منفذيها فجاء هذا المشروع فكرة من أفكاره النيرة . .

فإلى روحه الطاهرة أُهدي ما كتبت عن ثورة ٨ شباط المجيدة .

المؤلف



المقدمة

كان الاقبال الذي حظي به كتاب (دبابات رمضان)(*) من لدن القارىء الكريم ، قد وضعني ازاء مسؤولية من نوع جديد ، مسؤولية الباحث الذي ينتظر منه القارىء الشيء الكثير ، فوجدتني ــ وفاء للقارىء وخدمة للحقيقة ــ أعود مرة أخرى الى مصادري ، أواصل الليل بالنهار فيما تيسر لي من وقت كي أنجز بحثاً وثائقياً تحليلياً شاملاً عن الصراعات العنيفة التي سبقت ثورة ٨ شباط (١٤ رمضان) ١٩٦٣ والتحولات التي رافقتها وأعقبتها حتى قيام ثورة ١٧ ــ ٣٠ تموز ١٩٦٨ .

وهو بحث جديد في مادته وليس تنقيحاً للبحث الأول ، وليس اعادة نظر فيه ، وإنما شقيق توأم له ــ إن صح التشبيه والتعبير ــ فالذي يجمع بينهما ، هو صلة الرحم ــ بالموضوع ــ و ــ الفترة الزمنية ــ ويبقى لكل منهما ، شخصيته المستقلة ، رغم التشابه الكبير بالملامح .

ولقد شجعني في ذلك ، عدد كبير من القراء والأصدقاء ممن طالعوا الكتاب ، وبعثوا برسائل أو اتصلوا هاتفياً فإليهم جميعاً الشكر والثناء والعرفان .

آملاً أن يجد القارىء والباحث ما يفيدهما من هذه الدراسة التي لن تكون كاملة غنية إلا بالمزيد من البحوث لطلبة علم متفرغين .

وحسبي انني قدمت في هذه الأوراق خدمة لتاريخ بلدي في اختياري أشد فتراته حساسية واضطراباً ليكون درساً من دروس حياتنا للقادم من الزمن، وهل

(*) دبابات رمضان ـ الطبعة الأولى لسنة ١٩٨٨ ، ط ٢ ـ ١٩٨٩ ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد

أبلغ من التاريخ ، وأكثر قدرة على انارة الطريق أمام الجيل الجديد ليعرف كيف يحافظ على وحدته وصلابته وشخصيته الوطنية والقومية ازاء محاولات التفتيت والتصدع والانشقاق والضياع.

يبقى لي أن أعتذر للقارىء عن أية ثغرة في هذا الكتاب ، فهو بحث جريء وصريح فيما يطرح من موضوعات وما يكشف من أسرار ، اعتمدت فيه ما تيسر من مصادر وشهادات لالقاء الضوء على الحياة السياسية في القطر العراقي منذ انبثاق الجمهورية الأولى في ١٤ تموز ١٩٥٨ مروراً بثورة ١٤ رمضان (٨ شباط) ١٩٦٣ ــ موضوع بحث الكتاب وحتى قيام ثورة ١٧ ــ ٣٠ تموز ١٩٦٨ ، في ربط حي يتيح للقارىء الذي لم يعش الأحداث ، رسم صورة واضحة لها ، ويجعل القارىء الذي عاشها يستعيد أيامها بإدراك أشد ووعي أعمق.

ولقد قسمت مادة الكتاب الى أثني عشر فصلاً ، تناولت في الفصل الأول من هذا الكتاب قيام الجمهورية العراقية وطبيعة النظام الذي قاده عبدالكريم قاسم والتأثيرات السياسية والاجتماعية وردود الأفعال العربية والدولية التي سبقت قيام ثورة ١٤ رمضان (٨ شباط) ١٩٦٣ ، وتناولت في الفصل الثاني تناقضات ثورة ١٤ تموز والصراع السياسي ومحاولات التخلص من عبدالكريم قاسم عبر انتفاضة الشواف ومحاولة التصدي في (رأس القرية).

وخصصنا الفصل الثالث لكشف طبيعة الحكم العسكري وتناقضاته وما أفضى إليه من مشكلات. وأفردنا الفصل الرابع للتمعن في شخصية عبدالكريم قاسم والآراء التي قيلت في شخصه.

وأمعنا النظر في الفصل الخامس في العوامل الرئيسة التي ساهمت في القيام بثورة ٨ شباط ١٩٦٣.

وشرحت في الفصل السادس نشاط حزب البعث العربي الاشتراكي

الممهـد للقيام بـالثورة مـع التهيؤ والتحضيرات المتخـذة آنذاك لتفجيـرها ، أما الفصل السابع فقد تحدثنا فيه تفصيلياً وبشهادة المنفـذين الفعليين عن خـطة التنفيذ ونهاية قاسم.

وتابعنا في الفصل الثامن انجازات الثورة وصعوبات الحكم خلال تسعة أشهر التي سبقت الردة (انقلاب عبدالسلام عارف) ، وفي الفصل التاسع تحدثنا عن اختيار عبدالسلام عارف والانشقاق الذي أصاب منظمـة الحزب في العراق يومذاك مما مهد لردة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ التي أفردنا لها الفصل العاشر.

وفي الفصل الحادي عشر تناولنا ملامح العهد العارفي الأول وشخصية عبدالسلام عارف والعهد العارفي الثاني حتى قيام ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ .

وخصصنا الفصل الثـاني عشر للوقـوف على تجـربة ٣٠ تمـوز ١٩٦٨ التي صححت بداية مسار ثورة (١٧ تمـوز) وعالجنـا موضـوع أزمة القيـادة والدروس المستخلصة من التجارب المريرة التي مرت على العراق منذ ١٤ تموز ١٩٥٨ وحتى ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ .

إن اتساع الفترة التي درسناها جاءت نتيجة اعتقادنا ، ان دراسة (ثورة رمضان) منذ انبثاقها وحتى إذاعة البيان ، ستبـدو دراسة ضيقـة ومبتسرة ، ولذلك ذهبنا الى مانعتقده صحيحاً في ان تلك الثورة كانت (ميـزاناً) لفتـرة امتـدت من ١٩٥٨ وحتى ١٩٦٨ حيث كـان (نجـاحهـا) رد فعـل ثـوري جماهيري على انحراف ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وكان (اخفاقها) لقاح ومصل لضمان نجاح ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ .

وعلى هذا الأساس جاء اتساع منهج البحث الذي احتوى تغطية شاملة لتلك الفترات بغية التوصل لفهم عميق لمعنى انبثـاق ثورة ٨ شبـاط ١٩٦٣ ومعنى الحديث عنها ودراستها بجدية وموضوعية .

وغاية ما نتمنى من هذا الجهد المتواضع ، ان يكون مفيداً في مساهمته لدراسة تلك الثورة الكبيرة بموضوعية وأمانة تتفقان والمنهج الجديد في قراءة ودراسة التاريخ . .

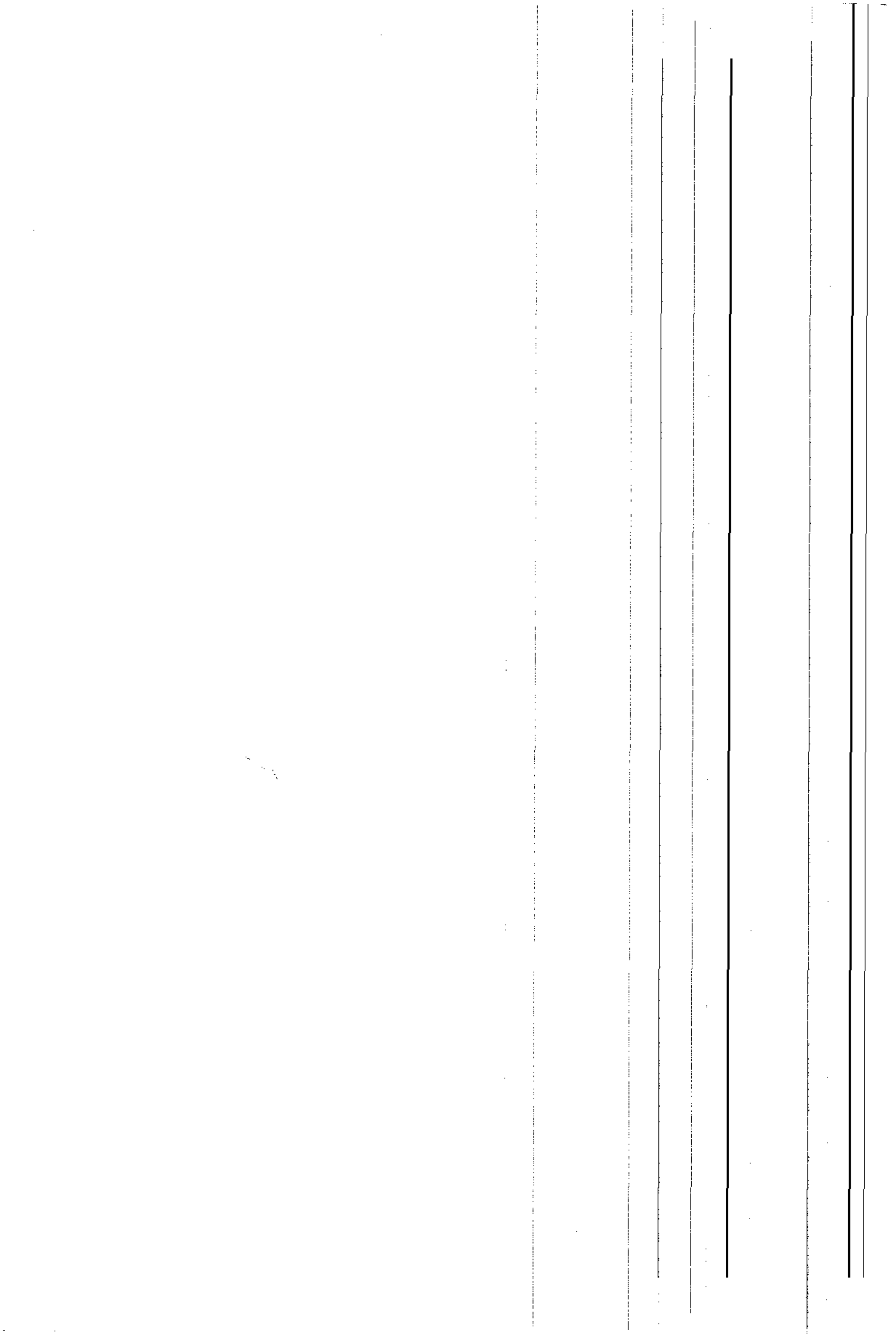
ومن الله التوفيق .

المؤلف

بغداد ـــ ١٩٨٩

الفصل الأول

الجمهورية وطبيعة النظام الجديد



وجد العراقيون أنفسهم ، ازاء الاحتلال البريطاني للعراق ، يبحثون عن الاستقلال والتحرر ، تارة بالوسائل السلمية الهادئة وانتظار الوعود ، وتارة أخرى بالانفجار في انتفاضات وثورات عنيفة للتعبير عن إرادتهم في تحقيق ما يطلبون ، وفي كل مرة ، يجد العراقيون الذين أجج الاحتلال في نفوسهم روح التحدي والثورة ببلورة الوعي في نفوسهم المتطلعة الى التقدم والنهضة ، ما يخيب آمالهم ، فطال صراعهم مع السلطة الحاكمة ، زهاء خمسين عاماً ، منذ قيام سلطة ما يسمى (بالحكم الوطني) وحتى انبثاق ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ ، حيث وجدوا ضالتهم التي ينشدون ، فامتلكوا إرادتهم كاملة ، وشعروا باستقلالهم الناجز وتلمسوا المعنى الحقيقي (للثورة) الجذرية الشاملة التي كانت هدفاً لنضالهم الطويل والمضني .

لقد كانت البداية المؤلمة عندهم ، تتمثل في دخول القوات البريطانية (الفاو) في ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ ابان الحرب العالمية الأولى ، الذين قاتلوا العراقيين حتى احتلوا بقيادة الجنرال (ستانلي مود) بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ وبسطوا سيطرتهم الكاملة على العراق باحتلال الموصل في تشرين الثاني ١٩١٨ .

ولم يصبر العراقيون طويلا على الظلم ، فازاء تدهور الأوضاع الاقتصادية والمعاشية لمعظم أبناء الشعب ، وسوء النظام الاداري وعدم تلبية الحكومة البريطانية لآمال الجماهير بالحرية والاستقلال كما وعدت وتعهدت ، انتفض العراقيون في (النجف) فقتلوا حاكمهم الكابتن (مارشال) في آذار ١٩١٨ ، وأبلى الثوار بلاءاً حسناً قبل ان تتمكن سلطات الاحتلال من اخماد الانتفاضة والقاء القبض على قادتها واعدام ثلاثة عشر منهم فجر ٣٠ مايس ١٩١٨ وسجنت سبعة ونفت الى الهند ١٢٣ آخرين[1].

تلك الجذوة (الوطنية) التقت مع رياح التغيير في ثورة ١٩١٩ في مصر فأذكت وأججت الشعور الوطني والقومي لدى الجماهير الشعبية في العراق ، اضافة الى التأثيرات القومية لتشكيل الدولة السورية في آذار ١٩٢٠ ، فثارت الجماهير مرة أخرى في ثورة العشرين في (٣٠ حزيران ١٩٢٠) ، مطالبة بالاستقلال والتحرر الكامل .

غير ان العنف الذي استعمله الانكليز ، وتردد شيوخ العشائر ويأس بعضهم من انتصار الثورة ، والتضحيات الكبيرة التي قدمها العراقيون بسبب فقدان التكافؤ بين الفريقين المتحاربين في النواحي الفنية والاقتصادية والعسكرية ، والحصار الاقتصادي الذي كانت تعانيه أغلب المدن العراقية والوعود التي أغدقها الانكليز باستعدادهم لتبديل نهج الادارة والحكم ، خاصة بعد عزل (ولسن) ومجيء السير (برسي كوكس) كمندوب سامٍ لبريطانيا في العراق الذي دعا عند وصوله بغداد في تشرين الأول ١٩٢٠ الى إنشاء حكومة أهلية (وطنية) تقود البلاد تحت اشرافه ، كل ذلك أدى الى اجهاض الثورة .(٢)

ومع نتائج الثورة الايجابية ، التي كان من أبرزها تشكيل الجيش العراقي في ٦ كانون الثاني ١٩٢١ والذي يعد بمثابة الذراع القوية التي استخدمها الشعب لتنفيذ إرادته الحرة فيما بعد ، فان الاعلان رسمياً عن قيام (نظام ملكي) ، ذي سمات محددة ، لم يقنع العراقيون تماماً. فقد ظلت بريطانيا ، من حيث الواقع هي الموجه لمقدرات العراق السياسية ، وكان المندوب السامي البريطاني هو الرئيس الفعلي للحكومة. وقد أثار هذا الوضع مشكلة ما إذا كان العراق دولة مستقلة بالفعل ، أم ان استقلاله هذا ليس إلا مجرد ستار رسمي للنفوذ البريطاني الحقيقي ؟ .

فبينما اعتبر العراقيون ما جاء في خطاب الملك فيصل عند التتويج دليلا أو مؤشراً على قيام دولة العراق المستقلة التي لا تتعدى علاقتها ببريطانيا علاقة المشورة والاستعانة ، اعتبرت بريطانيا نظام الحكم الجديد هو الصورة المنشودة

للانتداب الحقيقي بطريقة غير مباشرة يحقق الامتداد اللازم لنفوذها دون ان يفرض عليها ذلك ، بالضرورة الاحتكاك المباشر مع الشعب العراقي .

هذه التصورات المتباينة هي التي جعلت الصراع يتجدد ثانية بين العراقيين الذين أرادوا ان يكون نظامهم السياسي القائم عربياً في الظاهر والباطن ، وبين الانكليز ، الذين أرادوا ان يكون النظام بريطانياً في الجوهر عربياً في المظهر ، ولكن بشكل غير الذي شهده عام ١٩٢٠ .[٣]

وبموجب معاهدة ١٩٣٠ نال العراق مطلبه بالاستقلال ــ وإن كان استقلالا شكلياً مزيفاً ــ وانتهاء الانتداب البريطاني فيه اعتباراً من تاريخ قبوله في عصبة الأمم في عام ١٩٣٢ . وكان ثمن ذلك ما نصت عليه المعاهدة من عقد حلف أمده خمس وعشرون سنة بين بريطانيا والعراق ، غير ان المرحلة المسماة (الاستقلال الوطني) تميزت بظاهرة جديدة هي عدم الاستقرار السياسي ، وكان من أبرز مظاهره التنافس الشخصي الناجم عن الطموح السياسي في تولي السلطة ، والذي ترتب عليه وقوع تبدلات حكومية مستمرة ، فكانت الوزارات تشكل وتستقيل في مدد لا تتجاوز الستة أشهر تقريباً .[٤]

ثم دخل الجيش العراقي كعامل جديد مؤثر في السياسة ، فقد ازداد استياء الجيش بضباطه وجنوده من مواقف وتصرفات السياسيين التقليديين ، بسبب زجه في قمع انتفاضات القبائل ، وكان هذا الاستياء ينمو سريعاً ، وفي بداية الثلاثينات ظهر هذا الاستياء في الامتناع عن تنفيذ أوامر القيادة العسكرية العليا والحكومة القائمة حرصاً على إبعاد الجيش عن المصادمات المسلحة مع القبائل . وفي أواخر هذه المرحلة انتشرت الأفكار القومية في صفوف الجيش انتشاراً واسعاً ، ولا سيما بعد ان أدى توسع الجيش الى احتضانه أعداداً كبيرة من الطبقات المتوسطة في المجتمع ، وبالأخص بعد انقلاب بكر صدقي في سنة ١٩٣٦ وبروز ميوله المعادية للقومية العربية .[٥]

وجاءت ثورة ١٩٤١ التحررية بين الشعب العراقي وبـريطانيـا ، لتكشف عن إرادة الشعب وجيشه الوطني ذي التطلعات القومية في تحرير العراق والأرض العربية الأخرى وضمان مستقبل فلسطين السليبة ، وتوافق ذلك مع النهوض المبكر لحركة الثورة العربية التي أطلقت على نفسها اسم (حركة الإحياء العربي) فكان أن نظمت في دمشق حملة الدعم والتأييد والمشاركة في ثورة رشيد عـالي في العراق بل ان هذه الحركة بدأت نضالها الدؤوب بالانتصار للثورة التحررية باسم (حركة نصرة العراق) واتخذوا منها مناسبة لتوضيح الفكرة القومية وأهمية الوحدة العربية .[٦]

غير ان الثورة أُجهضت أيضاً ، وألقي القبض على قادتها وأعدموا ، باستثناء رشيد عالي الكيلاني الذي نجح في التخفي والاحتماء ، وبذلك أعيد احتلال العراق ثانية في ١ حزيران ١٩٤١ .

ثم شهدت السنوات من ١٩٤١ وحتى ١٩٥٨ أحداثاً كبيرة كانت بمثابة عوامل مساعدة في التهيأة للثورة المنتظرة ، فمع نهاية الحرب العـالمية الثـانية عـام ١٩٤٥ تجـددت الانتفاضـات الشعبية للمـطالبة بـإسقاط وزارة نـوري السعيد المتـواطئة مـع الأجنبي والغاء معـاهدة ١٩٣٠ الجـائرة واحبـاط حلف بغداد وتـوافق ذلـك مـع ازدياد الـوعي بانتشـار أفكار حـزب البعث العربي الاشتـراكي الـذي أعلن عن ميلاده يوم ٧ نيسان ١٩٤٧ ، فكانت انتفاضات ١٩٤٨ التي أحبطت بالقـوة وانتفاضة ١٩٥٢ التي أجهضت هي الأخـرى وانتفاضـة ١٩٥٦ على اثـر العدوان الثلاثي على مصر والتي قمعت بالقوة وسقط فيها عدد من الشهداء هي محـاولات نهوض تلاقى فيها التطلع الوطني بالشعور القومي للنهوض والتحرر ، ولاقت تبعاً لذلك معظم الأحزاب والقوى الوطنية العذاب والتنكيل ، ولم يبق أمامها من حل سوى تجميع قواها لمواجهة قسوة السلطات الحاكمة ونهجها المعادي لأماني وطموحات الجماهير الوطنية والقومية فكانت عدة جبهات من أبرزها جبهة ١٩٥٧ .

الجبهة الوطنية لعام ١٩٥٧ :

بعد الحرب العالمية الثانية ، ظهر جيل جديد من الشباب ضم جماعة من المثقفين والمهنيين ، وموظفي الدولة وضباط الجيش وسواهم ، راحوا يسعون الى الوصول للمشاركة في الحياة السياسية عبر مجلس النواب ، أي بترشيح أنفسهم للانتخابات العامة ، ولكنهم وجدوا بعد حين ، ان طريق التمثيل السياسي مسدود في وجوههم بسبب تسلط الجيل القديم على قانون الانتخاب ، وهكذا أُرغموا على اللجوء الى أساليب العنف لتحقيق مطامحهم السياسية(٧) بالمطالبة الملحة والمستمرة لاطلاق الحريات الديمقراطية وانجاز الاستقلال التام ، مما أضطر النظام آنذاك على الموافقة (في ٢٧ كانون الأول ١٩٤٥) بتشكيل الأحزاب السياسية ، فأجيزت خمسة أحزاب هي ، حزب الاستقلال ، الحزب الوطني الديمقراطي ، حزب الأحرار ، حزب الشعب ، حزب الاتحاد الوطني(٨) وسارعت السلطة لايجاد أحزاب مضادة فأنشأت حزب الاتحاد الدستوري بزعامة نوري السعيد وحزب الأمة الاشتراكي بزعامة صالح جبر(٩) لغرض قمع الحركة الوطنيّة في العراق ومقاومة الأحزاب المعارضة للحكم وليس لخدمة المصلحة الوطنية واصلاح الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما جاء في منهاجيها.(١٠)

وعبر السنوات ١٩٤٥ حتى ١٩٥٨ ، كان الصراع يحتدم حيناً ويهدأ حيناً آخر ، تبعاً لمواقف السلطة داخلياً وخارجياً وخاصة فيما يمس القضايا القومية الرئيسية ومنها (قضية فلسطين) ، فالتقت الأحزاب كما أشرنا في الصفحات السابقة ، في عدة جبهات وطنية كان من أبرزها جبهة الاتحاد الوطني عام ١٩٥٧(١١) حيث توالت اجتماعات ممثلي كل من الحزب الوطني الديمقراطي وحزب البعث العربي الاشتراكي وحزب الاستقلال والحزب الشيوعي العراقي وأسفرت هذه الاجتماعات عن تشكيل اللجنة الوطنية العليا لجبهة الاتحاد الوطني والتي ضمت ممثلي هذه

الأحزاب وبعض المستقلين.[١٢]

وكانت مطاليبها تتلخص بما يلي :

١ ــ اقالة حكومة نوري سعيد وحل البرلمان.

٢ ــ انسحاب العراق من حلف بغداد وتوحيد سياسة العراق مع الأقطار العربية.

٣ ــ مقاطعة كل أشكال التدخل الامبريالي واتباع سياسة عربية مستقلة تقوم على الحياد الايجابي (عدم الانحياز).

٤ ــ الغاء حالة الطوارىء واطلاق سراح المسجونين والمعتقلين السياسيين واعادتهم الى وظائفهم.[١٣]

وفي مطلع عام ١٩٥٨ فوتحت جبهة الاتحاد الوطني من قبل اللجنة العليا للضباط الأحرار عن مدى استعداد الجبهة للمشاركة في الحكم فيما إذا نجحت الثورة التي كان يُخطط لها من قبل الضباط ، ونوقش هذا الموضوع في اجتماع ضيق وبمحادثات على أعلى المستويات بين قادة الأحزاب الممثلة في الجبهة وتقرر مبدئياً دعم الثورة واستعداد الجبهة للمشاركة فيها على أساس تنفيذ منهاجها دون التطرق الى موضوع الأشخاص الذين اختيروا للوزارة عند قيام الثورة.[١٤]

حركة وتنظيم الضباط الأحرار :

يجد المتتبع للنشاط السياسي في الجيش العراقي ان المرحلة الأولى من النشاط المذكور التي بدأت مقدماتها في سنة ١٩٣٢ وما تبعها قد انتهت في سنة ١٩٣٦ ، وان المرحلة الثانية التي بدأت مقدماتها في سنة ١٩٣٦ وما تبعها قد انتهت في سنة ١٩٤١ .(١٥) وفي عام ١٩٤١ ، كان للجيش العراقي منبر آخر للتعبير عن روح النهضة العربية ، تمثل في حركته الباسلة ، التي عبر أحد أبطالها ، صلاح الدين الصباغ عن منطقها. . . حيث قال في مذكراته :

> (لقد فرض الانكليز علينا الحرب فرضاً ، لأنهم كانوا يريدون توجيه سياسة العراق وفق مصالحهم ، فكان لابد لنا من الدفاع عن شرفنا ووطننا ، لنعلن للعالم أجمع ان الأمة العربية لا تقبل الاستعمار) .(١٦)

وقد شهدت الفترة الثالثة من ١٩٤١ ــ ١٩٥٨ للعمل السياسي في الجيش العراقي أحداثاً لم نشهدها في المرحلة الثانية ، من أبرزها نكبة فلسطين سنة ١٩٤٨(١٧) وقد خابت الآمال الكبيرة التي عقدتها الجماهير العربية والقوات المسلحة في ١٩٤٨ بوجه أخص في تحقيق نصر نهائي وخاطف على العدو الصهيوني ، وظهر الوجه القبيح للخيانة عارياً ، وتركت تلك الأحداث الدامية والأليمة جروحاً غائرة لا تندمل في قلوب الضباط الذين اشتركوا في القتال ورفضوا القبول بالهزيمة .(١٨)

وعلى اثر ذلك ، أدرك أغلب الضباط الشباب الذين اشتركوا في هذه الحرب بأن النصر يجب أن يمر ببغداد قبل فلسطين(١٩) وقد دفعت بهذا الاتجاه الثورة المصرية في ٢٣ تموز ١٩٥٢ ، إذ أخذ الضباط الشباب في العراق بتشكيل خلايا وتنظيمات على غرار تنظيم الضباط الأحرار المصري ، فبدأ الرائد رفعت الحاج سري والمقدم المهندس رجب عبدالمجيد في أيلول ١٩٥٢ بمفاتحة الضباط الذين يثقان بهم .(٢٠)

بعد العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، والحماس الوطني الذي عم القطر لموقوف الى جانب أشقائه وموقف السلطة الضعيف ـ آنذاك ـ ازاء الأحداث القومية ، جعل الضباط الأحرار يعجلون بتشكيل اللجنة العليا للإعداد والتخطيط والتهيؤ من أجل القيام بالثورة والاطاحة بالنظام القائم « فاجتمع في أواخر عام ١٩٥٦ كل من العقيد محيي الدين عبدالحميد والعقيد الركن ناجي طالب والعقيد الركن حسين الحبيب والعقيد المهندس رجب عبدالمجيد والمقدم الركن عبدالكريم فرحان والمقدم الركن صبيح علي غالب والمقدم وصفي طاهر والرائد الطيار المتقاعد محمد سبع وتخلف عن الحضور كل من العقيد الركن عبدالوهاب الأمين والرائد رفعت الحاج سري وقرروا تشكيل اللجنة العليا للضباط الأحرار من الضباط السابقي الذكر ليأخذوا على عاتقهم عملية الإعداد للثورة ». [٢١]

أما التنظيم الآخر الذي تزعمه عبدالكريم قاسم في المنصور فكان « يضم كلاً من العقيد الركن عبدالسلام عارف والعقيد طاهر يحيى والزعيم الركن أحمد صالح العبدي في اللواء التاسع عشر الذي كان آمره (الزعيم الركن) عبدالكريم قاسم ومعسكره في جلولاء ، وكان هذا التنظيم منفصلاً عن تنظيم بغداد السابق الذكر ». [٢٢]

ثم صار الاتفاق على دمج التنظيمين ، وبعد المناقشات ، « دعي الزعيم الركن عبدالكريم قاسم لحضور الاجتماع المقبل في منزل الرائد الطيار المتقاعد محمد سبع ، فحضر وأدى القَسَم أمام اللجنة العليا وبذلك تم دمج التنظيمين ». [٢٣]

تنفيذ الثورة :

كان عبدالكريم قاسم قد اتفق مع عبدالسلام عارف على تنفيذ الثورة سراً عن بقية تشكيلات الضباط الأحرار.

ثم أقسما اليمين مع العقيد عبداللطيف الدراجي وسعوا جميعاً لعرقلة اجتماعات اللجنة العليا في تلك الفترة رغم الظروف المواتية للقيام بالثورة.

ويذكر العقيد عبدالسلام عارف في مذكراته : « حاول كثير من الضباط معرفة وقت ويوم الحركة إلا انني آثرت السرية فقد كانت غايتنا الكتمان والمباغتة واكتفيت بتبليغ عدد قليل جداً من الضباط » والضباط اضافة الى قاسم وعارف والدراجي هم العقيد عادل جلال والزعيم الركن أحمد صالح العبدي والنقيب جاسم الجنابي والرائد الركن جاسم العزاوي والرائد الركن عبدالستار عبداللطيف والمقدم وصفي طاهر والرائد الركن ابراهيم جاسم التكريتي والرائد الركن ابراهيم عباس اللامي والعقيد عبدالرحمن عارف أما باقي تشكيلات الضباط الأحرار فعلموا بالثورة عن طريق الاذاعة.[٢٤]

من جهة أخرى ، اختار عارف وكان أجرأ من قاسم ، ان ينفذ الصفحة الأولى من الثورة بنفسه ، معتبراً ان ذلك العمل سيرفعه بعد نجاح الثورة الى مصاف الثوار الأبطال ، بينما كان قاسم ينتظر على مشارف بغداد سماع النبأ ليتسلم الدولة كلها باعتباره الأقدم رتبة ، ولا يجوز إغفال الضبط العسكري ، وهو أغرب ما جرى في تلك الثورة. وإن كان الأمر لا يعدو عن كونه انعكاس وتقليد واضح لما جرى في تنظيمات الضباط الأحرار في مصر التي انبثقت من خلالها ثورة ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ ، ولا عجب فلقد كان أحد أسباب تشكيل الضباط الأحرار هو محاكاة ما حدث في مصر ووصل التشابه الى حد التسمية إذ أطلق ثوار مصر على أنفسهم تسمية « الضباط الأحرار » قبل رفاقهم في العراق.

ولأن ميثاقاً مكتوباً لم يكن قد أقر ، فكـان خروج قـاسم وعارف متحرراً من القيود سوى ما تركه من أحقاد وخصومات فيـها بعد لا يمكن انكـار تأثيـراتها الخطيرة ، لاسيما وان الضباط الأحرار بمجموعهم قوة لا يستهان بها لو انها كـانت مجتمعة وموحدة للنهوض بمسيرة الثورة. مع انهم ـ كما أشـرنا سـابقاً ـ متفـاوتين في تشكيلتهم ، فمـع تمتعهم بشخصيـات قـويـة ، إلا انـه يصعب القـول بـانهم في أغلبيتهم كانوا من المثقفين لأن طبيعة الضباط وتعليمهم وعزلتهم عن المجتمع ، تجعـل منهم فئة خـاصة تتعـامل مـع الحياة بـالأسلوب الـذي اعتـادتـه في الجيش ـ يومذاك ـ والذي يغلق دائرة التفكير غالباً في حدود إعطاء الأوامر وتنفيـذها ، ولم تخلق الفترة القصيرة تجانساً بينهم ، وإنمـا جمعتهم أفكار وطنيـة عامـة ، ونقمة على الاستعمار البريطاني وانغمار بالخطوط العامة للسياسة آنذاك ، ولكنهم ـ وهذا هو النقص الأكبر ـ لم يدخلوا الأحزاب ولم يطلعوا على الأفكار والفلسفات الثورية التي تمنح الانسان بُعداً آيديولوجياً واضحاً ومحدداً .(٢٥)

وكان أن انعكس ذلك على كل خطوة خطتها الثورة بعد نجاحها ، وكان أبرز خلل حملتـه منذ البـداية ، هـو إسناد المنـاصب العليا الى العسكـريين ، فـاستلم عبدالكريم قاسم رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع بينما استلم عبدالسلام عارف منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، وأسندت الوزارات الأخرى الى زعماء الحركة الـوطنية وبـلا تساوي ، فـأخذ الحـزب الوطني الـديمقـراطي حقيبتـين وزاريتـين بينـما حصـل حـزب الاستقـلال وحـزب البعث العـربي الاشتــراكي عـلى وزارة لكل منهما . ووزعت الـوزارات الأخرى عـلى أساس عـامل الصـداقة والقـرابة الشخصية. ولم يتم إشراك الحـزب الشيوعي العـراقي في الوزارة الأولى للحفـاظ على هوية الثورة القومية ولكن تم تعيـين ابراهيم كبـة في التشكيلة الوزاريـة وهو من الماركسيين المستقلين والذي يعتبر من مؤيدي الشيوعية .(٢٦)

وهذه التشكيلة الوزاريـة لم تكن استجابـة لرغبـة قاسم وعـارف في حقيقة

الأمر ، وإنما لأنها كانت حقيقة سبقت قيام الثورة ، وتمثلت في الالتقاء الذي جرى في مطلع عام ١٩٥٧ بين القوى السياسية في القطر تجاه الحكم القائم والتي أشرنا اليها في الصفحات السابقة.

انجازات الثورة الحقيقية :

ورست انجازات الثورة على ما قدمته في الأشهر الأولى فقط ، فكان من أعظم وأهم ما حققته هو :

١ ـ القضاء على النظام الملكي واقامة الجمهورية.

٢ ـ أطلقت سراح المعتقلين والسجناء السياسيين.

٣ ـ ألغت قرار نزع الجنسية عن العراقيين.

٤ ـ حاكمت رجال العهد الملكي وشكّلت (المحكمة العسكرية العليا الخاصة) التي عُرفت فيها بعد باسم (محكمة الشعب).

وهناك اصلاحات متناثرة هنا وهناك ، لم تتخذ سمة التحولات الجذرية ، لكن الشعب التف حول الثورة ، وأيدها لأنها أطاحت بالملكية كما أسلفنا ، وخلصت العراق من حلف (بغداد) البغيض ، ثم انها جاءت في أعقاب ثورات وطنية عمت الوطن العربي فقد سبقتها :

١ ـ ثورة ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ في مصر.

٢ ـ ثورة آذار ١٩٥٤ في سوريا.

٣ ـ ثورة تشرين الثاني ١٩٥٤ في الجزائر.

٤ ـ قيام الجمهورية العربية المتحدة في شباط ١٩٥٨.

موقف الأحزاب السياسية من الثورة :

وكانت حصة حزب البعث العربي الاشتراكي في تنفيذ الثورة كبيرة ، فقد وضع الجهاز الحزبي بكامله في حالة انذار ، وفي صباح الثورة أرسل الحزب سيارة محملة بالعتاد والأسلحة الخفيفة ووزعها عند مشارف بغداد للقطعات المنفذة للثورة. كما ان العقيد عبدالسلام عارف أرسل الى الحزب مَنْ يخبر قيادته ــ آنذاك ــ بانه سيقوم بتنفيذ حركة للاطاحة بالنظام فجر يوم ١٤ تموز ١٩٥٨[٢٧]، وطلب مساعدة الحزب ، وعاد مبعوث عبدالسلام عارف وأخبر السيد علي صالح السعدي يوم ١٢ تموز ١٩٥٨ بضرورة ترشيح ممثل عن الحزب لحكومة الثورة ، وبدون أي تأخير مما أضطره الى ترشيح فؤاد الركابي دون إذن مسبق من القيادة ، وذهب من ساعته وأخبر فؤاد الركابي وأبلغه بالخبر والترشيح كونه سيتم استيزاره في أول تشكيلة حكومية.

وفي ليلة الثورة قامت القيادة القطرية للحزب بإنذار منظمات الحزب في بغداد ، وأبلغتهم ان أحداثاً عربية كبرى ستقع دون الاشارة الى مكان وقوعها ، وعلى ان يكون الجميع مهيأين للنزول الى الشارع .

وقد ذكر الحزب تلك الفعالية النضالية في بيان أصدره في الذكرى الثالثة لثورة ١٤ تموز جاء فيه : « وحزبنا حزب البعث العربي الاشتراكي الذي كان له شرف المساهمة في الثورة والمشاركة في مسؤولياتها الخطيرة الأولى والذي جند كل جموعه وأنزلها الى الشارع صبيحة اعلان الجمهورية تحت قيادة الثورة لتعمل متكاتفة مع الشعب ومع قطعات الجيش الجسور في دعم الثورة وتثبيت اسمها والتصدي بالقوة لأية مبادرة تخريبية تستهدف النيل من الثورة وقادة الجمهورية. . » .[٢٨]

وفي هذا إشارة واضحة الى الأكتاف التي حملت رجال الثورة بغض النظر عن اتجاهاتهم، ودافعت عن الثورة باخلاص وبلا غرض إلا لكونها تغيير كبير يجب

مباركته لتحقيق الأهداف الكبرى في الاستقلال والتحرر. كما وضعت الأحزاب الأخرى المنضوية تحت جبهة الاتحاد الوطني أجهزتها الحزبية بالانذار. فأصدر الحزب الشيوعي العراقي بلاغاً بتاريخ ١٢ تموز ١٩٥٨ وزع بصورة سرية ولعدد محدود من الكادر المتقدم لهذا الغرض ، وكان قد علم بالثورة عن طريق السيد رشيد مطلك الذي بلغ الحزب الوطني الديمقراطي أيضاً وتم وضع كوادر الحزب بالانذار ، أما حزب الاستقلال فبلغ بموعد الثورة بصورة غير رسمية لأن عبدالكريم قاسم لم يكن يميل الى أفكارهذا الحزب.(٢٩)

أصداء الثورة عربيا ودوليا :

ولقد انتزعت الثورة تأييد الجماهير العربية ، وكان من أبرز مؤيديها ومباركي قيامها الرئيس جمال عبدالناصر الذي علم بالثورة من الراديو ، وكان يقوم بزيارة رسمية ليوغسلافيا ، وسمع كذلك نبأ انزال القوات الأمريكية في لبنان لمضايقة الثورة الفتية ، فقطع زيارته وتوجه سراً وعلى الفور الى موسكو حيث اجتمع فور وصوله بالرئيس خروشوف في اليومين السابع عشر والثامن عشر من تموز ١٩٥٨ ، ونال مساعدة الاتحاد السوفيتي بإقامة مناورات كبيرة على الحدود البلغارية ـ التركية ، ومر بأجواء العراق عابراً الى دمشق وهناك أدلى بتصريح مهم يعد من العوامل الأساسية والفعالة التي ثبتت الثورة وعززت كيانها ، إذ قال :

« إن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تعلن ان أي عدوان على الجمهورية العراقية يعتبر في نفس الوقت عدواناً على الجمهورية العربية المتحدة بكافة التزاماتها تجاه الجمهورية العراقية وفقاً لميثاق الضمان الجماعي العربي. . ».(٣٠)

وفي هذا الصدد تشير المصادر الحديثة انه وبعد أربعة أيام من قيام ضباط

الجيش العراقي بالسيطرة على العراق في تموز من عام ١٩٥٨ أي بعد ان قاموا بقتل الملك وولي عهده ورئيس وزارته وبعد ان استولوا على السفارة البريطانية في بغداد، أبلغت الحكومة الأمريكية بريطانيا بأن تركيا طلبت منها مساعدة جوية لغرض غزو العراق.[٣١]

غير ان وزير الخارجية البريطاني (سلوين لويد) بعد ان أطلعه وزير الخارجية الأمريكي في حينه (جون فوستر دالاس) على الطلب التركي سارع الى إرسال رسالة مستعجلة الى رئيس الوزراء (ماكميلان) يحذره فيها من المخطط التركي قائلاً : « انني بحثت هذا الموضوع مع (دالاس) هذا الصباح.. وان شعورنا بان مثل هذه العملية التركية تعتبر بمثابة الجنون وانها لو تحققت ستنجح فقط في توحيد العراق وراء نظامه الجديد.. وانها ايضاً ستمنح الفرصة للاتحاد السوفيتي بإرسال قوات الى العراق إن طلبت ذلك منه الجمهورية العراقية.. بالاضافة الى ان المسؤولين الأمريكيين هنا عبروا عن شكوكهم بقدرة تركيا على القيام بهذه العملية بسرعة.. والأهم من ذلك كله فان العملية قد تؤدي الى غزو سوفيتي لتركيا وتقود بذلك الى اندلاع حرب عالمية جديدة. ».[٣٢]

وكان « خروشوف » من جانب آخر، قد تعهد لجمال عبدالناصر، بالقيام بمناورات عسكرية واسعة تصاحبها حملة اعلامية كبيرة لتضخيمها، وتنبيه الرأي العام العالمي اليها بحيث تعطي انطباعاً عن الاهتمام الكبير للاتحاد السوفيتي بالموضوع، وان قواته مستعدة للوقوف ضد التدخلات الغربية في المنطقة[٣٣] وسواء كانت المناورات حقيقية أمْ اعلامية فانها ساهمت في تعزيز ثورة العراق ووقف المحاولات التي كانت تجري لاجهاضها وتعطيل تلك الثورة من جانب دول حلف بغداد أو من جانب بعض الأقطار العربية المجاورة لها.[٣٤]

هذا اضافة الى ان الاتحاد السوفيتي كان الدولة الثانية التي تعترف بالثورة بعد الجمهورية العربية المتحدة.

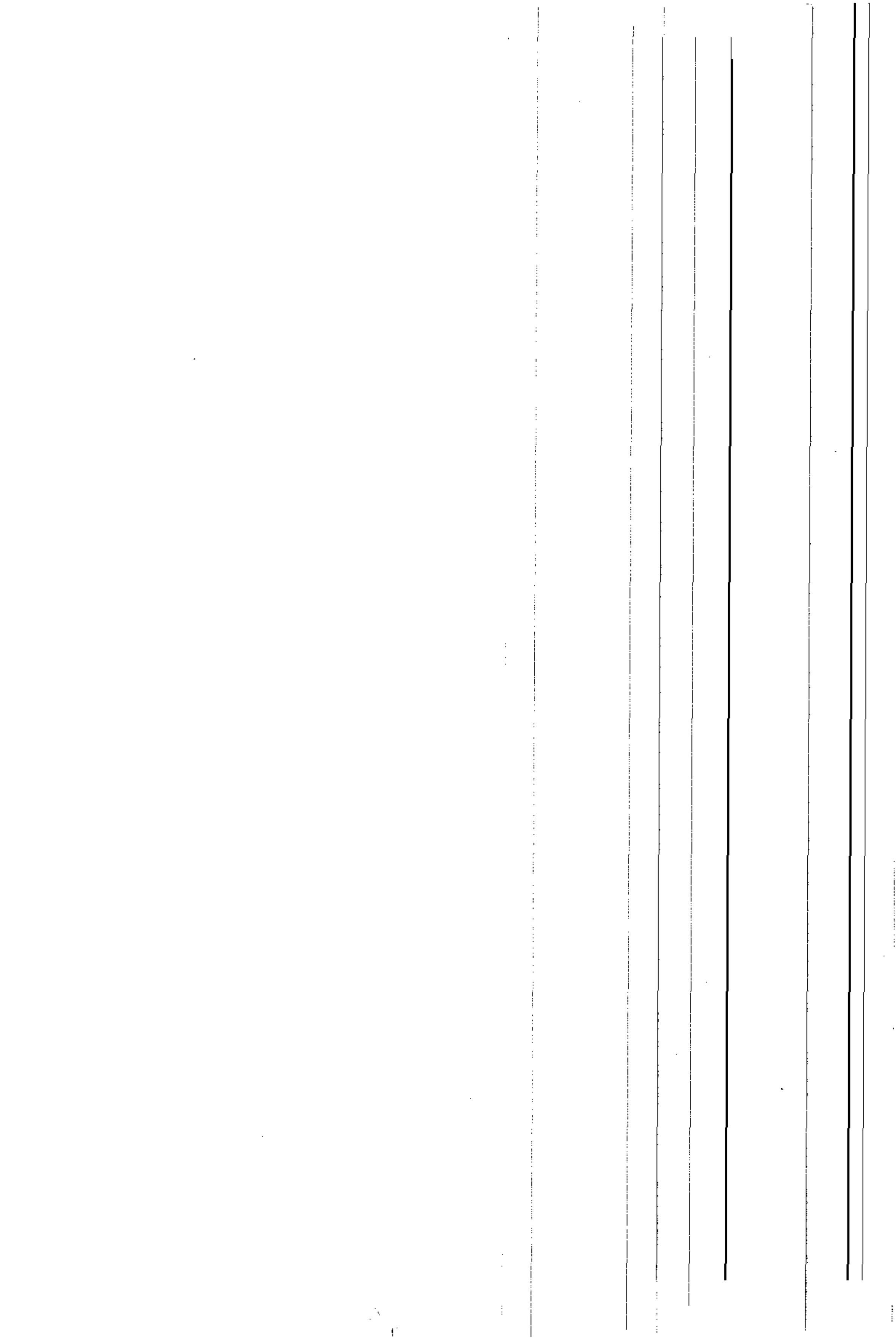
هوامش الفصل الأول

(١) صادق حسن السوداني ــ لمحات موجزة من تاريخ نضال الشعب العراقي ــ الموسوعة الصغيرة ــ ١٩٧٩ ص ٧.
(٢) المصدر السابق ص ١٣.
(٣) د. وميض جمال عمر نظمي / د. شفيق عبدالرزاق / د. غانم محمد صالح ــ التطور السياسي المعاصر في العراق ــ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي (بلا) ص ١٦٣.
(٤) المصدر السابق ص ١٨٦. ولمعرفة عدد الوزارات التي تشكلت في ذلك الوقت يُنظر كتاب (تاريخ الوزارات العراقية) للسيد عبدالرزاق الحسني ــ عشرة أجزاء.
(٥) د. فاضل البراك ــ دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني ــ طبعة ثانية ــ ١٩٨٧ ص ١٩١.
(٦) صادق حسن السوداني مصدر سبق ذكره ص ٥٩.
(٧) مجيد خدوري ــ العراق الجمهوري ط ١ ــ الدار المتحدة للنشر ١٩٧٤ ، ص ١٤.
(٨) ليث عبدالحسن الزبيدي ــ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق ، ١٩٨١ ، ص ٥٦.
(٩) المصدر السابق ، ص ٥٦.
(١٠) المصدر السابق ، ص ٥٧.
(١١) تجمعت الأحزاب المعارضة قبل ذلك ضمن جبهة الدفاع عن فلسطين عام ١٩٤٧ ولجنة التعاون الوطني عام ١٩٤٨ والجبهة الشعبية المتحدة عام ١٩٥١ والجبهة الوطنية المتحدة عام ١٩٥٤ ــ لمزيد من التفصيل انظر ــ المصدر السابق ص ٨٣ وما بعدها.
(١٢) د. وميض جمال عمر ــ مصدر سبق ذكره ــ ص ٣١٩.
(١٣) كامل الجادرجي « مذكرات كامل الجادرجي » ، دار الطليعة ــ بيروت ــ ط ١ ــ كانون الثاني ــ ١٩٧٠ ، ص ٦٧٦.
(١٤) ليث عبدالحسن الزبيدي ــ مصدر سبق ذكره ، ص ٩٨.
(١٥) د. فاضل البراك ــ مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٤.
(١٦) د. الياس فرح ــ معركة العرب القومية على الحدود الشرقية ــ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ص ١٠٢.
(١٧) د. فاضل البراك ــ مصدر سبق ذكره ، ص ١٥٥.
(١٨) المصدر السابق ، ص ١٥٧.
(١٩) ليث عبدالحسن الزبيدي ــ مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٠.
(٢٠) المصدر السابق ، ص ١٢٢.

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٢٣ .
(٢٢) المصدر السابق ، ص ١٢٤ .
(٢٣) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .
(٢٤) المصدر السابق ، ص ١٧٩ وص ١٨١ .
وكذلك أنظر : مذكرات عبدالسلام عارف ـ مصدر سبق ذكره ، ص ٤٠ .
(٢٥) المصدر السابق ، ص ١٥٠ .
(٢٦) المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .
(٢٧) المبحوث هو الملازم علاء الجنابي الذي اتصل بالسيد علي صالح السعدي يوم ١١ تموز ١٩٥٨ ولم يكن مرسلاً من قبل قادة الثورة وإنما كعضو حزب عليه تبليغ الحزب بما يدور في البلاد.
انظر ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٩ .
(٢٨) نضال البعث ـ دار الطليعة ، بيروت ـ جـ ٧ ص ١٢٥ .
(٢٩) انظر ليث عبدالحسن الزبيدي ـ مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣١ .
(٣٠) المصدر السابق ، ص ٢٠٨ .
(٣١) وكالة الأنباء العراقية (الراصد) ليوم ١٩٨٩/١/٢ نقلا عن الصنداي تلغراف البريطانيه التي نشرت الوثائق الرسمية للحكومة البريطانية لعام ١٩٥٨ بعد ثلاثين عاماً على مرورها كما يقرر القانون البريطاني .
(٣٢) المصدر السابق .
(٣٣) عبدالمناف شكر جاسم ـ العلاقات العراقية السوفيتية ـ ط الثانية ـ بلا ـ ص ١٠٠ .
(٣٤) المصدر السابق ، ص ١٠١ .

الفصــل الثــاني

تناقضات ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨



طبيعة الثورة وتناقضاتها :

لقد كانت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ حدثاً هاماً في الحياة العربية ، ولم تكن الثورة عملا عسكرياً محضاً على الرغم من ان العسكريين هم الذين قاموا بها فقد كان وراءها نضالا سياسياً عارماً للشعب وأحزابه السياسية المعارضة للحكم الملكي ، غير ان ثورة ١٤ تموز انحرفت عن أهدافها الوحدوية التي أدت بعد فترة قصيرة من نجاحها الى الانقسام على الساحة السياسية بين الأحزاب القومية الوحدوية التي يقف على رأسها حزب البعث العربي الاشتراكي والتي طالبت بانضمام العراق الى الجمهورية العربية المتحدة وبين الشيوعيين العراقيين المعارضين للوحدة العربية ، ولم يكن هذا الانقسام على مستوى الأحزاب السياسية والذي كان من نتيجته انفراط جبهة ١٩٥٧ بدلا من تآلفها في ظل النظام الجديد ، بل امتد الانقسام والصراع ليشمل الضباط قادة الثورة أنفسهم وعلى صعيد الحكومة ككل ، الأمر الذي أدى فيما بعد الى استقالة ستة من الوزراء المؤيدين للوحدة بضمنهم ممثل حزب البعث ، احتجاجاً على سياسة عبدالكريم قاسم تجاه الجمهورية العربية المتحدة ، والتي أدت الى قيام صراع عنيف بين العراق من جهة وبين الجمهورية العربية المتحدة من جهة أخرى ، وهذا الصراع انعكس على القوى السياسية داخل العراق بين القوى الوحدوية واللاوحدوية وأدت الى صراعات دموية عنيفة[1]. وستتناول ذلك فيما يلي من صفحات.

التناقض بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف :

كان من نتائج صعود عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف الى دفة السلطة ، ان اشعل فتيل الصراع والتناقض بينهما أولا ، وبينهما وبين بقية الضباط الأحرار ثانياً ، فسارت الخلافات في خطين متوازيين ، يغذيهما طموح الشخصين الى السلطة ، وتأججها تناقضات الضباط الأحرار أنفسهم وطموحاتهم المخالفة لطموحات رئيس الوزراء.

لقد بدا الصراع في ظاهره ، يدور في إطار هدف الوحدة ، الذي ابتعد عنه عبدالكريم قاسم كثيراً ، فيما اشتدت المطالبة به من قبل عبدالسلام عارف وبقية الضباط الأحرار ، وعلى الرغم من ان عبدالسلام عارف لم يكن ــ كما سيتضح من الفصل الذي نتناول فيه شخصيته ــ مؤمناً بهدف الوحدة إيماناً حقيقياً فانه وجد فيه وسيلته لكسب الضباط الأحرار ومناوأة قاسم ، فما كادت تنقضي أيام خمسة على تسلم (الزعيم) قاسم و (العقيد) عارف الحكم حتى بدا انهما يسيران في اتجاهين متعاكسين ، ففي ١٩ تموز (يوليو) توجه العقيد عارف الى دمشق على رأس وفد لمفاوضة عبدالناصر في ما يجب عمله لو تعرض العراق الى اعتداء من الخارج ، ووافق عبدالناصر على جميع المطالب التي تقدم بها العراق ، ويبدو ان عبدالسلام عارف ، وقد تأثر بشخصية جمال عبدالناصر ، وعده بانضمام العراق الى الجمهورية العربية المتحدة ، وعندما سأله عبدالناصر وما عسى ان يكون مصير عبدالكريم قاسم إذا تم الانضمام ، فكان جواب عبدالسلام عارف سريعاً وحازماً « سيكون مصيره مصير اللواء محمد نجيب » وانه لمن الغرابة بمكان ان يكون هذا الحديث السري قد نُقل الى الزعيم قاسم ولما يعد عارف من دمشق الى بغداد ، وهكذا قرر قاسم تقليص الصلاحيات التي كانت قد أعطيت للعقيد عارف ثم أعفي نهائياً من جميع المسؤوليات التي كانت قد أنيطت به .(٢)

هذه الواقعة ـ كما تشير أغلب المصادر ـ كانت بداية الخلاف بين قاسم وعارف ، فيما ترجح مصادر أخرى ان البداية كانت بسبب خطابات عبدالسلام عارف الكثيرة والمرتجلة والتي بدأ يتجاهل فيها ذكر عبدالكريم قاسم فيما يمجد جمال عبدالناصر وهو الرأي الذي يرجحه عارف نفسه حيث يرى ان جولاته وعدم ذكره لقاسم كان السبب في الخلاف الناشىء بينه وبين الزعيم فيذكر : « عندما عدت من إحدى جولاتي هذه ، كانت بداية الخلاف مع عبدالكريم قاسم ، وقد حاول قاسم ان يدفع بعض الضباط المقربين إليه ليسألوني لماذا لا تمجد الزعيم ولماذا لا تذكر اسمه في خطاباتك ؟! وكان ردي عليهم ، ان هذه الثورة ليست ثورة عبدالكريم قاسم ولكنها ثورة الشعب أولاً وأخيراً . . » .(٣)

ومهما يكن من أمر الخلاف الناشىء ، فانه أدى بالتالي اثر اتهام عبدالسلام عارف بمحاولة اغتيال قاسم في مكتبه(٤) الى اصدار حكم الاعدام بحقه وبتجريده من رتبته العسكرية وذلك في الخامس من شهر شباط ١٩٥٩ مع الايصاء بالرأفة به ، فبقي الحكم سيفاً مسلطاً فوق رأس عارف وأنصاره إذا ما حاول أحدهم القيام بثورة . ولبث عارف في السجن ثلاث سنوات قبل ان يخلى سبيله في خريف عام ١٩٦١ في أعقاب انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة ، وفي سنة ١٩٦٢ سمح له باداء فريضة الحج(٥) وأمضى الفترة الباقية حتى ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ ملازماً مسكنه .

تناقضات الضباط الأحرار :

لقد كان توجه تنظيم الضباط الأحرار في البداية ، ضم أكبر عدد ممكن من الضباط اليه ، خاصة أولئك الذي يتولون قيادة الوحدات الفعالة ، ولم توضع قواعد لانتخاب الأعضاء على أسس عقائدية ، وكانت الأهداف المعلنة عامة يشترك في تبنيها الوطنيون كافة ، على اختلاف عقائدهم ونزعاتهم ، لذلك انضم اليه

ضباط من مختلف الميول والاتجاهات ، وإن كان الاتجاه العام لأغلبهم قومياً وحدوياً ، وكان أسوأ مَن انضم هو ذلك العدد من الانتهازيين والمتذمرين من الأوضاع بسبب نقلهم الى مناصب صغيرة أو لعدم ترفيعهم ، وكانت هذه نقطة ضعف كبيرة أثرت على التنظيم بعد نجاح الثورة.[6] وكان من بين هؤلاء وأولئك بعض المغامرين الذين تدفع بهم عقد غريبة ونزعات دفينة الى السلطة والتسلط قبل خدمة الشعب ورعاية مصالح الوطن والأمة.

وظهر أول خلاف بين أعضاء اللجنة العليا بعد دمج تنظيم بغداد الذي كان برئاسة العقيد الركن محيي الدين عبدالحميد مع تنظيم المنصور الذي كان برئاسة عبدالكريم قاسم ، وكان لابد من اختيار رئيساً واحداً للجنة من بين المجموع ، فأصر عبدالسلام عارف على انتخاب عبدالكريم قاسم معللاً ذلك بانه أقدم الضباط وأعلاهم رتبة مراعاة للضبط العسكري ، واعترض المقدم رجب عبدالمجيد مصراً على انتخاب العقيد الركن ناجي طالب باعتباره أنضج الضباط سلوكاً وأيده آخرون . وحل الإشكال يومها بانتخاب العقيد الركن محيي الدين عبدالحميد والعقيد الركن ناجي طالب نائبين لعبدالكريم قاسم الذي أصبح رئيساً للجنة ، وكان هذا المشهد قد سبق وان حدث بشكل معاكس يوم ان جاء عبدالكريم قاسم بعبدالسلام عارف الى أحد اجتماعات اللجنة العليا وقال : « هذا معنا في التنظيم وهو يعرف كل شيء » فأصبح أعضاء اللجنة أمام الأمر الواقع وقبل على مضض.[7]

وكان الاختيار على قاعدة القدم العسكري أول ثغرة في ذلك التنظيم وما جرى عقبه من أحداث ، إذ لا يصح ان تطبق هذه القاعدة في تنظيم هدفه القيام بالثورة ، وربما قيادتها الى حين. وكان الأجدى أن يتم البحث عن صيغة أخرى ملائمة ، ولو انهم اختاروا أقدمهم من حيث الانضمام الى تنظيم الضباط الأحرار لكان أجدى ، ولو أجريت بينهم عملية انتخاب محدودة لكان أكثر جدوى وأبعد أثراً.

وقد دفعت اللجنة العليا وتنظيم الضباط الأحرار الثمن غالياً ، فها هو العقيد

عبدالسلام عارف ، يخترق أصول اجتماعات اللجنة ، ويصر متجاوزاً آراء أعضاء اللجنة جميعاً على أن يقوم بالثورة في أحد أيام شهر مايس ١٩٥٨ ، وكان الاجتماع يصادف يوم الخميس فقال مهدداً : « هذا السبت وإلا هذا حذنا وياكم . . » .[٨]

وبالطبع فانهم لم يختاروه ــ يومذاك ــ لميزة قيادية معينة ، إنما لسبب واحد مباشر هو (القِدم العسكري) ــ كما أسلفنا ــ وهذا ما أكده بوضوح اللواء الركن المتقاعد محسن حسين الحبيب من اللجنة العليا فذكر : « نحن انتخبناعبدالكريم رئيساً للجنة العليا بحكم موقعه العسكري حسب السابقة التي كانت قبله ، فقد كان الأخ محيي الدين عبدالحميد أيضاً رئيساً بحكم قدمه حيث قررنا أن يكون هو الرئيس. لكن في الاجتماع الذي قررنا فيه ان يكون عبدالكريم قاسم أقدمنا ما كانت للرئيس أية صفة ، ما كان له أي امتياز لا تصويت ولا منصب ولا حكم ولا أي شيء وإنما هو قضية تنظيمية وأنا أعترف انه تنظيمي ، ما كان بإمكانه أن يقوم بمهامه لأنه كان خارج بغداد يأتينا يوم الخميس والجمعة » .[٩]

ثم فوجىء الجميع بسوء قيادته ، فانسحب بعضهم ليعمل في الظل ، وناصب بعضهم قاسم العداء ، وعمل آخرون تحت إمرته تمشياً مع الوضع القائم وهو ما أشار اليه الفريق الركن المتقاعد خالد مكي الهاشمي بقسوة منتقداً ظهور ــ الانتهازية ــ ــ آنذاك ــ « بين صفوف الضباط والسير مع عبدالكريم قاسم ولو كان على حساب مصلحة الوطن وعلى حساب حركة القومية العربية ، ان بعض الضباط الأحرار قد تميز بالانتهازية ، وأخذ بعضهم يتأبط جريدة إتحاد الشعب كجواز مرور له وإثبات وجود له ، وهذه بادرة سيئة من مساوىء الضباط الأحرار لأن الضباط الأحرار ما جاؤا الى الحركة ليتسلموا منصباً وإذا ما تسلموا منصباً فهو وسيلة وليس غاية ، وسيلة لخدمة الوطن ، وفي هذا المجال لابد لي ان أذكر وأُمجد وقوف عدد كبير من الضباط الأحرار في وجه عبدالكريم قاسم وعدم رضاهم عن الانحراف وعن مساوىء الحكم كما وقف حزب البعث العربي الاشتراكي بوجه

عبدالكريم قاسم بكل صلابة ». [10]

وبذلك فان الضباط الأحرار لم يشكلوا أداة ضغط باتجاه التأثير إيجابياً على نظام قاسم في أيامه الأولى ، بل المهم أشد الألم انهم اختاروه مسبقاً كأقدم ضابط ، وشعروا ـ أو شعر بعضهم على الأقل ـ بعدها بالمحنة التي عبر عنها مؤخراً ـ العميد المتقاعد رجب عبدالمجيد ـ بقوله : « في رأيي ان الرئاسة يجب أن تعطى الى أكفأ ضابط ، لأننا نقوم بعمل سياسي وليس عسكرياً والأخوان جميعاً على الاطلاق كانوا يؤمنون بهذا المبدأ وهو ان العمل ولو انه سياسي فالقدم العسكري يجب ان يبقى متحكماً وقد كنت على خلاف ذلك ، فالعمل السياسي شيء والعسكري شيء آخر ثم ان هذا العمل يحتاج الى كفاءة وليس هو قضية عسكرية فقط ». [11]

وهذا الرأي يؤكده الرأي السائد ـ آنذاك ـ ان يصار بعد اعلان الثورة ، الى تشكيل (مجلس قيادة الثورة) من أعضاء اللجنة العليا كما كان مقرراً من قبل[12] وكان بعض الضباط يرون ان مهمتهم تنتهي فور نجاحهم في قلب نظام الحكم القديم[13] وفي نفس الوقت تتشكل حكومة مدنية مؤلفة من زعماء الحركة الوطنية التقدمية ، لترسي قواعد النظام الديمقراطي في البلاد. [14]

إلا ان المفاجأة التي حصلت هي ان عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف استلما المناصب العليا في الدولة كما أشرنا في الفصل الأول ، وامتنعا عن تشكيل مجلس قيادة الثورة واكتفيا بتشكيل (مجلس السيادة) من ثلاثة ضباط هم : الفريق الركن محمد نجيب الربيعي والعقيد الركن خالد النقشبندي والشيخ محمد مهدي كبه. [15]

ثم اسندا بعض المناصب الكبيرة في الجيش الى الضباط الأحرار وعلى أساس عامل الصداقة والقرابة ، فعين الزعيم الركن أحمد صالح العبدي رئيساً لأركان الجيش والزعيم الركن عبدالعزيز العقيلي قائداً للفرقة الأولى والزعيم الركن ناظم الطبقجلي قائداً للفرقة الثانية والزعيم الركن خليل سعيد قائداً للفرقة الثالثة والزعيم

الركن محيي الدين عبدالحميد قائداً للفرقة الرابعة والعقيد فاضل عباس المهداوي رئيساً للمحكمة العسكرية العليا والعقيد الركن عبدالوهاب الشواف حاكماً عسكرياً ثم استبدل بتأثير من عبدالسلام عارف بالزعيم الركن أحمد صالح العبدي وعين الشواف آمراً لحامية الموصل مما أثار غضبه ودعا من ساعته الى القيام بانقلاب ضد قاسم ولكنه أرجأ الأمر بسبب المخاطر التي قد تلحق بالعراق بعد الثورة ، وبلغ تذمر العقيد رفعت الحاج سري انه لم يلتحق بوزارة الدفاع صبيحة الثورة فأرسل مَن أقنعه بالحضور.[١٦]

من هنا يتبين لنا ان الصراع الذي نشب بين الضباط الأحرار وبين قادة الثورة هو طموحهم جميعاً الى المشاركة في السلطة ورغبة قاسم بالانفراد بها.

ولقد بدأت أولى بوادر التناقض والانحراف في حادثتين مهمتين ، (الأولى)، هي التعديل الوزاري الذي تم في ٣٠ أيلول ١٩٥٨ الذي شمل العقيد الركن عبدالسلام عارف والدكتور جابر عمر وزير التربية والتعليم وفؤاد الركابي وزير الاعمار وتعيين الزعيم أحمد محمد يحيى وزيراً للداخلية مع انه لم يكن من الضباط الأحرار ، و(الثانية) هي إلقاء القبض على رشيد عالي الكيلاني أحد ثوار مايس ١٩٤١ التحررية بعد عودته الى العراق بتهمة التآمر ضد النظام والحكم عليه بالاعدام في ١٧ كانون الأول ١٩٥٨ من قبل المحكمة العسكرية العليا الخاصة ومع ان الحكم لم ينفذ لكنه أثار ردود فعل كثيرة ازاء الحادث خاصة وان المحكمة برأته في البداية من التهمة ثم أعادت محاكمته وفقاً لآراء الشهود[١٧] وكشفت في الوقت نفسه قساوة (المهداوي) ومحكمته التي كانت سمة من سمات النظام القاسمي.

حركة الموصل :

كان العقيد عبدالوهاب الشواف[18] من أشد المتذمرين من سياسة عبدالكريم قاسم ، وقد واجهه قبل ان يقوم بحركته المعروفة « وبين ما له وما عليه وما يطلبه وما يراه ضرورياً ، وانه آن الأوان ليتمتع بصلاحياته كآمر لموقع (الموصل) وتنفيذ قراراته طبقاً لصلاحياته التي حددها له القانون ، وعليه فهو يرى ضرورة وضع حد لتصرفات الشيوعيين التي تجاوزت كل حد وكل تصور ووصلت الى تمزيق القرآن»[19] وطلب اليه ان يتوقف الشيوعيون من مهاجمة الجمهورية العربية المتحدة وجمال عبدالناصر، وحذره من مغبة وصول (أنصار السلام) الى الموصل[20] ولما نكث عبدالكريم قاسم بوعوده، أو انه تجاهلها، استقر رأي الشواف وعدد من الضباط الأحرار على اعلان العصيان والتمرد في المنطقة الشمالية بقيادة الزعيم ناظم الطبقجلي وبمساندة العقيد الشواف في الموصل ، وضعت خطة للسيطرة على الدفاع والمرافق العسكرية الحيوية في بغداد وعزل قاسم أو قتله إن حاول المقاومة ، وفي ١٩٥٩/٣/٨ ، أذيع البيان الأول للحركة والذي لخص سبب التغيير بانحراف ثورة ١٤ تموز عن أهدافها التي جاءت بـ « طاغية مجنون محل طاغية مستبد ، وتزول طبقة استغلالية بشعة ليحل محلها فئة غوغائية تعبث بالبلاد والنظام والقانون فساداً ، ويستبدل مسؤولون وطنيون بآخرين يعتنقون مذهباً سياسياً لا يمت لهذه البلاد العربية الاسلامية العراقية بصلة »[21] وندد البيان كذلك بالموقف الاقليمي لنظام عبدالكريم قاسم الذي « أطلق للاذاعة والصحف عنان الفوضى لتخاصم جميع الدول وتشنها حرباً اعتدائية على الجمهورية العربية المتحدة » .[22]

ثم أوضح البيان سياسة الحكومة الجديدة في المجالين الداخلي والخارجي ، وخاطب عبدالكريم قاسم بان « ينصاع للحق ويتنحى عن الحكم فوراً والى ان يمارس مجلس السيادة سلطاته ليؤلف وزارته بالتعاون مع مجلس قيادة

الثورة ».[23]

غير ان الثورة لم تنجح ، فقد جعل تقاعس الزعيم ناظم الطبقجلي عن إسناد الحركة في الموصل ، و القطعات في بغداد وكذلك في أنحاء العراق الأخرى تتردد هي الأخرى عن التمرد ، الأمر الذي أدى الى انعزال حركة الموصل ، وتوفر فرصة اتخاذ اجراءات سريعة وحاسمة لعبدالكريم قاسم للانقضاض على الضباط الموالين للحركة واعتقالهم ، ثم سحق الحركة في الموصل عسكرياً ، فانهارت الحركة تماماً بعد مقتل العقيد الشواف (قتله المضمد طه المختار) وفرار قسم كبير من ضباطه الى سوريا.[24]

سقط الشواف إذاً مضرجاً بدمه وترك (الموصل) في آذار ١٩٥٩ مسرحاً تُمثل على خشبته فصول دامية ، ملطخة بالدم والنار ، عندئذ ، تيقن البعث وتيقنت معه القوى الوطنية والقومية الأخرى ، ان قاسم كان يوافق ضمناً على تلك الهجمات التي انتهت في الموصل لتشتعل من جديد في كركوك في تموز عام ١٩٥٩ .

ثم ازدادت نقمة شباب البعث من تصرف قاسم الدموي متمثلا في تنفيذ أحكام الاعدام على المشاركين في حركة الشواف يوم ١٩٥٩/٣/٢٧ و١٩٥٩/٨/٢٥ و١٩٥٩/٩/٢٠[25] فاقتنع ممثلو حزب البعث العربي الاشتراكي والعناصر القومية الأخرى بضرورة الاسراع بالعملية وتحدد فيها اغتيال قاسم خوفاً من فشل المحاولة ومعاودة قاسم التنكيل بالثوار كما فعل بجماعة الشواف ، أي ان تصرف قاسم مع المعارضين له حتم اختيار تقرير مصيره.[26]

التصدي لعبدالكريم قاسم في ١٩٥٩/١٠/٧ :

كان قادة الجيش يأملون في البعث طريقاً للخلاص ، وكان البعث يبحث في داخله ، عمن بلغه الأنين الذي تصاعد في ساحة « أُم الطبول » ببغداد حيث اختطفت المشانق رؤوس كوكبة من خيرة رجال العراق الذين حملوا السلاح دفاعاً

عن الوطن ومستقبله في محيط الأمة.

ومن أجل ذلك ، كان العمل المشترك بين قيادة الحزب والجيش لتنفيذ محاولة جديدة للتخلص من عبدالكريم قاسم ، وبعد مداولات القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي مع الضباط الأحرار بواسطة الرائد الركن صالح مهدي عماش تم الاتفاق على ما يلي :

١ ــ يقوم الحزب بالقضاء على عبدالكريم قاسم في بغداد.

٢ ــ تحرك قطعات الجيش للسيطرة على بغداد إذا تم قتل عبدالكريم قاسم.

٣ ــ يستلم رئيس مجلس السيادة الفريق الركن نجيب الربيعي مهام الأمور وتشكيل حكومة قومية ومجلس قيادة ثورة قومي.[٢٧]

إن هذا القرار اتخذ بعد تغيير حصل في القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي ــ آنذاك ــ إذ ان القيادة قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كانت تتألف من فؤاد الركابي ، علي صالح السعدي ، سعدون حمادي ، عبدالله الركابي ، شمسي كاظم ، صالح شعبان ، دحام الآلوسي ، وبعد قيام ثورة ١٤ تموز انسحب شمسي كاظم واستقال علي صالح السعدي أثناء وجوده في المعتقل ، وغادر سعدون حمادي العراق عندما شعر بالقاء القبض عليه لذلك رفعت القيادة الأعضاء (الاحتياط) ليشغلوا الفراغ وهم مدحت ابراهيم جمعة ، إياد سعيد ثابت ، خالد علي صالح ، وعندئذ جرى تشكيل مكتب سياسي من الرفاق المتواجدين باستمرار في بغداد والمكتب السياسي هو الذي قرر عملية التصدي لقاسم وكان يتألف من فؤاد الركابي ، مدحت ابراهيم جمعة ، إياد سعيد ثابت ، عبدالله الركابي ، خالد علي صالح وطالب شبيب وكان الأخير خارج العراق عند تنفيذ العملية.[٢٨]

تفاصيل العملية :

في السابع من شهر (اكتوبر) تشرين أول ١٩٥٩ ، كانت مجموعة من الشباب واقفة على رصيف شارع الرشيد الموازي لاتجاه السيارات الذاهبة ناحية الباب الشرقي ، كانت عيونهم كلها مركزة على السيارات التي تعبر الطريق ، وأيديهم فوق الزناد ، وكان المرء يستطيع أن يميز بينهم ذلك الشاب النحيل الذي يخفي تحت (سترته) الرشاشة وكانت مهمته أن يحمي رفاقه الذين سوف يطلقون النار على سيارة (الزعيم) وان يغطي انسحابهم بعد تأدية واجبهم ويكون هو آخر مَن ينسحب.[٢٩] كان ذلك الشاب هو (صدام حسين) .

ولكنه لشدة الحماس ، شارك في الرمي وأصيب برصاصة في ساقه ، وبعد ان أفرغوا اطلاقاتهم في السيارة ، ورأوا عبدالكريم قاسم يهوي مضرجاً بالدماء ، وقد خلا الشارع من الناس ولم يبق فيه من أحد ، انسحبوا متوارين عن الأنظار قبل وصول الشرطة وأصر صدام حسين ان تتجه السيارة التي أقلتهم الى الوكر في (الكرادة الشرقية) بينما كان البعض يريد التوجه الى المستشفى بسبب اصابة أحد الرفاق في صدره ، وكان قراره حكيماً إذ ان السلطة المجروحة في كبريائها كانت تبحث عن المنفذين في كل مكان ، وفي عملية بدائية شاقة استخدمت فيها (شفرة الحلاقة) أخرج أحد الرفاق الرصاصة من ساق صدام حسين وأغمي عليه .

واستطاع صدام حسين بفطنته وحسن إدراكه ، وفهمه لطبيعة السلطة الحاكمة أن يفلت من قبضة رجالها ، فلم يضع سني عمره في غياهب السجون ، بل وضعهما في مجالين مهمين :

الأول : مواصلة العمل الحزبي والنضال من أجل وقف انحراف قاسم

الثاني : مواصلة دراسته الجامعية والتعرف عن كثب على المنجزات القومية لثورة (يوليو) تموز في مصر ومسيرة الرئيس جمال عبدالناصر .

وتأتى له ذلك ، في لحظة قرار صعب وجريء ، اتخذه بنفسه ، حين أبلغ رفاقه في الوكر بعد تنفيذ الضربة بانه لن يبقى في الوكر حتى يقبضوا عليه ويعدموه ، كان لسان حاله يردد ـ في تلك اللحظات الحرجة ـ ان الانسان ينبغي ان لا يموت بلا معنى ، ان وراءه عملا كثيراً لهذا الوطن ولهذه الأمة ، ولم يبق في الوكر تحسباً ومضى يحمل نفسه بصعوبة بسبب العملية البدائية التي أجريت له في ساقه لرفع الرصاصة ومضى الى ساحة الشهداء ، كان في داخله هم كبير هو الدراسة. . انه غائب ويخشى ان يفصلوه إذا كثرت غياباته. . لابد ان يتشبث بالدراسة كما يتشبث بالنضال طريقاً للمستقبل. . كلاهما طريقان سالكان مع الصعوبات والمخاطر الى شرفات عالية تطل على المستقبل الجميل. . وهرع الى المدرسة للحصول على اجازة ، أرادها لأيام لكنها كانت لشهور طويلة ، فقد عرف ان رفاقه ألقي القبض عليهم.

وعلى فرس ابتاعها من ضواحي بغداد بعد ان ارتدى ملابس قروية ، ابتدأ رحلته المضنية الى تكريت ومنها سهل له أقاربه ومعارفه طريق السفر واجتياز الحدود.

وكانت رحلته مضنية ، محفوفة بالمخاطر وهو مع رفيق رحلته والدليل البدوي.

سبعة أيام بلياليها وهم يطوون رمال الصحراء ، يقاومون البرد ، وقلة الزاد ، ويزرعون الرمال أملا في الوصول.

وحين بلغوا سوريا ، اتصلوا بأمين الحافظ ، وكان قائداً عسكرياً للمنطقة الشرقية ، فاستقبلهم على الفور ـ وكانت لديه معلومات عن قرب وصولهم ـ وهناك مكث صدام حسين ثلاثة أشهر.

وفي ٢١ شباط ١٩٦٠ ، غادر الشام وهبطت طائرة تحمله الى عاصمة الجمهورية العربية المتحدة في مطار القاهرة الدولي. [٣٠]

ومن حسن حظ العراق ، ان صدام حسين لم يصب بالاحباط ، ولم ييأس بعد تلك المحاولة الفاشلة والعناء الذي أصابه ، ونجاته بأعجوبة من السجن وحكم

الاعدام والموت بفعل الرصاصة التي جاءت في ساقه وكان يمكن ان تصيب أي جزء في جسمه ، بل بدأ من هناك ، من مصر رحلة نضال جديدة.

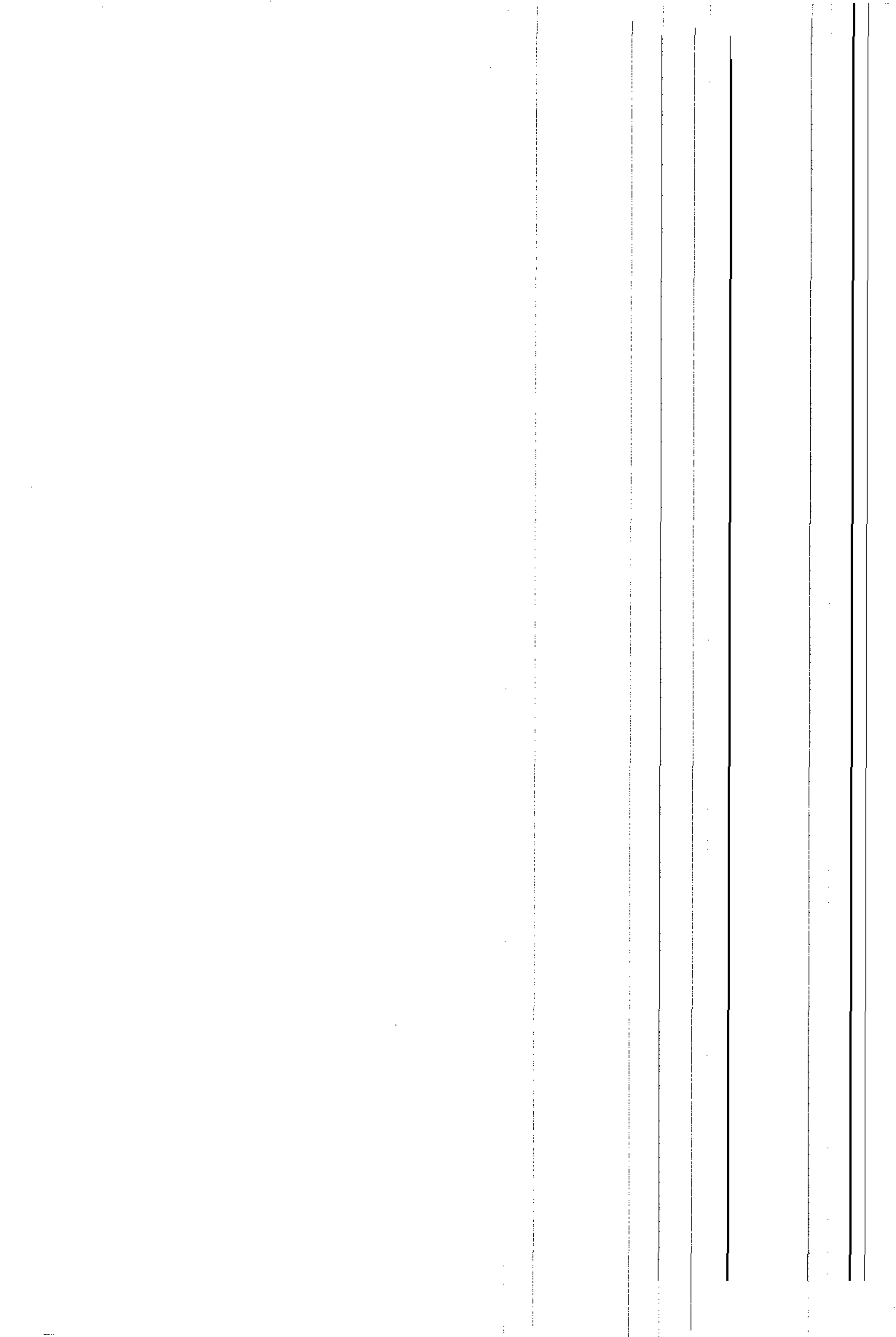
هوامش الفصل الثاني

(١) انظر د. وميض ــ مصدر سبق ذكره ص ٣٣٤.
(٢) مجيد خدوري ، مصدر سبق ذكره ص ١٢٥.
(٣) علي منير ــ مذكرات عبدالسلام عارف ط ١ ــ بغداد : المؤسسة القومية للتأليف والنشر ، ١٩٦٧.
(٤) سنتناول ذلك بالتفصيل في الفصول القادمة.
(٥) مجيد خدوري ، مصدر سبق ذكره ص ١٣٧.
(٦) صبحي عبدالحميد (أسرار ثورة ١٤ تموز في العراق) ، ص ٤٥.
(٧) ليث عبدالحسن الزبيدي ــ مصدر سبق ذكره ص ١٢٨.
(٨) المصدر السابق ــ ص ١٧٩.
(٩) الذاكرة التاريخية لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ــ دار الشؤون الثقافية العامة ــ بغداد ــ ١٩٨٧ ، ص ٢١٧.
(١٠) المصدر السابق ، ص ٢١٤.
(١١) المصدر السابق ، ص ١٤١.
(١٢) انظر المصدر السابق ، حيث يتفق الجميع على هذا الرأي.
(١٣) مجيد خدوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٩.
(١٤) ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧١.
(١٥) دليل الجمهورية العراقية ، لسنة ١٩٦٠ ــ بغداد ــ دار مطبعة التمدن.
(١٦) أنظر تفاصيل ذلك في كتاب (الذاكرة التاريخية) ، مصدر سبق ذكره.
(١٧) لمزيد من التفاصيل انظر ــ وقائع محاكمات المحكمة العسكرية الخاصة ج ٥ ــ بغداد ــ مطبعة الحكومة ، ص ٦١ وما بعدها.
(١٨) ولد العقيد عبدالوهاب الشواف سنة ١٩١٦ في بغداد ، انتمى الى حركة الضباط الأحرار عام ١٩٥٣ ــ أنظر خليل ابراهيم حسن ــ الصراع بين عبدالكريم قاسم والشيوعيين وعبدالوهاب الشواف وضباط الموصل الوحدويين ج ٤ ، ص ١٧.
(١٩) المصدر السابق ، ص ١١٥.

(٢٠) لمزيد من التفاصيل أنظر المصدر السابق ، ص ١١٥ وما بعدها.
(٢١) مقطع من بيان الثورة ـ أنظر النص كاملا ـ المصدر السابق ، ص ١٦٥ .
(٢٢) المصدر السابق ، ص ١٦٥ .
(٢٣) نفسه.
(٢٤) ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٣٩ .
(٢٥) أعدم في الوجبة الأولى أربعة ضباط والثانية ستة ضباط والثالثة اثنى عشر ضابطاً من بينهم ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري. أنظر الأسماء الكاملة ، خليل ابراهيم حسن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٧ .
(٢٦) ذكر معظم الذين مثلوا أمام محكمة الشعب (المهداوي) ان التفكير في اغتيال قاسم ابتدأ في الشهر الرابع من عام ١٩٥٩ أي بعد فشل ثورة الشواف بشهر واحد ـ أنظر على سبيل المثال ـ المحاكمات الجزء الثاني والعشرون ، ص ٥٠ وما بعدها.
(٢٧) صالح مهدي عماش ـ أوراق شخصية مكتوبة بالآلة الكاتبة ـ من وثائق المكتب العسكري لحزب البعث العربي الاشتراكي.
(٢٨) المصدر السابق.
(٢٩) د. أمير اسكندر ـ صدام حسين مناضلاً ومفكراً وإنساناً ـ ص ٤٥ بتصرف.
(٣٠) المصدر السابق ـ ص ٦١ .

الفصل الثالث

تناقضات الحكم العسكري



ترى كيف تلقى عبدالكريم قاسم ما جرى له في (رأس القرية) ؟ وهل عرف ــ لأول وهلة ــ مَنْ الذي تصدى له ؟!

لقد كان وحيداً هذه المرة ــ أصابه الذهول من فرار الناس من حوله بهذه السرعة والتفت فلم يجد سوى أربعة أشخاص يحيطون به ، ويقودونه بلا هيبة وبلا موكب وبلا ضجة ، بل انهم قادرون على الاجهاز عليه لو أرادوا . . وكأنما يعطفون على شخص ضعيف رأوا ان من الواجب ان يستصحبوه الى المستشفى ، إذ ما كان يظنه شعبية غامرة ، لم يكن سوى حركات عابرة من عابر سبيل يظهر خلاف ما يبطن .

ومرت دقائق رهيبة ، تأكد خلالها مركب الأسنان (سلمان علي) من اختفاء المنفذين بلمحة البصر في زقاق ضيق .[1]

بعدها تقدم من السيارة ليبصر المنظر الذي أمامه . . وفوجىء إذ رأى عبدالكريم قاسم في داخلها يتلوى وسط دمائه ، ونادى على الشرطي الأول (رستم محمد) الذي جاء يهرول من جهة الجسر ، واتجها بالزعيم الى مستشفى « الرشيد العسكري » لكن مركب الأسنان قال للزعيم :

ــ سيادة الزعيم . . أخشى ان يكرروا الضربة في معسكر الرشيد . . ربما هناك كمين آخر .

فقال وهو يبصر بذهول كتفه النازفة : وماذا نفعل ؟!

ــ نذهب الى مستشفى دار السلام . .

ــ نعم . . نعم . .

ولكن مَنْ ضربه ؟!

طوال الطريق كان يفكر ، واكفهر وجهه وازداد شحوباً الى شحوبه الدائم ،

حين مر في ذهنه مثل شريط سينمائي سريع ما جرى قبل ثلاثة وأربعين يوماً فقط حين وقع حكم الاعدام على ثلاثة عشر ضابطاً ، بينهم ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري وعزيز أحمد شهاب وعلي توفيق وآخرين.[٢]

وكاد ينهار حين خطرت في باله فكرة ان أحدهم هو الذي تصدى له قبل لحظات ، ولكنه عاد وطمأن نفسه الى انهم الآن تحت الثرى ، وان « المهداوي » لا يمكن أن يفلت أياً منهم.

وفي باب المستشفى تصور ان أمر الثورة الجديدة قد استتب الآن وسيسحله الثوار مذكرينه بمَن أعدم من رجال العراق ، ولكن الأطباء ، نقلوه الى صالة العمليات فاطمأن الى ان شيئاً لم يحدث في الخارج.

وكتب الأطباء في تقريرهم التالي :

«لقدظهر نتيجة الفحص الطبي الابتدائي للزعيم اللواء الركن عبدالكريم قاسم والذي أجري في الساعة السابعة مساءً بتاريخ ١٩٥٩/١٠/٧ :

١ ـ فتحة دخولية لطلق ناري دائرية الشكل خلف الكتف الأيسر منتظمة الحافات قطرها ١ سم.

٢ ـ فتحة دخولية لطلق ناري بشكل دائري قطرها ١ سم تبعد ٦ سم عن الجرح الأول.

٣ ـ وجود كسر على شكل (ثلمة) سطحية لشوكة العظم اللوح الأيسر.

٤ ـ علامات وجود كسر للثلث العلوي لعظم العضد الأيسر.

٥ ـ خدوش سطحية متعددة على النصف العلوي للظهر.

٦ ـ أيد الفحص الشعاعي وجود كسر مهشم المثلث العلوي منطقة الكسر المذكور والآخر في قاعدة الأبط الأيسر.

٧ ـ مدخل طلق ناري بقطر ١ سم خلف الناحية الانسية لليد اليمنى ومخرج طلق ناري بقطر ٢ سم تقريباً في راحة اليد المذكورة بالقرب

من قاعدة الخنصر.

٨ ــ لا توجد اختلاطات عصبية أو شريانية في الطرف العلوي الأيسر أو الأيمن كما لا توجد أضرار في الجوف الصدري والبطن.

التوقيع :

١ ــ الدكتور محمد الشواف وزير الصحة ــ رئيس اللجنة.

٢ ــ اللواء الطبيب رشاد العبدالواحد.

٣ ــ الجراح د. هادي السباك.

٤ ــ الجراح د. خالد القصاب..».[٣]

وفي ٤/١١/١٩٥٩ ، شكل مجلس تحقيق للتحري عن الواقعة وتثبيت الاصابة ، برئاسة الزعيم الركن يعقوب عبداللطيف وعضوية كل من العقيد سالم سليمان والرئيس الأول سليم رؤوف العطار وسألت اللجنة الرئيس الأول قاسم الجنابي مرافق عبدالكريم قاسم فأجاب واصفاً الحادث :

« في ٧ /١٠/١٩٥٩ غادرنا مقر وزارة الدفاع بصحبة عبدالكريم قاسم القائد العام للقوات المسلحة ورئيس الوزراء ، في الساعة ١٨١٥ قاصدين الذهاب الى حفلة سفارة ألمانيا الديمقراطية بمناسبة احتفالهم بعيدهم الجمهوري مخترقين شارع الرشيد ، وكان الازدحام على أشده آنذاك وخاصة المنطقة الكائنة بين سينما الحمراء الشتوي ورأس القرية الأمر الذي أدى الى تباطؤ السيارة في المسيرة ، وتجمهر الناس حولها حتى وصلنا رأس القرية مقابل محل فخري جواد الساعاتي حيث تضيق المنطقة هناك.

ولشدة الازدحام اضطر السائق الى الانحراف نحو اليسار لمواصلة السير متجنباً سيارات مصلحة نقل الركاب التي كانت واقفة وبجانبها خط من السيارات الأهلية من شدة الازدحام.

وكان الوقت آنذاك حوالي الساعة ١٨٣٠ ولم نشعر إلا وانهالت من كل جانب

الطلقات التي اعتقد انها كانت صادرة من حوالي ثمان غدارات ، وفي أثناء الرمي وبعد اصابتي ، سألت الزعيم عن حاله فعلمت منه بانه بخير عدا جرح بسيط ثم حاولت الخروج من السيارة بقصد جلب نيران الجناة نحوي وتفادي استمرار الرمي نحو سيادة الزعيم. ثم انقطع الرمي وسقطت على الأرض فاقداً وعيي ، وبعدئذ علمت بان حالة الزعيم جيدة رغم اصابته بعدة طلقات وانه نقل الى المستشفى بنفس السيارة من قبل الجندي السائق حسني حسبما أتذكر وأعتقد انه ينتسب الى مدرسة المشاة. . لم أتمكن في حينه من التشخيص كما بينت ، ولكني علمت بعدئذ بان شرطي المرور لا أتذكر اسمه مع مركب أسنان اسمه سلمان علي على ما أعتقد والجندي السائق حسني الذي نوه عنه أعلاه.

هذه افادتي وأعترف بصحتها. . ».[٤]

وعلى ضوء هذه الافادة ، اجتمعت هيئة المجلس التحقيقي للمرة الثانية في مقر مديرية الهندسة الآلية الكهربائية في يوم السبت الموافق ١٩٥٩/١١/٧ وباشرت باستئناف التحقيق ، فاستدعت الشاهد مركب الأسنان سلمان علي فوصف الحادث ، كما يلي :

«. . وصلت السيارة قرب محل الساعاتي فخري جواد ومقابل شرفة يوسف غنيمة وبموازاتها سيارة المصلحة المتجهة الى باب المعظم وأمامها سيارة (تاكسي) متجهة الى الباب الشرقي وعلى اليمين سيارات كثيرة كالعادة ، وفجأة سمعت صوت اطلاقة منفردة أعقبها رمي صلي من الجانبين بشكل تقاطع خطين على سيارة الزعيم وكان الرمي بصورة منتظمة ومتعاقبة.

أما موقفي فقد انبطحت بجانب الرصيف (في نفس الشارع) حتى انتهى الرمي الذي طال مدة تقرب من الدقيقتين ، فنهضت مسرعاً الى السيارة هاتفاً (كريم كريم) وفي هذه الأثناء رميت قنبلة قرب السيارة محدثة دخاناً. . وفاتني أن أذكر ان كافة المحلات التجارية في تلك المنطقة كانت قد أغلقت أبوابها على اثر

الطلقة الأولى وفرار كافة الأشخاص الذين كانوا في السيارات كما ان المنطقة كانت خالية من الشرطة

وفي الأخير جاء شرطيان أو شرطي واحد من شرطة جسر الأحرار أخذته معي ، أجلسته عند قدمي الزعيم من الجهة اليسرى لاتقاء الرمي المحتمل حتى وصلنا برفقته الى مستشفى السلام وكان معي في السيارة طالبان هما مأمون يوسف عثمان والآخر لا أعرف اسمه وعنوان الأول شارع الحريري .

وعند وصولي الى السيارة منادياً (كريم كريم) فتحت الباب عليه فحصلت التفاتة فاحصة منه لي فعرفته بنفسي فقال لي (إلزم كتفي لاصابته) فاحتضنته وبعد التأكد من الاصابة بانها في منطقة الكتف فقط وليس هناك من اصابات مخطرة ، أبقيت يدي على كتفه ثم حضر في هذه الأثناء جندي يحمل علامة الطبابة فاستلم مقود السيارة إلا انه لم يتمكن من السياقة حتى جاء الجندي الأول حسين علي خماس والذي عمره ٢٢ سنة تاركاً سيارته العسكرية بالقرب من سيارته فساق السيارة الى المستشفى ، وفي طريقنا الى المستشفى ، استفسر عن صحة كل من المرافق والسائق فأخبرته بمقتل السائق وجرح المرافق والذي أرسلناه الى المستشفى الجمهوري .

وأثناء سيرنا طلب مني الزعيم أن يكون الاتجاه الى مستشفى الرشيد العسكري غير اني عرضت عليه الذهاب الى مستشفى دار السلام خوفاً من وجود كمين آخر على طريق معسكر الرشيد ، وبواسطة النقالة التي أحضرت نقل الى المصعد الكهربائي ومنه الى غرفة ثم الى غرفة العمليات بعد تهيئتها وكنت محتفظاً بحقيبة وسدارة الرئيس الأول قاسم الجنابي .

بالنسبة الى كثافة النار المنصبة على سيارة الزعيم من الجهتين ، قد يكون عدد الرماة متراوحاً بين ٩ أشخاص الى الاثني عشر شخصاً ولم أتمكن من تشخيص أحد منهم غير اني شاهدت شخصين فارين كانا مسلحين وآخر أهلي لم يكن مسلحاً ،

وكانت المنطقة قد خلت خلال الرمي وزاد في عدم التشخيص كثافة الدخان المتأتي من الرمي والقنبلة المرمية . . ». (*)

ثم أدلى الشرطي الأول رستم محمد رقم (٤٥٣) بشهادته ولم تخرج عن مضمون افادة صاحبه بشيء .

وفي الساعة الثامنة والنصف مساءاً استمع الشعب العراقي بوجوم وخيبة أمل الى بيان العبدي التالي :

« لقد جرت محاولة آثمة للاعتداء على حياة عبدالكريم قاسم باءت بالاخفاق والفشل .

إن صحة قاسم على خير ما يرام ، وقد تحدث بنفسه الى أبناء شعبه وطمأنهم وبعث في نفوسهم الفرح والسعادة ، ولقد اتخذت السلطات المختصة كافة التدابير اللازمة لحفظ الأمن والاستقرار وانها قائمة بالتحقيق الدقيق في الجريمة النكراء باهتمام بالغ .

إننا نهيب بأبناء الشعب ان يركنوا الى الهدوء والسكينة وينصرفوا الى أعمالهم الاعتيادية ونطلب اليهم أن لا يقوموا بأي عمل يؤدي الى تعكير الأمن ويعرقل سير التحقيق ، انهم بركونهم الى الهدوء والسكينة سيفسحون المجال للسلطات المسؤولة لكي تؤدي واجبها حسب الأصول وتتوصل الى وضع يدها على الجناة المجرمين .

إننا نذكر أبناء الشعب بتوجيهات الزعيم الغالية التي طلب فيها إليهم أن لا يدعوا أي دساس أو مستغل أن يمزق صفوفهم ويزعزع ثقتهم ويدفعهم الى القيام بما من شأنه الإخلال بالأمن والنظام مما ينتفع منه الطامعون والمستعمرون وأذنابهم وعليه وبناءً على الصلاحيات المخولة لنا بموجب الفقرة الثالثة من المادة ١٤ من مرسوم الادارة العرفية رقم ١٨ لسنة ١٩٣٥ قررنا ما يلي :

أولاً : منع كافة التظاهرات والتجمعات في مدينة بغداد وفي كافة أنحاء الجمهورية العراقية .

ثانياً : يعتبر تجمع خمسة أشخاص فأكثر لأي غرض كان مخالفاً لبياننا هذا.
ثالثاً : ان المخالف سيعاقب وفقاً لأحكام مرسوم الادارة العرفية والقوانين المرعية الأخرى.
رابعاً : على السلطات العسكرية والشرطة والأمن الحيلولة دون قيام أية مظاهرة واجتماع مخالفاً لما ورد في بياننا هذا.

الحاكم العسكري العام
اللواء الركن أحمد صالح العبدي »[٦]

لقد كانت الأحداث تتلاحق في شارع ساخن ألهبته الضربة الجريئة ، لكنها لم تنجح في القضاء على قاسم ، وكان (المقدم) صالح مهدي عماش ــ الذي كان قد غادر المعتقل يوم ١١ تموز ١٩٥٩ ــ قد أحيط علماً بتفاصيل الخطة ، ولكنه أهمل تبليغ آمري الكتائب الثلاث في بغداد[٧] خوفاً من تسرب خطة التنفيذ ، واعتمد على العقيد الركن عبدالكريم فرحان في مديرية الحركات العسكرية والمقدم الركن محمد خالد سكرتير رئيس أركان الجيش. وبعد ان تم تنفيذ عملية التصدي لقاسم في (رأس القرية) وانسحاب المنفذين ، اتصل فؤاد الركابي بالمقدم صالح مهدي عماش وأبلغه بان الخطة نجحت وعلى الضباط الأحرار التحرك[٨] ولكن اللواء الركن أحمد صالح العبدي الحاكم العسكري العام سيطر على الموقف وحال دون تحرك الضباط الأحرار.

كما ان الفريق الركن نجيب الربيعي ذهب الى وزارة الدفاع ، فوجد أمامه (العبدي) عقبة ، واقترح بعض الضباط الأحرار على العبدي التعاون معهم ولكنه رفض وأنذرهم بأنه سيفضح أمرهم إن هم قاموا بأية محاولة من هذا القبيل.[٩]

ويذكر ابراهيم الراوي : « انه بعد وقوع التصدي الجريء لعبدالكريم قاسم ، ذهبت صباح اليوم التالي لمواجهة الربيعي وبعد التحية قلت له : عبدالكريم طريح الفراش في مستشفى دار السلام لا يحل ولا يربط ، فالواجب القومي يقضي عليك أن تذهب أنت وأحمد العبدي وتقولا له : أنت مريض الآن وصحتك غالية علينا ولذا نقترح عليك أن تذهب الى روسيا للمعالجة، ثم تضعانه في طيارة وترسلانه الى موسكو. هذا أولاً وحيث يوجد الآن منع تجول يمكنكما أن تقضيا على كل مَن تعتقدان بضررهم. . وتشكلان وزارة قومية ومجلس ثورة بجانبها ومتجانس معها وبذا تخدمان البلد خدمة لائقة فقال : العبدي غير مستعد فقلت له : أنا أضمن لك اقناعه . . فنكس رأسه ».[١٠]

وأحيل المنفذون للمحكمة العسكرية العليا الخاصة التي يرأسها فاضل

المهداوي في ٢١ كانون الأول ١٩٥٩ وكان بعضهم قد لجأ الى مصر وسوريا وأعلنت ضدهم قرارات مختلفة بالاعدام والأشغال والسجن لفترات محدودة.

وقال الركابي الذي كان وراء المحاولة ان العملية ليست فقط محاولة اغتيال بل انها خطة ثورية تهدف لاسقاط نظام قاسم واقامة نظام قومي تقدمي في العراق[١١] وأوضح الركابي في كتابه (الحل الأوحد) : اننا قررنا استشارة رفاقنا خارج العراق ، وخصوصاً الأعضاء القدامى للقيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي الذي حُل بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ويمكن القول بانه في ذلك الوقت لا توجد قيادة قومية للحزب قادرة على الاجتماع مع القادة البعثيين العرب لاتخاذ قرارات . » .[١٢]

ويضيف الركابي انه « بعد بضعة أيام من ثورة الموصل اجتمعت القيادة القطرية لتناقش الموقف»[١٣] فيما يتعلق بكيفية التخلص من حكم قاسم. ويبدو ان الركابي انفرد بطريقة التنفيذ ووقته حيث أدين بعد العملية وفصل من الحزب لعدم تخطيطه الدقيق وتعمده « عدم إخبار القيادة القومية بالمحاولة وحصرها بينه وبين سلطات الجمهورية العربية المتحدة » .[١٤]

وأوضح أياد سعيد ثابت أمام المحكمة مغزى العملية ، فقال في افادته : « لم يكن حزبنا ــ حزب البعث العربي الاشتراكي ــ طوال حياته النضالية ليؤمن بالاغتيال السياسي لحل مشاكل المجتمع ».

ويضيف : « وبعد قيام ثورة ١٤ تموز التي طال انتظار الشعب لها لتنقذه من الوضع الذي كان يئن تحت وطأته ، كانت هذه الثورة هي أمل الشعب في القضاء على الاستعمار وعلى الفساد والاقطاع والاستغلال وما كادت هذ الثورة أن تعلن حتى سارع حزبنا لتأييدها » ثم يقول : « لم يبق أمامنا سوى طريقين لا ثالث لهما إما ان نفنى عن آخرنا كما كان الحزب الشيوعي يصرح ، وأما أن نقف للدفاع عن أنفسنا ضد الفناء كما تقضي بذلك جميع الشرائع والقوانين ، ولهذه

الأسباب صدر قرار قيادة الحزب باغتيال عبدالكريم قاسم ، وبُـلِّـغَ عدد قليل جداً من الأعضاء الذين سيقومون بالتنفيذ . » .[١٥]

وأصدرت القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي بياناً أوضحت فيه ان سبب العملية هو تصرفات قاسم ذاتها وإن كان الحزب لا يؤمن بأسلوب الاغتيال في العمل النضالي ومما جاء فيه : « ان حزب البعث العربي الاشتراكي في الـوقت الـذي يحيي فيه بـطولة المـاثلين أمام محكمـة المهداوي ويحيي المنـاضلين الأبريـاء في المحكمة وفي سجون ومعتقلات قاسم ، يؤكد ان قاسم وحده بجرائمـه وتمثيله وتخريبه هو المسؤول عن محاولة الاغتيال ويؤكد النضال الشعبي سيضع حداً نهائياً لحكم قاسم . » .[١٦]

وانتهت هذه المحاولة الجريئة بالفشل ، ومن.وقائع الحادثة وافادات الشهود نستطيع الخروج باستنتـاج مفاده ان العمليـة كانت ستتحـول الى تغيير في السلطة لو ان قيادة الحزب ـ آنذاك ـ خططت لما بعد الضربة فلقد ظل الوضع سائباً قبل بيان العبدي وكانت رغبة الشعب عارمة في تغيير صورة عبدالكريم قاسم التي لم يعد يطيقها أحد .

كما نستطيع الخروج ببعض النقاط التي مثلت الأوجه الايجابية لتلك المحاولة ومنها :

١ ـ الانضباط الحزبي العالي للمنفذين والعمل بروح جماعية فـدائية ازاء الرغبة في تحقيق الذات والانفراد بالتنفيذ التي كانت سمة سائدة لمعظم القيادات آنذاك .

٢ ـ أعطت المحاولة درساً في إمكانية التحرك للاطاحة بـالنظام من قبـل الجيش والقـوى الوطنيـة والقـوميـة الأخـرى متكـاتفـة إذ « لم يكن من السهـل آنذاك اقنـاع الضباط في القـوات المسلحة بـان المدنيـين بإمكانهم أن يكونوا عسكريين لأغـراض الضرورة وفي الضـرورات

الوطنية هو تنفيذ الثورة والاطاحة بنظام الدكتاتور والشعو

٣ ـ اتباع الحزب أسلوب التخطيط الشامل والتنسيق المدروس فصائله المدنية والعسكرية لغرض انجاح أي تحرك مقبل.

٤ ـ نبهت النظام الى خطورة التمادي في المنهج الدموي فاضطر قاسم الى التراجع عن قراراته التي اتخذت بحق المنفذين في ٣١ آذار ١٩٦٠ ألغى فيه الأحكام التي تراوحت ب للمنفذين الرئيسيين وبين الأشغال الشاقة والحبس الشديد بموجب قرارات المحكمة العسكرية العليا الخاص ١٩٦٠/٢/٢٥ برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي.

سكري:

سنوات، في بلدان العالم الثالث ومنها البلا لحة في الحياة السياسية، وبالتالي طر ملية التغيير الاجتماعي و نظري بقدر ما فرضها الوا الأوساط الشعب

لتقدمية والعمل على لجمها ووضع حد لاندفاعاتها باتجاه الدكتاتورية والغاء دور الجماهير ، ومنع اصطدامها مع المنظمات الشعبية الممثلة للجماهير وهذا ما سعى اليه حزب البعث عبر محاولاته المتكررة[21] وبالنسبة للجيش العراقي ، نجد ان الضباط فيه ـ ومنذ تأسيسه ـ يشعرون بانهم أوعى العناصر الموجودة في البلاد حيث يسود الجهل والحرمان والمرض ، وكان هذا الشعور يزداد لديهم شعورهم بانهم قريبون جداً من السلطة في حكمها البلاد وفي مواجهتها الأخرى. وعندما كانت السلطة في النظام الملكي تدخرهم في أوقات العصيبة لمواجهة قوى الشعب ، كان الشعور يساورهم بأنهم يستطيعون من غيرهم أن يوجهوا البلاد نحو سياسة وطنية فعالة. ان شعورهم من ناحية وشعورهم بالقوة التي تحت تصرفهم دفع بهم السياسي ومن ثم الاندماج بالحركة الوطنية ».[22]

ولعل من المفيد هنا ، أن نتأمل قليلا المعنى العسكريين للسلطة ، ونقف بادىء ذي بدء هنا خدوري الذي يرى انه « بعد ان يحقق ضباط فانهم يواجهون مشاكل معقدة من نوع ومن المعروف ان للحياة العسكرية مثلها في الحياة المدنية

أو بآخر ، وقد يحيلها للآخرين بعد ان يعلق عليها ببضعة سطور مكتوبة ، أو يدعو لعقد مؤتمر ، أو يحيلها الى لجنة لدراستها لينفض يده منها ويرتاح نفسياً وسيلجأ بهذه الطريقة الى توزيع مسؤولياته.

وإذا ما تعرض لضغط اتخاذ القرار ، فسوف يوصي بالتأجيل أو يعمل على ادامة الحالة الراهنة على انها مزية بحد ذاتها ، وإذا تعذر عليه ذلك فسوف يحاول أن يملي قراره على مرؤوسيه بتعابير غامضة ، وبيانات مشروطة ، وبشكل يساعده على الادعاء بأنه كان مصيباً مهما كانت عاقبة النتائج المترتبة على قراره.

وأي حل يصدر عنه لا يكون مختلفاً ويتخذ شكل حل وسط يخلو من الوضوح ، وسرعان ما تشعر هيئة الركن ان جميع محاولاتها البناءة ستكون غير مثمرة وعاجزة عن إحداث الأثر المطلوب . ». [٢٤]

وبهذا المعنى يكون الدور الفعال والمؤثر (للقائد) غائباً وفقاً للقول الذي يرى ان التلكؤ والتردد بهذا المعنى « واحد من الأسباب الرئيسية التي تجعل القائد يميل الى المشاركة الجماعية في المسؤولية القيادية وفق الاطار الذي يجعل دوره القيادي غائباً وهذا يتكىء على الغير ويعتمد اللجان والمناقشات الموسعة ، عندما يتطلب الأمر اتخاذ قرار قيادي مسؤول ، وان السبب الأساسي في هذا هو الخوف من المجهول ، أليس كذلك ؟ إذ لو كانت لديه كل الصورة واضحة فلن يكون لديه ما هو مجهول بعد ذلك ، فهل تعتقد ان الخوف من المجهول لمثل هذا القائد هو حالة تتعلق بالأمور الموضوعية التي لابد من التأكد منها كواحد من مستلزمات اتخاذ القرار الصحيح وبذلك يكون « الخوف » حالة موضوعية غير منتقدة ويسمى خوفاً من المجهول العلمي والفني فحسب ، أمْ ان الخوف سببه أساس تكوّن الشخصية ، باعتبار ان شخصيته بالأساس لا تنطوي على شجاعة القائد في اتخاذ القرار وتحمل مسؤوليته المباشرة والتاريخية ، وبذلك يكون الخوف في عقله وفي قلبه ، ولنقل في عقله وفي نفسه.

إذن ــ يمكن أن يكون المجهول كامناً في عقله وفي نفسه ، أي ألا يكون قادراً على تحمل مسؤولية القرار ، ولا يكون واثقاً من علمه وفنه في نجاح القرار ، رغم انه يملك العلم والفن المجردين ، وهذه هي النقطة الأساسية ، وإذا كانت كل هذه النقاط موجودة في عقل ونفسية أي إنسان فلا يمكن أن يصلح لأن يكون قائداً حتى لو عرف وهضم كل الفن والعلم العسكري ، لأن مثل هذه الحالة لا يمكن أن تعالج ، وإذن يمكن لشخص كهذا أن يفيد في لجنة دراسات ، ولكن من غير الممكن أن يكون قائداً . »[٢٥]

والنوع الثاني ــ الذي يطرحه العميد جي نازارث ــ يقع على الطرف النقيض من النوع الأول ، وهو القائد المتبجح المدعي أو الشخص الذي تعوزه البراعة واللياقة في مكان يقتضيهما « يهاجم قبل أن يتبين حقيقة الأمر ، ويعتقد ان قوة القيادة تكمن باتخاذ قرارات فورية حازمة والالتصاق اليها بغض النظر عن الظروف المحيطة بالموقف ، فهو يتخذ القرارات بشأن المعضلة دون سابق معرفة رصينة أو دراسة مفصلة ، ودون أن يظهر أي اندهاش حتى وإن كانت فرص تحقيقها مشكوك فيها » .[٢٦]

وفي هذين الجانبين ، الجانب (الأمين) والجانب (المتبجح) لا يمكن قيادة وحدة عسكرية صغيرة ، فكيف بدولة ؟! وبعد ذلك ما هي عناصر الابداع في قيادتها ؟! ثم نأتي على سؤالنا الأول ، لنجد انهما مغامران ، وليسا بقائدين ، وهناك فرق بين القائد وبين المغامر ، ذلك لأن القائد هو ابن الواقع وهو ابن الموضوعية ، ولكنه ليس عبدها ، وإنما هو سيدها بالارتقاء والتغيير النوعي المتقدم إذن فهو الذي يرى ويفهم الواقع والظروف الموضوعية ولا يطفر من فوقها أو يتجاهلها كما يفعل المغامر وإنما يعيد صياغتها ويضعها في إطار جديد تكون فيه قادرة على ان تحفز الروح والهمم في العمل الى أمام بدلاً من ان تثبطها ، وبذلك يضيف إمكانات جديدة الى الامكانات المرئية بمجرد إعادة صياغة الواقع بفعله

القيـادي ، وبذلـك يضمن القائـد بفعله المبدع تحقيق نتـائج تـاريخية ، والمغـامر قد يضمن تحقيق نتائج معينة ، ولكنها ليست تاريخية ، أي نتائـج تعبويـة صغيرة مجتزأة عن سياقات التطور العام ، إن لم تكن مناقضة له أحيـاناً ، نتـائج ميـدانية صغيرة قد تعقبها كل حالات الكبوات أو الكوارث المحتملة أو الممكنة . » .[٢٧]

بطولة أم طغيان :

ولن نجهد أنفسنا كثيراً في مناقشة مفهومي (البطولة) و (الطغيان) إذ يكمن في مغـزاهما « الفـرق بين نمـوذجين متقـابلين من القيادة والآيـديولـوجية والسلوك والقيم »[٢٨] بـين القيـادة التي تجسـد معنى (البـطولـة) والقيـادة التي تجسـد معنى (الطغيان) وشتان بين القيادتين ، ففي الأولى يتمثـل « السلوك الشريف القـائم على مباديء الحق والصدق والثقة بالنفس والمحبة للآخرين »[٢٩] وفي الثانية يتمثل « السلوك المتزمت القائم على المكابرة وعلى التبرير وعلى التعدي وعلى الكراهية »[٣٠] بل يتخذ الفـرق أبعاداً أعمق فنجـد في ان (البطولـة) ترتكـز على « قيم روحيـة وحضارية إنسانية تستند الى تراث تـاريخي »[٣١] حملته نفسيـة متحررة متحضـرة ، و (طغيان) يرتكز على « قيم شكلية ، فاقدة للروح لأنها منقطعة الصلة بالحضارة وبالايمان الحقيقي بالجماهير ، لأنها تنظر الى الشعب كقطيع تابع فهي قيم فـوقية متخلفة ، لا تدرك معنى الثورة الروحية ، القائمة على الحرية وعلى الروح التقدمية في هـذا العصر »[٣٢] فـالبطولـة ، إذاً ، هي سمة الشخصيـة المنبعثة ، التي تبغي أن تكـون نقيض واقعها ، وان تحقق في ذاتهـا قبل أن تنجـز في الواقـع ، صـورة المستقبل ، المتصالح مع ماضي الأمة ، والمتفاعل بعمق وأصالة مع تيارات العصر ، هي ـ باختصار ـ سمة الانسان العـربي الجديـد ، وهي سمة عهـده ، وجيله ، وقضيتـه[٣٣] فهل هي وفقـاً لهـذا المعنى ، متجسـدة في تلك الـرمـوز ؟! أو بسؤال

أوضح ، هل (البطولة أو القيادة) هما سمتا تلك الشخصيات ، أمْ (الطغيان) و (المغامرة) ؟!

نستطيع القول ، دون تردد ان (العميد الركن) عبدالكريم قاسم و (العقيد الركن) عبدالسلام عارف ، بوصفهما من العسكريين المحترفين ، وليسا من رجال السياسة أو الفكر المعروفين ، فقد أثرت قيادتهما (منذ عام ١٩٥٨ وحتى وفاة عارف) تأثيراً واضحاً وكبيراً على طبيعة الحكومات التي شكلاها وصيغتها المكبلة للحريات العامة وأثرا كذلك بالحياة السياسية والاجتماعية ذاتها فامتد تأثيرهما حتى سنة ١٩٦٨ ، فتلك الفترة التي شهدت أحداثاً سياسية ومخاضات صعبة في العراق والوطن العربي ، كانت تتطلب قادة مبدأيين يضعون مصلحة الوطن والأمة ومستقبلها فوق أي اعتبارات أخرى ، أما ان يخرجا من معطف العسكرية الثقيل ــ آنذاك ــ الى جو ملبد بالغيوم السياسية ، فلا يعني سوى التخبط والضياع وارتكاب الأخطاء ، لسبب واضح هو انهما سيجدان صعوبة في الموازنة بين الحياة العسكرية التي خرجا منها والحياة المدنية السياسية التي دخلا فيها على حين غرة ، وينطبق عليهما وعلى مَنْ نهج نهجهما ، التحليل الذي يرى ان « في مقدمة مَنْ أضر الحياة في هذا الجانب في الثلاثين سنةالأخيرة في بلدان العالم الثالث هم بعض العسكريين الذين كانوا ينظرون الى الحياة كلها من خلال مهنتهم واختصاصهم بما يلحق الأذى على المستوى الستراتيجي بالحياة ويوجد خللا شديداً فيها . . » .[٣٤]

أي بمعنى عدم التفريق والتوازن بين الاختصاص (المهني) الخاص وبين الاختصاص (الشعبي) العام ، ذلك التوازن الذي يجنب الفرد « آفة السقوط في مهاوي النظرة المنغلقة الى المنصب والاختصاص التي وقع فيها كثر في جيوش بلدان العالم الثالث وفي العراق تلك النظرة التي تتحيز الى الجزء وتنسى الكل وتنظر الى الحياة من خلال الاختصاص والمهنة وتخضعهما لهما بدلا من ان تضع الاختصاص وسط الحياة وتجعله في خدمتها » .[٣٥]

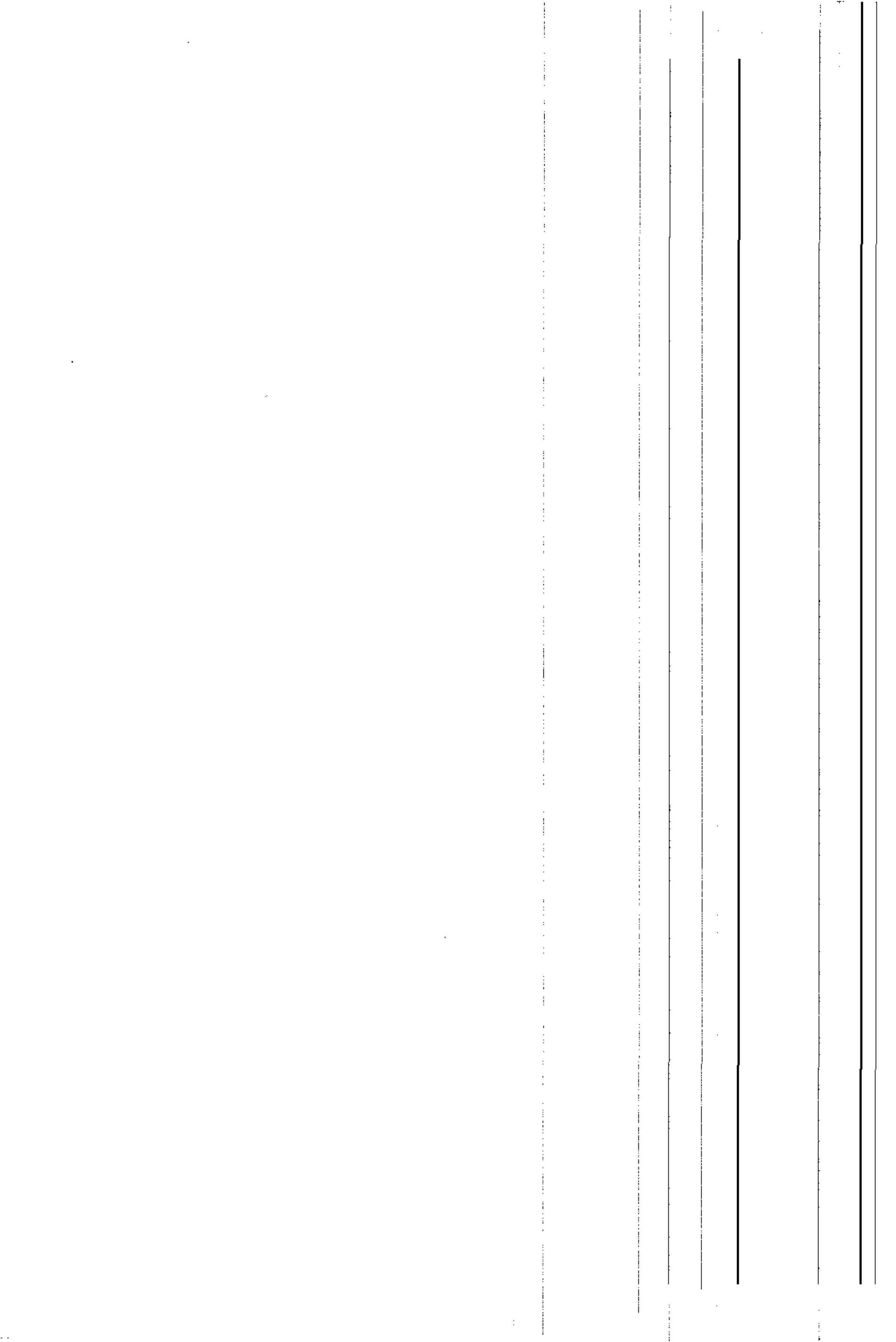
هوامش الفصل الثالث

(١) الاضبارة الشخصية لعبدالكريم قاسم.
(٢) لمعرفة أسماء الذين أعدموا ـ أنظر ـ صبحي عبدالحميد ـ مصدر سبق ذكره ص ٢٠١.
(٣) الاضبارة الشخصية.
(٤) الاضبارة الشخصية.
(٥) المصدر السابق.
(٦) ليث عبدالحسن الزبيدي ـ مصدر سبق ذكره ص ٥٠٢.
(٧) صبحي عبدالحميد ـ مصدر سبق ذكره ص ١٤٦.
(٨) هذه من أبرز نقاط الضعف في العملية.
(٩) ليث عبدالحسن الزبيدي ـ مصدر سبق ذكره ص ٤١٩.
(١٠) المصدر السابق ص ٤١٩.
(١١) شفيق عبدالرزاق السامرائي ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ودوره في السياسة العربية منذ نشأته حتى الانفصال، دار الرشيد للنشر، ج ١، ص ٢٣٨.
(١٢) الحل الأوحد، فؤاد الركابي، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣.
(١٣) المصدر السابق ص ٢٧.
(١٤) نضال البعث، دار الطليعة، بيروت، جـ ٧، ص ١٣٥.
(١٥) أنظر ـ شفيق عبدالرزاق السامرائي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٤.
(١٦) نضال البعث، مصدر سبق ذكره ص ٦٢.
(١٧) صدام حسين، حديث الى عوائل شهداء ثورة رمضان، بتاريخ ١٩٨٠/٢/٩.
(١٨) صالح حسين الجبوري، ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق، دراسة ماجستير مطبوعة بالرونيو، آذار ١٩٨٦، ص ٤٦.
(١٩) لمعرفة الأسماء راجع ـ ليث عبدالحسن الزبيدي ـ مصدر سبق ذكره، والمهداوي هو من مواليد بغداد ١٩١٥، ويمت بالصلة الى الزعيم عبدالكريم قاسم بصلة قرابة، ولم يتميز بشيء في حياته المدرسية ولا في حياته العسكرية، انضم الى حركة الضباط الأحرار قبل عام ١٩٥٨، ترأس المحكة العسكرية العليا الخاصة التي عُرفت (بمحكمة الشعب) ويتذكر الذين عاصروا تلك الفترة انها كانت وسيلة تسلية للجمهور وإضحاكه من خلال حوارات المهداوي مع المتهمين كما كانت اهانة صريحة لحرمة القضاء وانتهاكاً للعدالة.
ـ أنظر لمزيد من التفصيل ـ المحاكمات الأجزاء من ١ ـ الى ٢٢.
كذلك أنظر مجيد خدوري ـ مصدر سبق ذكره ص ١١٠.

(٢٠) محمد مسعود الشابي ـ لا تراجع بل خطوة الى الأمام ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ ص ٥٩ .
(٢١) شبلي العيسمي ـ تاريخ حزب البعث العربي الاشتراكي ـ المرحلة الصعبة ٥٨ ـ ١٩٦٨ ، جـ ٣ ـ بغداد ١٩٨٧ ، ص ١٢٠ .
(٢٢) ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٥ .
(٢٣) مجيد خدوري ـ العراق الجمهوري ، ص ١٠١ .
(٢٤) التفكير السديد للقيادة العسكرية المؤثرة ـ العميد جي نازارث ـ ترجمة اللواء الركن المتقاعد محمد خالد ـ مديرية التطوير القتالي ، كانون الثاني ١٩٨٧ .
(٢٥) صدام حسين ـ المختارات ـ ج ٦ ، ص ٤١ .
(٢٦) التفكير السديد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٩ .
(٢٧) صدام حسين ـ نظرة في خصائص القيادة الناجحة ـ دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٢ ، ص ١٠٤ .
(٢٨) الياس فرح ، معركة العرب القومية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١ .
(٢٩) المصدر السابق ، ص ٢١ .
(٣٠) المصدر السابق ، ص ٢١ .
(٣١) المصدر السابق ، ص ٢١ .
(٣٢) المصدر السابق ، ص ٢١ .
(٣٣) د. الياس فرح ، قراءة منهجية في كتاب في سبيل البعث ، ج ١ ، ط ١ ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٩ .
(٣٤) صدام حسين ، حديث يوم ٢٩ ايار ١٩٨٨ .
(٣٥) المصدر السابق والحديث موجه الى المرحوم عدنان خيرالله الذي كان مثالا في توازن النظرة والعمل بين الاختصاص العام والاختصاص الخاص كما يقرر ذلك الرئيس صدام حسين في حفل التكريم الذي جرى بتاريخ ٢٨ ايار ١٩٨٨ .

الفصل الرابع

شخصية عبدالكريم قاسم



شخصية قاسم :

يتيح لنا الفصل السابق ، أن نواصل البحث في متابعة أمينة لشخصية قاسم منذ البدء.

والحق ، ان قاسم كان ذا شخصية معقدة ، كان من أبرز سماتها الانطواء وقلة الفاعلية منذ صباه وشبابه فيذكر مشتاق طالب « ان عبدالكريم قاسم كان تلميذاً من تلاميذي في بغداد في الثانوية . . كان منعزلاً قليل المخالطة منقبض النفس عابس الوجه »[1] ومما يذكره العميد المتقاعد محمود الدرة ان عبدالكريم قاسم كان يلقب من قبل زملائه حين كان تلميذاً في الكلية العسكرية وحين كان ضابطاً صغيراً في الجيش باسم (كريم أبو جنية) .[2]

ويرى السيد محمد حسنين هيكل ان « عبدالكريم قاسم شخصية من أغرب الشخصيات التي ظهرت على مسرح السياسة العربية الحديثة ، ولعل السيد ــ صديق شنشل ــ لم يخطىء كثيراً عندما وصفه مبكراً في دمشق بأنه نصف مجنون ، ولقد بدت تصرفاته منذ اللحظات الأولى مثيرة للجدل ، فقد شاع فيها نوع من الانفصام يصعب تحليله أو تعليله » .[3]

كان قاسم معقداً من عدة نواحٍ ، فهو شخص أعزب وقد سبق وان تقدم ليقترن بفتاة فرفضته ، ولم يحاول بعدها الزواج ، ويذكر السيد محمد صديق شنشل وزير الارشاد في عهد قاسم « ان زيارات قاسم لمدارس البنات وكذلك زيارات المدارس لقاسم في مقره في وزارة الدفاع كانت لسبب هو ان الفتاة التي خطبها قاسم قبل الثورة ورفضته هي معلمة في إحدى مدارس البنات وعند زيارة وفد المدرسة التي توجد فيها هذه المعلمة رأى حلقة الزواج في يدها ، وعند ذلك منع زيارات المدارس اليه » .[4] وهذا يعني انه كان يعاني إحباطاً شديداً في النواحي العاطفية يصل

حد العقدة النفسية ، ولعل عزوبيته كانت سبباً فيما نقل عنه من ان لا قيمة له للوقت ولا للمواعيد ولا يهمه ما يأكل وفي أكثر الأحيان كان يأتيه الطعام من منزل أخيه حامد .(*)

كان رجلا عادياً ، ثقافته محدودة ، وليس ثمة ما يشير الى انه كان يقرأ شيئاً ، بل ان العميد الركن المتقاعد جاسم العزاوي يشير الى ان « قاسم لم يقرأ منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وحتى ٨ شباط ١٩٦٣ كتاباً واحداً ، انه كان ثلاثة أرباع الأمي وهذه هي عقدة عبدالكريم قاسم »(٦) ثم انه بلا عقيدة سياسية محددة ، ويمكن القول انه كان غامضاً في اتجاهاته الحقيقية قبل الثورة وبعدها ، كتوماً شديد الكتمان ، ويبدو انه كان موضع تساؤل من الضباط الأحرار قبل الثورة ، يؤكد هذا ما ذكره العقيد المتقاعد نعمان ماهر الكنعاني من ان الآراء كانت متناقضة في أمره ، حيث دار قبل الثورة حديث عنه « هل هو شيوعي أو يساري ؟! قال لي فائق السامرائي انه شيوعي ، وقلت لرفعة الحاج سري ان فائق يقول انه شيوعي فقال رفعة انه من الذين يميلون الى الاصلاحات ، قلت هذا الرأي الى شكيب الفضلي فقال لا تصدق ، ان له علاقة محدودة بالحزب الوطني الديمقراطي » .(٧)

وأبلغ المشير عبدالحكيم عامر الوفد العراقي المؤلف من علي صالح السعدي وصالح مهدي عماش وطالب شبيب في ١٩٦٣/٢/٢٠ ان السكرتير العام للحزب الشيوعي السوفيتي (خروشوف) قد قال للمشير بعد ان استفسر الأخير عن سبب دعم السوفيت لقاسم « كيف لا ندافع عنه وهو عضو في الحزب الشيوعي منذ عام ١٩٥٦ ؟ » .(٨)

وقد ذكر قاسم خلال المقابلة الصحفية مع السيد « انتوني ناتنك » الوزير البريطاني آنذاك :

« إنني دائماً فوق الميول وفوق الاتجاهات وانني لا أنتمي الى فئة معينة أو اتجاه معين بل انني أنتمي لمجموع الشعب وأعمل مع الجميع واراعي مصلحة الجميع

وأسير مع الجميع . » . [٩]

ولقد استطاع بهذه التعابير أن ينجح في كسب العامة اليه كما أكتسبهم بالاصلاحات في بغداد الخمسينات التي كانت بحاجة فعلا الى مَن يصلح ميادينها المهملة وشوارعها ومحلاتها .

أما عقدة السيطرة وتوكيد الذات فقد ظهرت بوضوح في ناحيتين :

الأولى : « تصفية قاسم لخصومه الواحد تلو الآخر ـ الكيلاني ، الشواف ـ الطبقجلي ـ عارف . . الخ »[١٠] ويذكر (الشهيد) العميد الركن ناظم الطبقجلي « علمتني تجاربي الطويلة مع الزعيم عبدالكريم قاسم انه لا يحسن شيئاً أكثر من الدس بين قادة الثورة والوقيعة بين الأصدقاء واشاعة الريبة في النفوس ليخلو له الجو بعد ان يضرب الواحد بالآخر . وقد يستخدم الاغراء في أحيان كثيرة لبلوغ هذه المقاصد ، فهو يتواضع ويتذلل عندما يرغب في الوصول الى حاجته ويتنمر ويتجبر عندما يجد الظروف مساعدة له ، فقد أعد مخططات كثيرة للتخلص من قادة الثورة والغاء اجتماعاتهم الشهرية المعروفة إذ كان يدرك ان وجود القادة يحول دون استئثاره وانفراده بالسلطة المطلقة ولهذا أبىٰ أن لا يقرّب اليه إلا المطاوعين الذين ينفذون ما يريد من غير مناقشة أو اعتراض وقد تم له ذلك بطرق خاصة لا أدري من أين استمدها . . وهو المعروف بلوثة العقل » . [١١]

والثانية : « احاطة نفسه بهالة من الأضواء التي ركزت على شخصيته بشكل ملفت للنظر . » . [١٢]

ولعل هذا الأمر يبدو مشروعاً وطبيعياً لو انه جاء عفوياً ومطابقاً لسياسة مقنعة وعميقة تجمع حولها كل أبناء الوطن الواحد وتشع بالتجربة والتفاعل الحي مع الوطن العربي والعالم .

وإذا كنت تتلمس في كل المناضلين والزعماء الكبار والمفكرين والاعلام ،

ملامح القيادة والنضوج والمعرفة المبكرة ، أيام طفولتهم وصباهم ، وأيام كانوا خارج السلطة ، يؤدون أعمالهم كبقية المواطنين ، مع فارق الوعي والتميز ، فأنت لا تجد عند عبدالكريم قاسم إن تأملت حياته منذ البداية شيئاً يُذكر سوى عزلته وانطوائه .

ولد عبدالكريم قاسم في الدار المرقمة ١٢ / ١٥٩ في محلة المهدية ببغداد في عام ١٩١٤م ــ كما هو معلن ــ وهو تاريخ غير دقيق ، إذ أجرى قاسم تصحيحاً في مواليده من ١٩١٠ الى ١٩١٤ ، أما في دفتر خدمته الأصلي فقد ورد انه من مواليد ١٩١٢ وهو الأصح[١٣] والده قاسم بن محمد البكر الزبيدي ووالدته كيفية حسن اليعقوبي . وكان أصغر أخوته وهم حامد وعبداللطيف وله شقيقتان . انتقل مع عائلته الى الصويرة ودخل مدرسة الصويرة الابتدائية عام ١٩٢١ واستمر فيها الى الصف الرابع الابتدائي عندما عاد والده عام ١٩٢٦ الى بغداد وسكن في محلة قنبر علي . ثم واصل دراسته في مدرسة الرصافة الابتدائية وتخرج منها عام ١٩٢٧ وأنهى دراسته الاعدادية متخرجاً من الفرع الأدبي .[١٤]

وإذا تجاوزنا طفولته المبكرة والعادية حيث لا نعثر على مصدر أمين يصفها بدقة ، فاننا نجده وقد عين معلماً في مدرسة الشامية الابتدائية بتاريخ ٢٢ تشرين أول ١٩٣١ براتب قدره (١٤٥) روبية . وكان عمره آنذاك ثمانية عشر عاماً بلا تميز يذكر .[٩]

وما يلبث مدير المدرسة أن يفاجأ بغياب المعلم قاسم في السنة التالية دون سابق انذار ودون إذن ، فيكتب الى مدير معارف منطقة البصرة يخبره بما حدث : « الى مديرية معارف منطقة البصرة في ١٩٣٢/١٠/١ فتحت المدرسة في صباح السبت المصادف ١ تشرين الأول ١٩٣٢ وحضر المعلمون والطلاب عدا المعلم عبدالكريم قاسم . لحد الآن لم يحضر المدرسة وباشر المعلمون بالتدريس من صباح اليوم . هذا ما لزم عرضه للاطلاع ودمتم . . » .[١٥]

وعلى هذا الأساس ، أعتبر بحكم المستقيل من التعليم اعتباراً من تاريخ

غيابه. وبالطبع فان مدير معارف البصرة ومدير مدرسة الشامية ، لم يفكرا كثيراً بأمر غياب المعلم المذكور واعتبرا ان عدم حضوره في يوم الافتتاح استهانة بتقاليد التعليم ، ولكنهم لو كانوا يعلمون ما فعل حقيقة ، لتدبروا الأمر على نحو آخر ، ربما لأخبروا جهة أعلى عما حدث ، ذلك ان قاسم كان قد تقدم بأوراقه الى الكلية العسكرية الملكية وقبل فيها يوم ١٩٣٢/٩/١٥ أي قبل صدور استقالته بأسبوعين ، ويبدو ان مهنة التعليم لم تعجبه ، فعافها في أول فرصة لأنها تتطلب استقراراً وتحملاً للمتاعب ، وهو يقول عن ذلك : « سبق لي وان اشتغلت بمهنة التعليم مدة من الزمن وخبرت بنفسي الصعوبات والمصاعب. . »[١٦] رغم انه لم يعمل سوى سنة دراسية واحدة.

وأمضى أيامه في الكلية العسكرية منطوياً على نفسه لا يخالط أحداً. . ولم تشهد هذه الفترة من حياته أي تميز حتى إذا جاء عام ١٩٣٧ واشترك في دورة للسياقة في مدرسة النقلية الآلية ، أُصيب بأول انتكاسة نفسية خطيرة ، حين فشل في السياقة. وكتب عريضة يوم ١٩٣٧/٨/٢ شرح فيها معاناته بسبب الفشل في الدورة ، معتبراً ان فشله كان مقصوداً من قبل اللجنة وان بعض الضباط في الدورة أقل منه مستوى ولكنهم نجحوا. . ويتألم أكثر لأنهم أعادوه الى مستودع مشاة الحلة بسبب درجاته الضعيفة في السياقة[١٧] ويبدو انه كان يعلق آمالاً على نجاحه في الدورة ليكون ضابطاً آلياً بدلاً من (مشاة). . ودرس اعتراضه لكن وجد ان درجاته مطابقة وقدرته على السياقة في الأراضي المنبسطة ضعيفة ، فأُصيب بتهيج عصبي وعُرض على لجنة طبية في ١٩٣٧/٩/٢٠ والغريب انه لم يعبأ بأمر ترقيته الى رتبة ملازم أول في أيلول من ذلك العام بل بقي أسير فشله فصدر القرار التالي من اللجنة الطبية : « اجتمعت اللجنة الطبية وفحصت ملازم أول عبدالكريم قاسم المنسوب الى مستودع مشاة الحلة ، فوجدته مصاباً بالتهيج العصبي وتوصي بمنحه سبعة أيام. ».[١٨]

ولقد ذكرت بعض المصادر هذه المسألة على غير حقيقتها للأسف ، ومنها دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ حيث ذكرت بانه كان ناجحاً ومتفوقاً في الدورة.[١٩]

هذا الفشل المبكر ، وتلك الاجازة ، ستشكلان في حياة قاسم منعطفاً هاماً في حياته. . فمن جهة ازداد انطواءً على انطواء وبات في توجس وشك بالآخرين ، ومن جهة أخرى ، وجد أو اكتشف ان الاجازات يمكن ان تخفف من آلامه النفسية . . ويمكن معها أن يؤدي أعماله بطريقة لا تعود عليه بالتعب أو الارهاق . . وما تلبث أن تظهر نتائج ذلك في أول تقرير سري سنوي يكتبه عنه العقيد آمر لواء المشاة الثاني يوم ١٧/٥/١٩٣٨ وعلى النحو التالي : « الملازم أول عبدالكريم قاسم المنسوب الى فوج الثاني لواء الثاني يشتغل تحت المراقبة الشديدة. . ».[٢٠]

ثم حصل عبدالكريم قاسم على قرار اللجنة الطبية بكتابها المؤرخ في ٩/١٠/١٩٣٨ والذي يشير الى ان « اللجنة الطبية فحصت الملازم أول عبدالكريم قاسم المنسوب الى مدرسة العسكرية الملكية الناقه من (الملاريا مع ضعف وبلهارزيا) فأوصت بمنحه ٣٠ يوماً اجازة مرضية. . ».[٢١]

أمراض عبدالكريم قاسم :

وهكذا أصبح الرجل في ظرف سنة مصاباً بالتهيج العصبي والملاريا والضعف والبلهارزيا.

ثم تطور الأمر الى حالة غريبة حقاً ، فقد كاد عبدالكريم قاسم أن يحاكم ويطرد من الجيش لأن آمر الكلية العسكرية الملكية اعتقد ان المريض ذيّل الاجازة كنوعٍ من التزوير. . وكتب على نحوٍ سري كتاباً الى الطبيب الأول لمستشفى الرشيد العسكري مؤرخ في ٢٨/١١/١٩٣٩ يستفسر فيه عما يلي :

من آمر الكلية العسكرية الملكية

الى / الطبيب الأول لمستشفى الرشيد العسكري

م / استفسار

« نعيد اليكم كتابكم المرقم ٢٢٦٢ في ١٩٣٩/١١/٢٣ وأرجو ملاحظة الحاشية الموقعة من قبل أحد الأطباء في ذيل الكتاب وانبائنا عن صحة ما جاء فيها إذ اننا نشك في ان الكتابة الأخيرة في الحاشية ليست من كتابة الطبيب الموقع نفسه وربما أضافها شخص آخر. . ».[٢٢]

ويكتب في ١٩٤٦/٨/٢٦ طالباً اجازة لمدة (١٢٠) يوماً للسفر خارج العراق يقضيها في سوريا ولبنان وفلسطين ومصر وانكلترا وتركيا وإيران وسببها العلاج أيضاً.

وتحصل الموافقة بعد أشهر ويمضي في رحلته. . وفي لندن ينفض كل أمراضه دفعة واحدة فيفعل الشيء الغريب. . وعلى النحو التالي كما يشير كتاب دار التمريض في لندن :

في ١٩٤٧/١/١٤ يدخل دار التمريض في لندن لاصابته بحمى الباراتيفوئيد.

وفي ١٩٤٧/٤/١٠ يجري عملية الزوائد في الأنف.

وفي ١٩٤٧/٤/١١ يدخل دار التمريض لمعالجة الضعف العام.

وفي ١٩٤٧/٦/١٥ يجري عملية انسداد الأنف.

وفي ١٩٤٧/٦/١٩ يدخل مرة أخرى لمعالجة الضعف العام وحمى الباراتيفوئيد.[٢٣]

لكن السفير العراقي في لندن يبرق تقريراً الى الخارجية بتاريخ ١٩٤٧/٩/١٦ يقول فيه :

« إن الموما اليه كان يعالج في لندن من مرض الباراتيفوئيد. . ».[٢٤] وتذكر بعض المصادر انه أجرى في لندن عملية تجميلية لشفته العليا ونعتقد انه كان يعالج

من مرض آخر حرص على أن لا يذيعه كما تكشف طريقته الغريبة في العلاج والالحاح على السفر.[٢٥]

وحين يعود عبدالكريم قاسم الى العراق ، يطالب بما صرفه في لندن للعلاج ، شاكياً في عرائض عديدة الى وزير الدفاع والى رئيس أركان الجيش في حينه ، ان مرضه (أثناء الخدمة ومن جرائها) وان ما صرفه يجب أن يُدفع اليه . . ثم كتب عرائض أخرى يقول فيها ان تلك الأمراض لحقت به نتيجة عمله في حركات الشمال.[٢٦]

غير ان أمراضه القديمة وطريقة علاجها مرة واحدة ، تسترعي الانتباه ، ويبدو ان المراجع العليا اكتشفت خطأ الطلب من الوجهة القانونية ، فقد أرسل العميد الركن مدير الادارة في ١٩٤٨/٣/٢٤ كتاباً الى قائد الفرقة الثانية يقول فيه :

« ان قضية المقدم الركن عبدالكريم قاسم معاون مدير الادارة لفرقتكم ، قد درست درساً دقيقاً من الوجهتين القانونية والادارية في مرحلتها الأولى وثبت عدم أحقيته بمطالبته بالمصاريف . . ».[٢٧]

ونترك مسألة المصاريف ، برهة وجيزة ، ونتابع أمراضه ، فنجد ان المريض قد كتب عريضة أخرى في ١٩٤٩/٧/١٩ يطلب فيها اجازة لمدة (٩٠) يوماً يقضيها في سوريا ولبنان وإيران.[٢٨]

ثم يكتب في ١٩٥٥/٧/١٧ عريضة أخرى يطلب فيها اجازة لمدة (٤٥) يوماً يقضيها في سوريا ولبنان ومصر وانكلترا والمانيا الغربية وإيطاليا.

وكانت أمراضه التي طلب معالجتها هذه المرة هي :

آ ــ خراج في الفخذ مع حرارة عالية.

ب ــ اسهال مع مغص معوي.

جـ ــ التهاب المعدة المزمن.

د ــ ضعف عام شديد.

هـ ـ التهاب الجيوب الوجهية المزمن.

و ـ الزحار.[٢٩]

وظل عبدالكريم قاسم يلح في طلب ما صرفه في رحلته الأولى دون جدوى ، حتى إذا أصبح رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع ، كتب يطلب استحصال موافقة رئاسة ديوان مجلس الوزراء على صرف مبلغ (٩١٧) ديناراً حين كان برتبة مقدم ركن.

والطريف انه وقع الكتاب المرفوع الى مجلس الوزراء بتاريخ ١٩٦٠/٢/٢٨ بنفسه ، وصرف له المبلغ بتاريخ ١٩٦٠/٣/٢ وبدون تأخير هذه المرة.

ولأنه هدأ من قضية شغلته اثنى عشر عاماً حتى وإن كان هو الذي وقع فيها أمر الصرف ، فقد أعاد المبلغ متبرعاً به لتحرير فلسطين.[٣٠]

إن هذا التمسك الغريب بموضوع اعتيادي عدة سنين ، له دلالاته في علم النفس ، أما أمراضه فنحن لا نعترض على ما يصيب الانسان من علل ليس له يد فيها ، ولكن من المعقول ان نعرضها كجانب من جوانب الشخصية كي يكون الحكم على مجمل تصرفاتها سليماً وقريباً من الحقيقة ، رغم ان هذا الربط في البحث والدراسة جديد على القارىء « فالعلاقة بين الطب والسياسة علاقة غير معروفة بالنسبة لأغلب السياسيين ، والمثقفين في بلادنا. بل ، انها علاقة تبدو ـ في كثير من الأحيان ـ لا وجود لها ، فليس من المعتاد أن نقرأ تفسيراً طبياً للتاريخ . . وليس من المعتاد أن يفهم السياسيون في الطب ، مع ان بعض الأطباء يفهمون في السياسة »[٣١] وقد وجدت ان معرفة هذه العلاقة ضرورة ، عندما رحت أفتش عن اجابات لأسئلة حائرة حول العديد من سلوكيات قاسم.

اراء في شخصية عبدالكريم قاسم :

ولكي تكون الصورة التي نرسمها عن شخصية عبدالكريم قاسم شاملة ، نتوقف عند آراء آمريه به ولعدة سنوات ، وسنجد مؤشرات كثيرة لاحظها آمروه عنه وهي تدلنا على صفاته ، وخصائله التي حملها وهو في قمة المسؤولية .

ففي عام ١٩٤٢ كتب الزعيم وكيل آمر كلية الأركان عن (الرائد) عبدالكريم قاسم المتخرج في الدورة السابعة للأركان انه « عصبي المزاج ـ يميل الى التفاخر بانجاز واجبه » .[٣٢]

وفي ١٩٤٤/٢/٢٠ تلقى عبدالكريم قاسم وكان يشغل منصب مقدم لواء المشاة الثالث . . التقرير التالي بتوقيع وزير الدفاع :

« بناء على التقرير السري لسنة ١٩٤٤ المرفوع عنك ظهر بأنك :

١ ـ كثير النسيان حتى في واجبك .

٢ ـ بطيء العمل جداً .

٣ ـ كثير التشبث لأخذ الاجازات .

٤ ـ غير مرتبط بواجبك ولا تصلح لمنصبك .

وعليه نطلب اليك اصلاح حالك . وأأمل أن أسمع عنك في التقرير السري السنوي المقبل ما يسرني وفي عكس ذلك سنتخذ الاجراءات الصارمة بحقك » .[٣٣]

وفي ١٩٤٦/٨/٢٥ تلقى عبدالكريم قاسم تحذيراً آخر من وزير الدفاع وبالصيغة التالية :

« جاء في تقريرك السري السنوي المرفوع بحقك لسنة ١٩٤٦ ما يلي :

١ ـ تصلح لوظيفتك الحالية وتتمكن من انجاز واجباتك .

٢ ـ حريص جداً . تحب المسؤولية . ذو تشبث شخصي ممتاز . دقيق في أعمالك .

٣ ـ يوثق بك ويعتمد عليك. عصبي المزاج.
لكن ملحوظات قائد الفرقة انه لا يشارك رأي آمر الجحفل تماماً.
إنك ضابط متوسط، ولست دقيقاً وحريصاً. وعليه أطلب منك الاستمرار على الصفات الجيدة الواردة في تقرير آمر الجحفل واصلاح النقاط الواردة في ملحوظات قائد الفرقة في المستقبل.[٣٤]

وفي عام ١٩٤٩ وكان عبدالكريم قاسم برتبة مقدم ركن وبمنصب آمر فوج الأول لواء الأول كتب عنه آمر جحفل الأول يقول: «آمر وحدة جريء الى حد التهور، مندفع في مصالح وحدته وضبطها».[٣٥]

وكتب قائد الفرقة الثالثة بتاريخ ١٩٥٤/٦/١٢ في تقريره السري عن العقيد الركن عبدالكريم قاسم آمر لواء التاسع عشر يصفه بأنه «حريص، أمين، ذو أخلاق متينة يعتمد عليه جداً، هذا علمي به منذ ان اشتغلنا معاً في اللواء الأول وفي حركات فلسطين ويمتاز بشيء واحد هو عدم الاستقرار في مقره..».[٣٦]

وفي ١٩٥٧/٣/١١ كتب قائد الفرقة الثالثة عنه وكان يشغل منصب آمر اللواء التاسع عشر:

«عصبي ولكنه يضبط نفسه، ضابط ركن جيد، مخلص بواجبه، وأمين في أعماله، كريم النفس، لطيف المعشر، نزيه جريء ومندفع، له نظرة طيبة في الأمور الادارية والتنظيم، لطيبة نفسه ينخدع أحياناً الى حد التحيز، ليس من طبعه الاستقرار والانتظار في محل واحد..».[٣٧]

أما آخر تقرير سري سنوي كتبه اللواء الركن غازي الداغستاني قائد الفرقة الثالثة في ١٩٥٨/٥/٣٠ فيصفه بأنه:

«يتسرع أحياناً في قراراته، أما خصاله الأخرى فهو ضابط شجاع يؤدي واجبه بأمانة..».[٣٨]

ونورد هنا نص التقرير كما ملأه قاسم بخط يده في الفقرات (آ) و (ب)

و (ج) و (د) و (ز) :

« آ ــ الرتبة : الزعيم الركن عبدالكريم قاسم

ب ــ الوحدة : لواء مش ١٩ .

جـ ــ الوزن : ٧٥ كغم .

د ــ الطول : ١٧٥ سم .

هـ ــ هل يصلح لوظيفته : نعم

و ــ هل تمكن من انجاز واجبات وظيفية أعلى : نعم

ز ــ اللغات التي يتكلم بها كتابة وقراءة : العربية/ الانكليزية/ وقليل من الكردية .

ح ــ سرعة الخاطر والقرار : جيد غير انه يتسرع أحياناً في قراراته .

ي ــ مزايا وخصال أخرى : ضابط شجاع يؤدي واجبه بأمانة واخلاص ويعمل دون كلل .

ك ــ مدة العمل بصحبة كاتب التقرير : ٤٧ شهراً » . (٣٩)

ومن المفيد أن نذكر ان عبدالكريم قاسم شغل من رتبة ملازم ثانٍ الى رتبة فريق ركن المناصب العسكرية التالية :

آمر فصيل فوج الثالث ، آمر فصيل في مستودع الحلة ، مساعد فوج الثاني لواء الثاني ، آمر فصيل في المدرسة العسكرية الملكية ، طالب في كلية الأركان ، مقدم لواء الرابع عشر ، مقدم لواء السابع ، مقدم لواء الثالث ، آمر فوج الثالث لواء الثالث ، معاون مدير ادارة الفرقة الثانية ، معاون مدير ادارة للقوات العراقية في شرق الأردن ، آمر فوج الثاني لواء الأول ، آمر فوج الأول لواء الأول ، معاون مدير العينة ، آمر لواء التاسع عشر ، القائد العام للقوات المسلحة رئيس الوزراء ووكيل وزير الدفاع . (٤٠)

وهنا نلاحظ انه لم يعمل عملاً واحداً خارج الاطار العسكري (المهني)

الصرف ، كما نلاحظ انه ذكر في جميع تقاريره السرية السنوية وبخط يده انه يجيد اللغات (العربية والانكليزية والكردية) . . ولا نعرف أين وكيف تعلم الكردية غير ان العقيد المتقاعد نعمان ماهر الكنعاني ـ سكرتير عبدالكريم قاسم لشؤون الصحافة آنذاك يذكر : « ان عبدالكريم قاسم يحقد على القومية العربية منذ البداية »[41] وانه « لا يميل حتى الى سماع اسم العروبة »[42] ويضيف الكنعاني قائلاً « ويبدو لي ان السبب ناتج عن عاملين الأول عامل شعوري بانه منحدر من أصل غير عربي ، والثاني عامل ذاتي نتيجة مقتل ابن عمته اللواء محمد علي جواد قائد القوة الجوية في عهد بكر صدقي تم قتله مع بكر صدقي على يد الضباط القوميين العرب في مدينة الموصل »[43] ويذكر أيضاً « لذلك فقد كانت نزعته ضد القومية العربية واضحة وضد مدينة الموصل بالذات ، لذلك نراه قد استباح المدينة عند حدوث حركة الشواف فيها في آذار ١٩٥٩ » .[44]

وإذا طالعنا بقية آراء معاصريه بشخصيته[45] نلاحظ ، التناقض والحيرة في التقييم .

ومن تدقيقنا لأمراض قاسم وسيرته العسكرية وآراء آمريه به ، نستنتج انه كان مصاباً « بسوء التوافق العام » .

ولهذا المرض مظاهر شتى ودرجات تختلف شدة وعنفاً . فقد يبدو في صورة انحراف خفيف ، أو سلوك غريب لا يكاد يوصف بالشذوذ ، أو في صورة مشكلة سلوكية . . أو في صورة تمرد شديد وميل الى الانطواء .

ولسوء التوافق العام أسباب بيولوجية أو نفسية اجتماعية شتى ، فمن الأسباب البيولوجية عطب أو تلف في الجهاز العصبي أوالجهاز الغدي . ومن الأسباب النفسية الاجتماعية صراعات داخلية وخارجية موصولة . شعورية ولا شعورية تنجم عن احباط شديد لحاجات الفرد الأساسية ودوافعه الحيوية .[46] ويرجح البعض ان (قاسم كان ذو شخصية حوازية)

(Obssesional Personality)(*) حيث تتصف هذه الشخصية بالسمات التالية :

١ ـ الافتقار الى المرونة (شخصية متصلبة Rigid personality) .

٢ ـ الاهتمام بالنظافة والتنظيم والانشغال بالتفاصيل حتى التافه منها .

٣ ـ تكرار التدقيق وتوخي الحذر الشديد ، وعدم اتخاذ موقف أو رأي قاطع .

٤ ـ الشك والارتياب .

٥ ـ اضطرابات مقلقة ومزمنة في البدن ، من أبرز مظاهرها هياج القولون أو اضطراب يعطي أعراضاً مشابهة في معظم الأحيان لأعراض التهابات الأمعاء المزمنة .

٦ ـ الميل الى الانطواء وتفضيل حياة العزلة وعدم تقبل مخالطة الآخرين إلا تحت الحاح الظروف والضرورة التي لا يمكن تجنبها .

٧ ـ طموح مع سعي لتوكيد الذات تزكيهما ميول عدوانية شديدة تختفي جميعها خلف قناع من الخجل والتردد والتأدب المبالغ به .

٨ ـ التقتير حد البخل أحياناً .

٩ ـ الرغبة بالظهور كمثال للطهر والعفة والابتعاد عن المغريات الدنيوية .

١٠ ـ الافتقار الى النضوج العاطفي الكافي لاقامة علاقات حميمة أو عاطفية ، مما يجعله لا يقدم على الزواج إلا تحت الضغوط الاجتماعية والعائلية ، وفي العادة تتعرض الحياة الزوجية الى التعثر.

من المفيد ، في الختام ، الاشارة الى ان الشخصية الحوازية لا تعد مرضية إلا في بعض حالاتها المتطرفة ، أي عندما تصبح معطلة للنشاط الحياتي المنتج . إلا ان الشخص ذو الشخصية الحوازية يعيش ، عموماً ، على حافة المجال الطبيعي ، إن جاز التعبير. لذا فان انطباعات الناس تتباين تبايناً واضحاً حسب الزاوية التي ينظرون منها اليه ، وبحسب السمات التي يلمسونها فيه بحكم طبيعة

العلاقة أو الصلة التي تربطهم به. فالبعض يجد فيه عنواناً للفضيلة والعفة والحرص والتفاني والبعض الآخر يجده مثالاً للضعف والارتياب والاستغراق في الذاتية. إلا ان الشيء الذي لا جدال فيه هو ان شخصاً له مثل هذه السمات لا يصلح قطعاً لقيادة دولة. ». [٤٧]

لقد أغفلت الدراسات السياسية التي تناولت تلك الفترة ، الجانب النفسي الخطير في شخصية قاسم ، فانطوائه الشديد في الطفولة والشباب ، وعدم زواجه وتقلّب مزاجه ، وعدم استقراره ، كل ذلك يحتاج الى دراسة نفسية عميقة لمعرفة جوانب حياة رجل قدر له أن يمسك بدفة السفينة ، ويقودها مؤثراً عبر رحلتها القصيرة بما تلاه من أحداث.

إن حياة الانسان الخاصة ، جزء لا يتجزأ من حياته العامة ، وتأثيرهما متبادل ، فما بالك إذا كان هذا الانسان في موقع الحاكم والزعيم ؟!

لقد أثبتت التجارب ان القادة أنفسهم يمكن ان يقوموا بدور حاسم ، سواء في توجيه المعطيات والظروف الى الأزمة ، ومن ثم الى الصراع والانفجار ، أو في تحمّل المصاعب والصبر على الأزمات والتعامل مع الحالات المعقدة بحكمة. [٤٨]

ونستطيع بوضوح ان ندرك حجم الأزمات التي فجرها قاسم ، كما نستطيع أن نجد تعليلاً لتلك السمة من التصلب التي قاد بها العراق في دكتاتورية مكبلة للحريات والتي كان ينفس فيها عن مكبوتات نفسية كثيرة من أسوأها على الاطلاق تأليبه القوى السياسية في الداخل بعضها ضد بعض.

هوامش الفصل الرابع

(١) مشتاق طالب ، أوراق أيامي ج ١ ، دار الطليعة ، بيروت ، ص ٥٦٨ .
(٢) ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٢٥ .
(٣) محمد حسنين هيكل ، سنوات الغليان ، جريدة (القبس) ، العدد ٥٩٣٧ ، الاثنين ١٩٨٨/١١/٢ ، ص ١٠ .
(٤) ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨٧ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .
(٦) المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .
(٧) الذاكرة التاريخية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣٥ .
(٨) صالح مهدي عماش ، مصدر سبق ذكره .
(٩) ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣٢ .
(١٠) المصدر السابق ، ص ٣٣٦ .
(١١) مذكرات الطبقجلي ، ط ٢ ، بغداد ، مطبعة الزمان ، ١٩٨٥ ، ص ٣٢٠ .
(١٢) ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣٦ .
(١٣) الأضبارة الشخصية من وثائق وزارة الدفاع العراقية .
(١٤) ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٣ . كذلك انظر مجيد خدوري ، العراق الجمهوري ، ص ١٠١ .
(*) المعلومات من اضبارة قاسم الشخصية .
(١٥) الاضبارة الشخصية لعبدالكريم قاسم ، من ملفات وزارة الدفاع .
(١٦) من خطب الزعيم ، وزارة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٠ .
(١٧) الاضبارة الشخصية ، مصدر سبق ذكره .
(١٨) المصدر السابق .
(١٩) انظر دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ . كذلك أنظر أحمد فوزي (عبدالكريم قاسم وأيامه الأخيرة) .
(٢٠) الاضبارة الشخصية ، مصدر سبق ذكره .
(٢١) المصدر السابق .
(٢٢) المصدر السابق .
(٢٣) المصدر السابق .

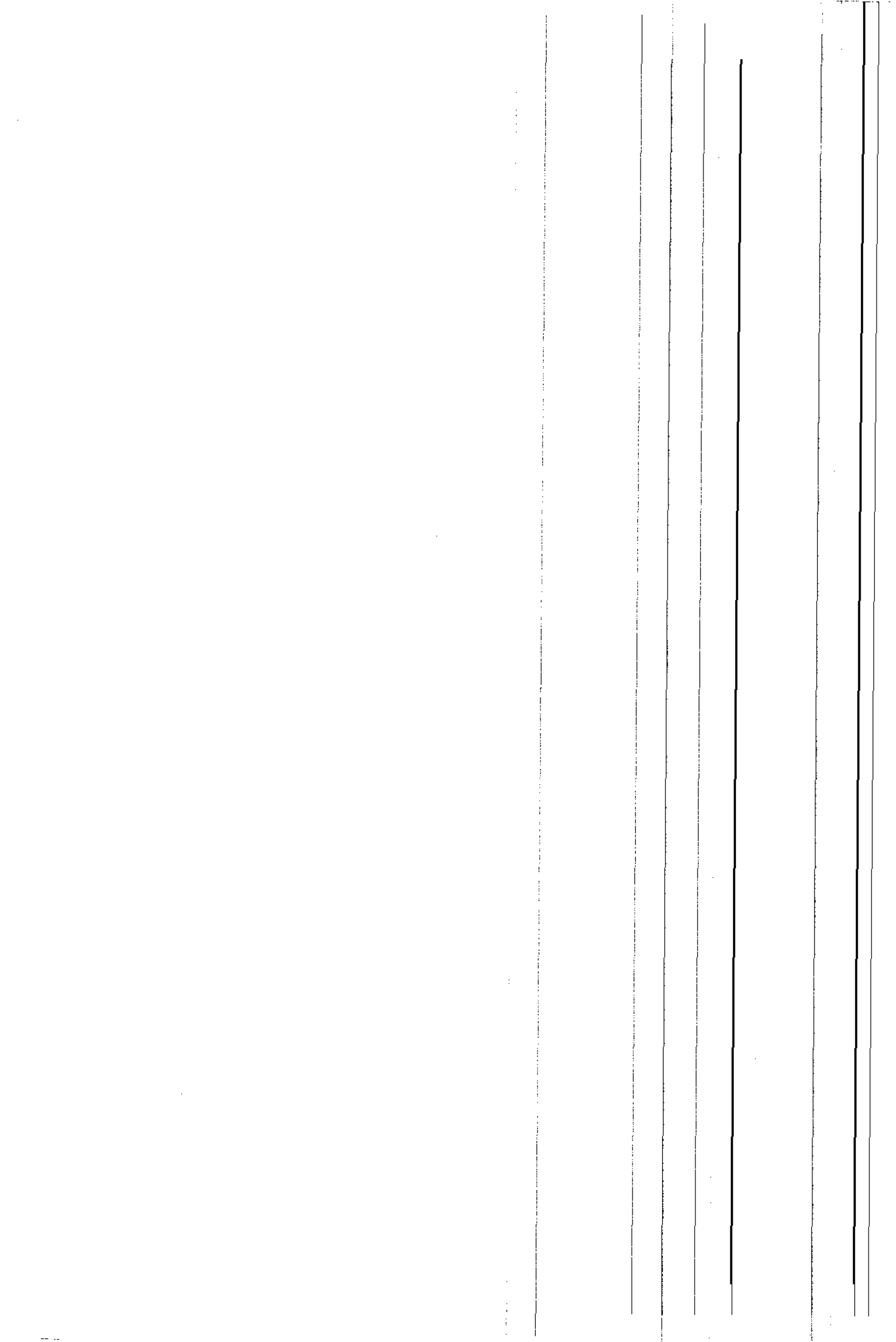
(٢٤) المصدر السابق.
(٢٥) الباراتيفوئيد : هو حمى معوية لا تحتاج في رأي الأطباء الى العلاج في لندن ومن هنا جاء استنتاجنا بأن المريض كان يُعالج من مرض آخر.
(٢٦) الاضبارة الشخصية.
(٢٧) المصدر السابق.
(٢٨) المصدر السابق.
(٢٩) المصدر السابق بينما ذكر دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، ص٣١٧ انه سافر في أيلول عام ١٩٥٠ للمشاركة في دورة التعبئة وسافر الى تركيا في نيسان عام ١٩٥٥ لحضور مناورات الجيش التركي ولم نجد تأشيراً لذلك في اضبارته.
(٣٠) عرائض ومستندات رسمية في الاضبارة الشخصية.
(٣١) عادل حمودة، عبدالناصر، أسرار المرض والاغتيال ، صحيفة الأنباء الكويتية ، العدد ٤٥٩٤ في ١٥/١٠/١٩٨٨ ، ص ٢٧.
(٣٢) عرائض ومستندات رسمية في الاضبارة الشخصية.
(٣٣) المصدر السابق. مع الاشارة الى ان هذه الصيغة الغيت في الجيش بعد توسعه وازدياد عدد ضباطه أما التقارير السرية السنوية فما زالت مستمرة ترفع كل عام بجدية في تقييم دقيق وسرية تامة.
(٣٤) المصدر السابق.
(٣٥) المصدر السابق.
(٣٦) المصدر السابق.
(٣٧) المصدر السابق.
(٣٨) المصدر السابق.
(٣٩) الاضبارة الشخصية.
(٤٠) المصدر السابق.
(٤١) ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٩٨.
(٤٢) المصدر السابق ، ص ٣٩٩.
(٤٣) المصدر السابق.
(٤٤) المصدر السابق.
(٤٥) طالع بعض تلك الآراء ص ٣٨٨ وما بعدها من كتاب السيد ليث عبدالحسن الزبيدي. وكذلك ص ٢١٢ وما بعدها من كتاب الذاكرة التاريخية ، مصدران سبقت الاشارة اليهما.
(٤٦) انظر د. أحمد عزت راجح ، أصول علم النفس ، ط ٨ ، ١٩٧٠ ، الاسكندرية ، ص ٥٦٨.
(*) يمكن ترجمتها «الاستحواذية» «التسلطية».

(٤٧) رسالة شخصية تلقاها الباحث من الدكتور طه ياسين النعمة اختصاصي الأمراض النفسية في مستشفى الرشيد العسكري.

(٤٨) التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع، ١٩٨٢، ص٢٧.

الفصل الخامس

عوامل قيام ثورة ٨ شباط ١٩٦٣



تجمعت عوامل عديدة ، منها تناقضات ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وشخصية عبدالكريم قاسم الانعزالية للتفكير بالتغيير القادم ، فقد ظهر واضحاً بعد عام ١٩٦٠ ان الثورة بعد انجازها لأبرز مهماتها في اقامة النظام الجمهوري وما تبع ذلك من تغييرات في المجالات الوطنية والقومية والدولية ، بدأت تستفحل فيها مظاهر التراجع والتعثر حيث اشتد التفسخ والانحلال في جميع ميادين النشاط العام وبدا واضحاً للعيان الانحراف الصارخ الذي عجل بالتفكير بالثورة ،وإذا أجملنا تلك العوامل في نقاط محددة وجدنا انها تتركز في أبرز معالمها بما يلي :

١ ـ انهيار جبهة ١٩٥٧ وتفتيت القوى السياسية في القطر.
٢ ـ التردي في المجالين الاقتصادي والاجتماعي.
٣ ـ العزلة في ميدان السياسة الخارجية.
٤ ـ تأثيرات وعوامل أخرى.

تفتيت القوى السياسية :

كانت جبهة عام ١٩٥٧ تعبر في خطها العام عن (الوحدة الوطنية) في وجه السلطة واضطهادها القمعي لجميع الفئات الوطنية والقومية ، وكان من المتوقع أن تزدهر الجبهة بعد قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، لكن الذي حدث هو ان القوى الوطنية تشرذمت وفقاً للحالة الجديدة التي خلقها الصراع بين عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف ، فالتزم عبدالكريم قاسم الحزب الشيوعي العراقي على حساب التيار القومي المتصاعد آنذاك ، مما ولد رد فعل لدى مؤيدي الوحدة وعلى رأسهم حزب البعث العربي الاشتراكي.

[ز]اد الصراع حدة بين التيارين ، فخرجت مظاهرات صاخبة نظمها الحزب الشيوعي في ٥ آب ١٩٥٨ في بغداد ، وهي تحمل شعار « اتحاد فدرالي ــ صداقة سوفيتية ». وقد رفع هذا الشعار فيما يبدو بمواجهة شعار « الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة » عندما كانت تحدث تجمعات جماهيرية لأنصار الطرفين.[١]

ولم يكن عبدالكريم قاسم ليفصح عن شيوعيته ازاء اندفاع الحزب الشيوعي اليه ، ذلك ان قاسم في حقيقة الأمر ، لم يكن مؤمناً بأي مبدأ أو عقيدة سياسية ، وإنما كان هدفه الوحيد الاستمرار في حكمه الدكتاتوري الفردي ، أطول فترة ممكنة ، فوضع جميع القوى الوطنية والقومية التقدمية أمام مفترق طرق ، ودفع بها الى صراعات مفتعلة ليس لها سبب ، ومبالغ فيها ، مما أدى الى تشويش خطير في العمل السياسي ، فتعرضت ، من جرائه ، مسيرة الثورة وأهدافها الوطنية والقومية الى الخطر.[٢]

لقد اعتقد الشيوعيون خطأً ان بإمكانهم استغلال الصراع الداخلي لصالحهم في سبيل الوصول الى السلطة ، عن طريق العلاقة الوثيقة بقاسم ، ولذا اتخذوا موقفاً ثابتاً ازاء قاسم وحكمه ، فأفرطوا في دعم نظامه الدكتاتوري الفردي الرجعي ، كما أفرطوا في محاربة القوى الوطنية والقومية ، وكان من نتائج هذا الموقف لجوء الشيوعيين الى أعمال العنف على نطاق واسع.[٣]

وكان الحزب الشيوعي العراقي يراقب صراع عبدالكريم قاسم مع عبدالسلام عارف ومؤيديه ، فاستغل احتدام الصراع بينهما وأرسل الحزب المذكور مذكرة وصلت عبدالكريم بعد يوم واحد من عودة عارف من بون على مسؤوليته وانفجار الأزمة بينه وبين قاسم.

وشرح الحزب الشيوعي في المذكرة المؤرخة في ١٩٥٨/١١/٥ حل (مسألة الحكم) بإعطاء جزء من المسؤوليات الى الحزب الشيوعي ، وقد صيغت بأسلوب

دبلوماسي بشيء من التقرب المحسوب ومن ذلك :[٤]

« لقد كان اعتمادكم في تكوين السلطة على بعض العناصر البعيدة في أفكارها عن مشاعر الشعب والتي لا تملك تجربة جهادية تمكنها من التعرف على حقائق الوضع الشعبي ، قد أوجد للحكم بعض الصعوبات التي لا تخفاكم وأقام في طريق الثورة بعض العراقيل ، كما ان إدخالكم في السلطة بعض العناصر المشبوهة أو الضعيفة القدرة على تفهم حقيقة الثورة ومجاراة سيرها الحثيث ، وقد خلق للحكم ولكم شخصياً صعوبات وأعباء نعتقد انكم قد عانيتم منها كثيراً ».

« إننا نعلم ان رئيس الوزراء يأخذ على عاتقه الآن قسطاً كبيراً من المهام الكثيرة والثقيلة وانه لهذا السبب يحمل نفسه فوق طاقتها ، ونحن على يقين بان ذلك ليس في مصلحة الجمهورية أبداً ــ لأن شؤون الحكم ينبغي أن توزع على أيدٍ مخلصة أمينة ، لكي يستطيع قائد الدولة أن ينصرف الى مسائل السياسة العليا . ».

« إن الحل الوحيد ، الحل الطبيعي المنسجم مع واقع حال العراق ، هو الحل الذي يتوجه الى اعادة النظر في تشكيلات السلطة على أساس الاستناد الى مبدأ التعاون بين قيادة الحكم العليا من جهة وبين الجبهة المكونة من الحزب الشيوعي والحزب الوطني الديمقراطي والقوى الديمقراطية في الجيش والأوساط الديمقراطية الأخرى والعناصر القومية النظيفة ».[٥]

وكان للحزب الشيوعي ما أراد ، فصار هو الحزب الوحيد المتنفذ في الساحة العراقية ، غير ان سياسته الدموية العنيفة والتي بلغت ذروتها في الاصطدامات المأساوية في جنوب ووسط العراق وفي كركوك والتي ذهب ضحيتها ٧٩ قتيلاً ، أثارت عبدالكريم قاسم ، فكان خطابه في كنيسة (مار يوسف) في ١٩ تموز ١٩٥٩ بداية القطيعة بينه وبين الحزب الشيوعي حيث أشار في إحدى خطاباته الى ان لديه « تصاوير التقطت خلال الحوادث تدين بعض الجماعات ، فانظروا الى هذه الأعمال الوحشية التي صدرت عن أبناء الشعب الواحد ، نحن نريد الديمقراطية ،

فهل هذه هي الديمقراطية ، وهل هؤلاء هم أعداء الشعب ، ماذا كانوا يريدون ، أنظروا الى هذه الأوضاع ، فهل فعل الصهاينة مثل هذا في دير ياسين ؟ ان هـذا العمل أريد أن يتكرر في الناصرية وفي السماوة وفي بغداد وفي الأعظمية والكرادة والكرخ إلا اننا أوقفناه في اللحظات الأخيرة ، ان الذي يفكر بهذا التفكير الفوضوي فهو سافل وهو أحط من الفاشست ». [٦]

لقد كان الحزب الشيوعي العراقي يطمح كما يتضح من نص المذكرة الى الوثوب الى السلطة ، بعد عزل القوى السياسية الأخرى ، وكان يسعى لذلك عن طريق وحدة الحركة الوطنية العراقية عبر موقفه المعادي للوحدة العربية ورفعه شعارات بديلة للوحدة ، وقد جسّد ذلك منذ أيام الثورة الأولى ، ففي ١٨ تموز ١٩٥٨ أي بعد أربعة أيام من قيام الثورة ، خرجت تظاهرة سياسية سيطر عليها الشيوعيون رددت هتافات ضد الوحدة ، وفعل قاسم الشيء نفسه في خطابه يوم ٢٦ تموز ١٩٥٨ ، وخرجت تظاهرة شيوعية في ٥ تشرين الثاني ١٩٥٨ هاجمت في شعاراتها الوحدة والقومية العربية وطالبت باعدام « كل مَن يقف أمام الديمقراطية والسلام ». [٧]

وحاول حزب البعث العربي الاشتراكي تجنب الخلاف والحفاظ على الوحدة الوطنية والجبهة الوطنية ، فعمل من خلال جبهة الاتحاد الوطني على إصدار بيان في ١٦ تشرين الثاني ١٩٥٨ ، وأكد ان العرب أمة واحدة فرقها الاستعمار وان الضرورة تقتضي العمل على اقامة أمتن العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة (وحدة مصر وسوريا) ولكن الشيوعيين رفضوا هذه الدعوة ، وكان آخر اجتماع لجبهة الاتحاد الوطني في ٢٧ كانون الثاني ١٩٥٩ ، وقد أكد حزب البعث على أهمية استمرار الجبهة وتماسكها في حين أكد ممثل الحزب الشيوعي ان مهمة الجبهة انتهت بقيام الثورة. [٨]

اجازة الأحزاب السياسية :

ثم أصدر عبدالكريم قاسم في محاولة لاصلاح الأحوال السياسية القانون المسمى (قانون الجمعيات) في الأول من كانون الثاني عام ١٩٦٠ وأجاز بموجبه أربعة أحزاب للعمل العلني هي :

١ ـ الحزب الوطني التقدمي.
٢ ـ الحزب الشيوعي العراقي (جماعة داود الصايغ).
٣ ـ الحزب الوطني الديمقراطي.
٤ ـ الحزب الديمقراطي الكردستاني.

وكان سبب إصدار هذا القانون هو محاولة لحل المشاكل الداخلية « بالاعلان المستمر عن انتهاء فترة الانتقال واقامة النظام الدستوري حتى يستطيع كسب أفراد الشعب والفئات والأحزاب السياسية في العراق الى جانبه ».[٩]

ولم يمض سوى عام واحد ، حتى لم يبق حزب سياسي يمارس نشاطه بشكل علني حيث « عمل قاسم على مراقبة نشاطات هذه الأحزاب وأغلق صحفها خوفاً من انتقادها لسياسته وحكمه ».[١٠]

التردي في المجالين الاقتصادي والاجتماعي :

كانت المهمة الرئيسة التي تواجه ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ هي تحقيق الاستقلال الاقتصادي لتعزيز الاستقلال السياسي والشروع بتنمية القطاع الوطني والقضاء على العلاقات الانتاجية الاستغلالية.

ففي المجال الصناعي ، قامت الثورة بعقد اتفاقيات مع عدد من الدول الصديقة لاقامة بعض المشاريع الصناعية وإعداد العمال الماهرين ، والفنيين العراقيين لتشغيلها ، وكان من المقرر أن يؤدي تنفيذ الاتفاقيات في موعدها المحدد

الى نمو القطاع بشكل ملحوظ إلا ان تأخر التنفيذ وتحويل المشروعات من خطة لأخرى ، بالاضافة الى عدم جدية الحكومات وعدم إيمان بعض العناصر العاملة في أجهزة الدولة بها ، أدى الى تنفيذ عدد محدود من هذه المشاريع ولم يتم تنفيذ خطة التصنيع بشكل جدي من ناحيتي الحجم والنوع ، إلا بعد ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ .

لقد اعتمدت ثورة ١٤ تموز مبدأ التخطيط الاقتصادي لأول مرة وصدرت أول خطة بالقانون رقم ١٨١ لسنة ١٩٥٩ وللسنوات ٥٩ ــ ١٩٦١ وسميت بالخطة الاقتصادية المؤقتة. وفي تشرين الأول سنة ١٩٦١ صدرت الخطة الاقتصادية التفصيلية للسنوات ٦١ ــ ٦٥ بالقانون رقم ٦١ ، ولكن هذه الخطط كانت تعاني من نواقص كثيرة جعلت نتائجها التطبيقية محدودة جداً ، ولم تؤثر في إحداث تغيير جدي في واقع الاقتصاد الوطني. بالاضافة الى ان تخصيصات الخطتين كانت محدودة ، وخاصة بالنسبة للصناعة ، إذ بلغت ٣٨,٣ مليوناً و١٢١,٧ مليوناً على التوالي. وإذا عرفنا ان نسبة التنفيذ كانت ٣٥,٩٪ ، تبينا مدى محدودية نتائج هذه الخطط.

أما في الزراعة فقد صدر قانون الاصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ، الذي نص على الاستيلاء على أراضي الاقطاعيين وتوزيعها على الفلاحين . ولكن هذا القانون كان فيه نقص كبير قلل من آثاره التطبيقية ، فالقانون وضع حداً أعلى للملكية الزراعية المسموح بها للاقطاعي بلغت (٢٠٠٠) دونم في الأراضي الديمية و (١٠٠٠) دونم في الأراضي المروية ، وحدد مدة عشر سنوات للاستيلاء على ما يزيد على الحد الأعلى للملكية ، وأقر تعويض صاحب الأرض عما تم الاستيلاء عليه من أرضه ومنح الاقطاعي حق اختيار الأرض المسموح له الاحتفاظ بها ، وكان هذا يختار عادة أفضل الأرض.

ومع غياب الجمعيات التعاونية الجادة وغياب السلطة التي تمثل الشعب ، أدت نتائج الاصلاح الزراعي الى تفتيت الملكية وتدهور الانتاج واستمرار هجرة

الفلاح الى المدينة .

أما في التجارة الخارجية فقد تغيرت اتجاهات التجارة الخارجية نسبياً بعد ان كانت مقتصرة على الدول الغربية وعلى السلع ذات الطابع الاستهلاكي فحسب ، أما التجارة الداخلية فقد ظلت خاضعة لهيمنة القطاع الخاص ، ورغم اجراءات تشجيع القطاع العام في التجارة ، لم يتوجه التركيب البيروقراطي والبرجوازي الذي رسم تلك الحقبة جدياً لتدعيم القطاع العام . ولذلك فان اختلال الميزان التجاري ظل سائداً ، وكان يمول عجزه عن طريق عوائد النفط .(١١)

أما فيما يتعلق بالقانون رقم ٨٠ الذي كان قد شرع عام ١٩٦٠ واستولت الحكومة بموجبه على جميع الأراضي غير المستثمرة من قبل الشركات الأجنبية ، فقد بقي من حيث الواقع حبراً على ورق .

وفي النواحي الاجتماعية شهد العراق تخلفاً في جميع نواحي الحياة ، وازدادت الهجرة من الريف الى المدينة ، هرباً من طبقة الاقطاع التي ظلت تهيمن على الأرض والانسان .

ولم تحظ المدينة إلا بالاصلاحات العمرانية البسيطة والمظهرية فيما ظلت العلاقات الاجتماعية فيها تزخر بالصراعات العشائرية تساعدها نسبة عالية جداً من الأمية والبطالة والتخلف على صعيد الفرد والمجتمع .

المسألة الكردية :

خلق القتال المستمر في الشمال ، وضعاً قلقاً في الداخل ، حيث كشف تصرف قاسم عدم مقدرته على ادارة الأزمة بحلول جذرية عميقة وصحيحة ، كان بدايتها ما فعله قاسم في ٣ أيلول ١٩٥٨ أي بعد مرور شهرين على الثورة ، حين أصدر عفواً عن الأكراد الهاربين خارج العراق ، وفي ١٩٥٨/١٠/٥ عاد الملا

مصطفى البارزاني وشقيقه أحمد البارزاني وأولاده وعائلته. وخصصت لهم الحكومة بيت نوري السعيد وسيارة عبدالاله ، كما صرفت لهم رواتب شهرية سخية .[١٢]

وفي آذار ١٩٦١ انهار هذا الاتفاق وبعد أشهر وصل التوتر بين الأكراد وقاسم أشده فأرسل القوات لضرب التجمعات الكردية واستمرت حوادث الشمال عنيفة دامية حتى سقوط قاسم .[١٣]

ومن المداخلات التي أفضت اليها مشكلة الأكراد ، ان القوى المعادية للعراق استغلت الظرف ، فدعمت حكومة إيران وحلف السنتو والولايات المتحدة الحركة الكردية وأمدتها بالمساعدات والسلاح والدعاية .[١٤]

العزلة في ميدان السياسة الخارجية :

ثم اشتدت عزلة النظام في عهد قاسم عربياً ودولياً ولم يعد يحظى بالاحترام والتعاون المتبادل مع أي من الدول التي راقبت الصراعات التي نشبت في فترة تقل عن عام من بدء الثورة ، ووجدت العديد من الدول في تصريحات عبدالكريم قاسم الكثيرة وخطبه التي لا تنتهي الكثير من الهجمات المعلنة أو المبطنة التي لم تشهدها المنطقة من الساسة الآخرين ، وخاصة تلك التي صدرت من العقيد فاضل عباس المهداوي الذي كان يبدأ كل جلسة بخطبة سياسية طويلة يتهجم فيها على تلك الدولة ويسب تلك في كثير من التطاول والاستخفاف مما تسبب في احتجاج بعض الدول وانصراف الأخرى عن التعامل مع العراق .

وازدادت عزلة النظام اثر قرار عبدالكريم قاسم بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الدول التي تعترف بالكويت بعد اعلانه المطالبة بها .

قضية الكويت :

في ١٩٦١/٦/٢٥ عقد قاسم مؤتمراً صحفياً في مبنى وزارة الدفاع أثار فيه مسألة تبعية الكويت الى العراق بوصفها قضاءاً عراقياً تابعاً لمحافظة البصرة ، وأشار في مؤتمره الصحفي الى الأسس التاريخية التي يستند اليها في دعوته هذه ، كما أظهر بعض الوثائق التاريخية التي توضح ذلك وأشار الى « اننا باستطاعتنا أن نحصل على حقوقنا كاملة ولكننا نلجأ دوماً وأبداً الى السلم و (إن جنحوا للسلم فاجنح لها) إلا انني أؤكد لكم ان الاستعمار لا يفيد معه السلم فهو عدو السلم » .[١٥]

لقد كان قاسم يرمي من إثارته مشكلة الكويت توجيه الأنظار عن الوضع الاقتصادي والسياسي والتردي في الداخل الى مسألة اعتقد انها قومية ومهمة.

غير ان المشكلة عادت عليه بمصاعب جديدة ، فالشعب العراقي بات في تذمر شديد من اثارة المشاكل الواحدة تلو الأخرى ، واشتد غضب القوى القومية التي رأت ان العراق يسير في طريق العزلة القومية ، فأصدرت القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي بياناً في ١٦ تموز ١٩٦١ حول أزمة الكويت جاء فيه :

« عبدالكريم قاسم بمنطقه الاقليمي ، وبماضيه الأسود في طعن اتجاه الوحدة ، وبحكمه الفردي وتصرفاته المشبوهة لا يستطيع أن يجمع حوله الارادة الشعبية في العراق شعباً وجيشاً مهما كانت براءة دعوته ، لأن الشعب في العراق يدرك ان غرض قاسم من طرح هذا الموضوع في هذا الوقت بالذات هو صرف أنظار الشعب في العراق عن مساوىء حكمه وجرائمه في حق حركة التحرر العربية والوحدة العربية . » .

وانتهت دعوته دون أي تأييد بل انعزل النظام عن القوى الشعبية كما انعزل عربياً ودولياً.

تأثيرات وعوامل أخرى :

كان ثمة الى جانب العوامل التي أشرنا اليها ، تلك الظروف العربية التي كانت تقع ضمن اهتمامات حزب البعث العربي الاشتراكي وهو من الأحزاب القومية المؤثرة في ساحة العمل النضالي في القطر في تلك الفترة ، من ذلك المعاناة المريرة التي كان يعيشها الحزب والجماهير العربية جراء نكسة انفصال وحدة ١٩٥٨ ، اثر انقلاب عسكري في سوريا يوم ٢٨ / أيلول/ ١٩٦١ ، تلك الوحدة التي وإن جاءت بدافع (التقارب الوحدوي بين القطرين ـ السوري والمصري ـ في حدوده العاطفية والسياسية ، وبدون أن يعني التقارب والوضوح في نظرة كل من الجانبين الى مفهوم الوحدة وصيغتها ومضمونها)[١٦] إلا انها كانت تعني الكثير لتيار قوي متحفز لجعل الأمة قوة قادرة على مجابهة التحديات ، وبالطبع كان حجم المعادين للوحدة يفوق حجم دعاتها «.. لذلك ضاعت الوحدة... ووقع الانفصال... على أشلاء الخلافات التي كانت قد قسمت الأحزاب التقدمية العربية بين قومية وشيوعية ، ثم بين ناصرية وبعثية ، وانفرط عقد الجبهات الوطنية التي قامت في عدد من الأقطار العربية في المرحلة السابقة (في سوريا والعراق والأردن ولبنان فقد نجحت المؤامرة الامبريالية الرجعية في تحويلها جميعها ، عن التناقض الأساس الذي كان يجمعها ويوحدها ، الى التناقضات القائمة فيما بينها ، لذلك فقد انتعشت الأحزاب الرجعية وعادت تلملم بقاياها بعد وقوع الانفصال ثم انتقلت جرثومة الخلاف والانشقاق الى داخل هذه الأحزاب نفسها ، فلم تبق حركة واحدة لم تنقسم الى عدة أقسام ، وأخذت الشعارات الأيديولوجية (اليمين واليسار) شكل غطاءات دعائية لهذه الانشطارات ، فسادت بلبلة فكرية ـ خلقية خلال هذه المرحلة ، وقد لعبت الظاهرة العسكرية والنهم الى السلطة دوراً رئيسياً في تغذية الانشطارات واستغلالها ، وأصبح في وسع الامبريالية ان تركز

على عناصر معينة داخل الأحزاب السياسية من أجل أن توجه ردود فعلها بالاتجاه المؤدي الى الغايات التي تخدم المصالح الامبريالية والصهيونية ، وكانت المؤامرة تتركز بالدرجة الأولى على الحزب الذي يشكل الخطر الأكبر على التحالف الامبريالي الصهيوني قواعد حزبية وشعبية واسعة على امتداد الوطن العربي ، والذي استطاع في مطلع الستينات أن يرد على جريمة الانفصال وان يستلم السلطة في قطرين عربيين هما : العراق (في ٨ شباط ١٩٦٣ ، وسوريا في ٨ آذار ١٩٦٣) . [١٧]

وهكذا يتبين ان الانفصال ، كان مدخلا للمؤامرة الكبرى على النهضة العربية والمصير العربي ، كان هدفها المركزي الأول ، تغيير ملامح الواقع القومي ، وقلب المعادلات الأساسية في النضال العربي ، وتهديم أُسس التوازن الستراتيجي مع العدو ، والقضاء على وحدة النضال وتصفية القوى الشعبية الوحدوية لافراغ الأقطار من حركة جماهيرها وتحويل الجيوش عن مهمتها الوطنية التحررية والقومية ، وتشجيع الاتجاهات الاقليمية واللاقومية المعادية للوحدة ، والايقاع بين القوى الوحدوية والاعتماد على الاعلام الكاذب لتغطية الحقائق وتزويرها ، التآمر على الوعي القومي ، فالانفصال إذن هو أكثر من مجرد ارتداد على الوحدة ، بل هو اتجاه منظم وعمل مخطط ضد الوحدة ، وباتجاه معاكس لها ، فهو انحراف وهبوط وتخلٍ عن جوهر الانتماء القومي ، أدى الى ضياع واستلاب والى فقدان المبادرة ، والى سيطرة النزعات القطرية والاستسلامية فسادت مرحلة تحولت معها السياسات الى صفقات دولية بعيدة عن الروح المبدئية ومعادية لها . [١٨]

في هذا الجو القاتم ، استمر عبدالكريم قاسم من جانبه بسياسته الاقليمية ، وشارك في جريمة الانفصال « رغم تحذير بعض وزرائه له من سياسة دعم الانفصاليين الذين كانوا يترددون على العراق قبل الانفصال لأن انفصال سوريا سيؤدي الى كارثة بالأمة العربية لا يعرف مداها » . [١٩]

هذه الأمور مجتمعة دفعت الحزب في العراق الى ان ينظم قواه ، ويستعد للثأر

من نكسة الانفصال بقيام الثورة ذات الطابع الوحدوي والقومي.

وفي نهاية هذا الاستعراض السريع أو المدخل التوضيحي الذي مهدنا فيه للأسباب الكثيرة التي دعت الى قيام الثورة ضد نظام عبدالكريم قاسم ، نستنتج ان سياسته أخفقت فيما كانت تهدف إليه من إيجاد توازن بين القوى في كسبه أياً من الوحدويين أو الشيوعيين ، وأصبحت مسألة التسامح معه من قبل الفريقين مسألة وقت ، لأن كلاً منهما كان ينتظر الظرف الذي ترجح فيه كفة قوته حتى ينقض عليه.[٢٠]

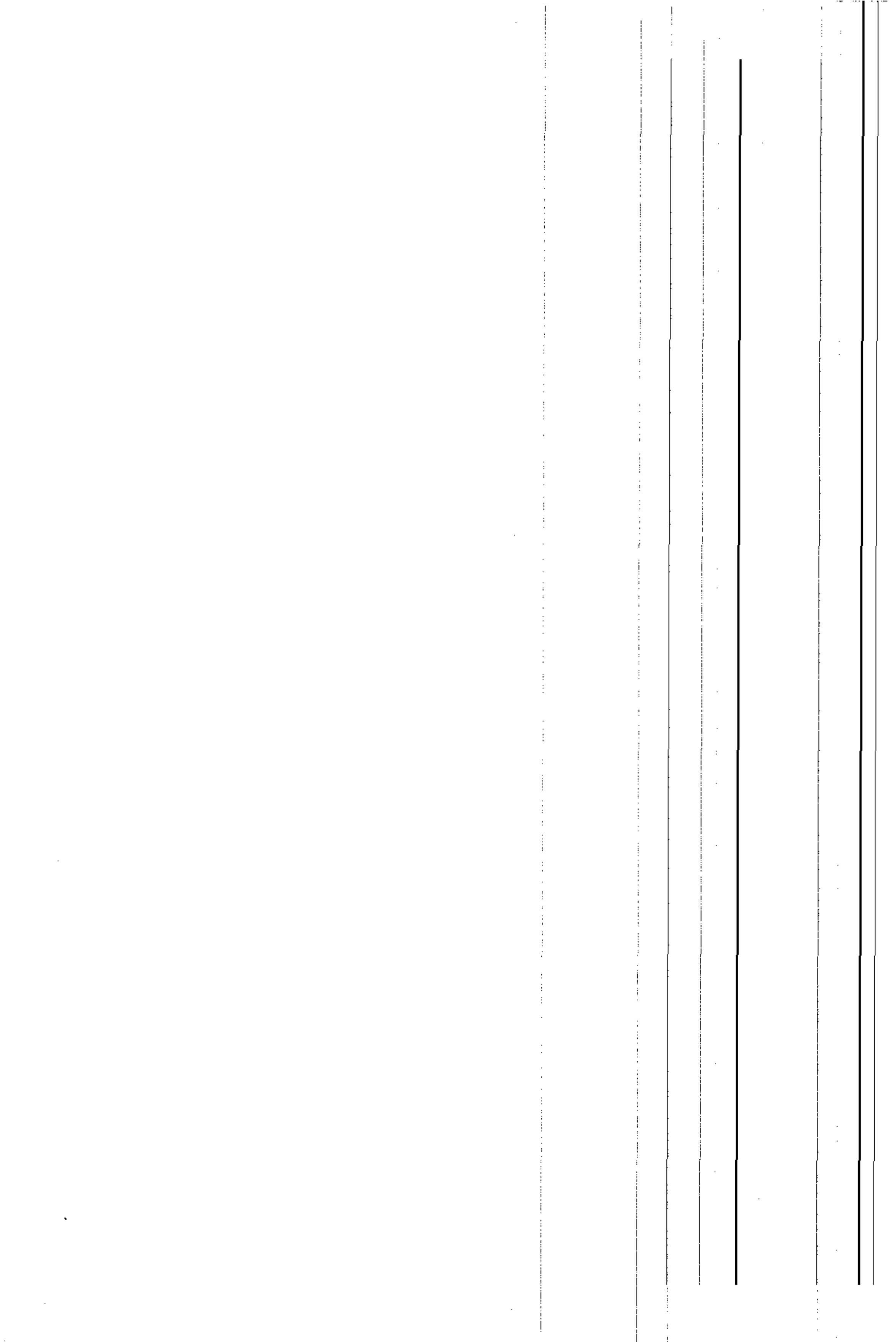
وأدت القاسمية وهي سياسة المماحكة والمخادعة السلبية الى انعزال قاسم داخلياً وعزل بلاده خارجياً ، ولم يكن هناك غير حل واحد لكسر طوق هذه العزلة هو ذهاب قاسم ولا شيء غيره ، وتحرك الجيش لاتخاذ هذه الخطوة الجذرية إذ لم تكن هناك وسيلة أخرى لتنحيته.[٢١]

هوامش الفصل الخامس

(١) ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٥٤ .
(٢) سمير عبدالكريم ، أضواء على الحركة الشيوعية العراقية ، دار المرصـاد ، بيروت ، ج ٣ ، ص ٩ .
(٣) المصدر السابق ، ص ١٠ .
(٤) أنظر نص المذكرة كاملاً في ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٦٣ .
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .
(٦) صحيفة اتحاد الشعب ، العدد ١٥٨ ، ٣١ تموز ١٩٥٩
(٧) المنهاج الثقافي المركزي ، الكتاب الأول ، القيادة القومية ، مكتب الثقافة والاعلام ، ط ٢ ، نيسان ١٩٨٨ ، ص ١٣٥ .
(٨) المصدر السابق .
(٩) ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦٦ .
(١٠) المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .
(١١) المنهاج الثقافي المركزي ، الكتاب الأول ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٤ .
(١٢) ليث عبدالحسن الزبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٥ .
(١٣) المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .
(١٤) المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .
(١٥) المصدر السابق ، ص ٣٠٦ .
(١٦) شبلي العيسمي ، تاريخ حزب البعث العربي الاشتراكي ، المرحلة الصعبة ، ٥٨ ـ ١٩٦٨ ، ج ٣ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨ .
(١٧) د. الياس فرح ، الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ٣ ، ١٩٨٠ ، ص ٨٨ .
(١٨) المصدر السابق ، ص ٨٩ .
(١٩) الذاكرة التاريخية ، مصدر سبق ذكره .
(٢٠) مجيد خلوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٨ .
(٢١) المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

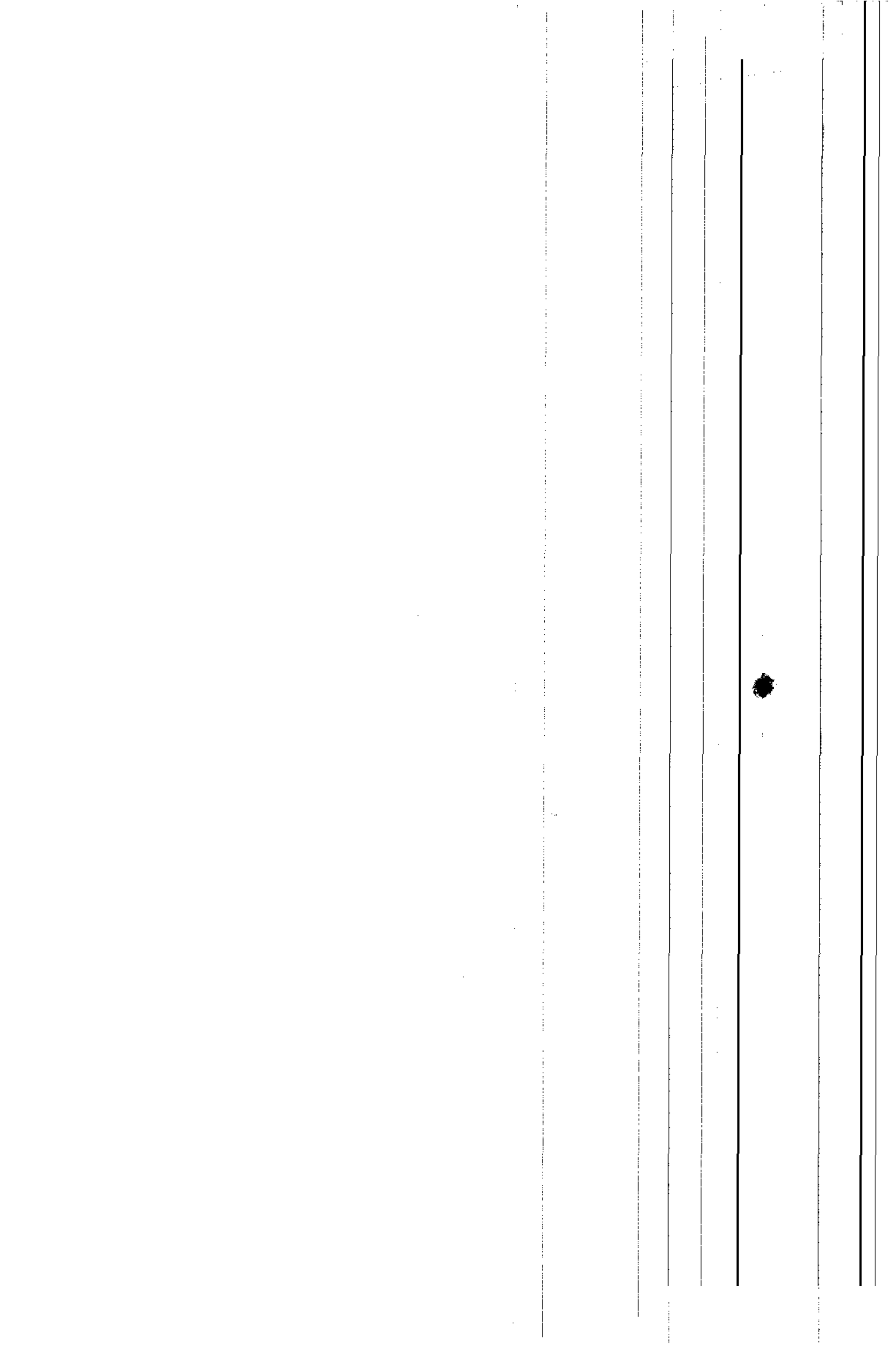






الفصل السادس

الاعداد والتهيؤ للثورة



التنظيم السياسي في القوات المسلحة :

انتشرت أفكار حزب البعث العربي الاشتراكي عقب المؤتمر التأسيسي عام ١٩٤٧ بسنوات قليلة[1] وبدأ يهتم بالقطاع العسكري منذ عام ١٩٥٣ ، فأخذ يشجع أعضاءه على الانضمام الى الكلية العسكرية . وفعلاً نجح الحزب ـ في العام ذاته ـ في ادخال بعض أعضائه الى الكلية العسكرية[2] ثم تطور التنظيم في الجيش حتى شكل المكتب العسكري للحزب عام ١٩٥٦ .[3]

واستطاع البعثيون الأوائل في الجيش ، الاحتكاك بالضباط ذوي الاتجاه القومي وكسبهم الى التنظيم .

وبعد انحراف ثورة ١٤ تموز جرت حملة اعتقالات للبعثيين وشملت الحملة بعض العسكريين وكان من بينهم (العقيد) أحمد حسن البكر ، وقد أقام البعثيون المعتقلون معه صلات طيبة ، واهتم الحزب بكسبه باعتباره شخصية محبوبة في الجيش وفعلاً تم كسبه ، وهو رجل نشط يفتش عن الحزب ولا ينتظر مَن يتصل به ، فبعد خروجه من المعتقل اتصل فوراً بالحزب .[4]

وفي عام ٥٧ ـ ١٩٥٨ تخرج من ثانويات القطر بعض الشباب البعثي ، كان من بينهم عدنان خيرالله في ثانوية الكرخ الرسمية وبقي فيها طالب بعثي هو صدام حسين غادرها الى مصر مضطراً في العام التالي .

وفي هذا العام تجمع عدد من البعثيين في الكلية العسكرية ، كان لارادة الحزب وتخطيطه وحرصه دور في تجمعهم ، حرصاً منه على أن تظل هناك قوة تحرس مسار العراق القومي وتضعه في مكانه الملائم في الخارطة السياسية للوطن العربي والعالم .

لقد كانت تصورات الحزب وتوجيهاته طامحة ملأى بالأمل في ان هؤلاء سيكونون ـ بعد تخرجهم ـ ضباطاً في وحدات الجيش المختلفة يساهمون في التغيير

المطلوب ، وجاءت التوجيهات محددة في ان يصبح هؤلاء قوة مؤثرة ولابد من اختيار صنوف لها القدرة على التغيير ، وليكن جميع الشباب من صنف الدروع والمشاة ، ففي بغداد لواءين مدرعين(*) وإذا ما انتشر هؤلاء الشباب في الكتائب المحيطة بغداد ، فان التغيير سيكون عملية تخطيط ليس غير ، أما إذا انتشر شباب البعث في وحدات متباعدة فان الأمل يغدو ضعيفاً الى حد كبير.

وقبيل التخرج جرى التأكيد على البعثيين بان يختاروا الصنفين المقاتلين (الدروع والمشاة) . . . وعلى هذا الأساس كتب الجميع اختياراتهم (دروع) في استمارة الاختيار ، غير ان لجنة الانتخاب انتبهت الى ان ثمة تكتلاً غريباً في هذا الاتجاه ، وسارعت الى الغاء طريقة الاختيار وأمرت أن تجري قرعة سرية بحيث يسحب كل شخص اختياره دون أن يدري ويثبت بحضور اللجنة ولا يجوز تغييره.

وبالطبع حزن الرفاق لذلك الأمر ، ومد عدنان خيرالله يده ، وظل يترقب بانتباه شديد ، فقال رئيس اللجنة بضيق واضح :

ـ دروع . . وابتسم الرفاق بارتياح ، ومد رفيق آخر يده ، فكانت النتيجة دروع . . وفعل مثله آخرون . . وكانت مفاجأة غريبة لعب فيها الحظ دوراً حسناً لم يتوقعه أحد على الاطلاق.[6]

وصدرت التعيينات بعد التخرج ، فكانت المفاجأة الثانية وهي ان كل كتيبة حظيت باثنين من الشباب المتخرجين.

وعلى هذا الأساس، جرت عدة اجتماعات لتهيئة موضوع الثورة . . كانت جذور الغضب قد امتدت عميقاً وتشعبت ، وبدأت أيام عبدالكريم قاسم بالعد التنازلي.

وقد ساعد في ذلك اعادة تنظيم الحزب بعد محاولة الاغتيال عبر الدعوة للمؤتمر القطري الثالث في آب ١٩٦٠ ، مستفيداً من دروسه السابقة لمحاولة الاغتيال وما آلت اليه من نتائج ، وتقاعس بعض الضباط المتعاونين مع الحزب في تكملة المرحلة الثانية من العملية ، ومن هنا بدأ الحزب يخطط في الاعتماد على قواه الذاتية

بكسب الأوساط الشعبية ويؤلبها ضد الحكم القائم ومن ثم الاعتماد عليها في عملية التغيير.

فقد اهتم الحزب بكسب عناصر جديدة وقام بعقد تحالفات مع القوى القومية وتنظيمها بغية اسناده في أي تحرك مقبل ، ولهذا فقد خاض نشاطاً على كافة المستويات ، ومنها القوات المسلحة والأوساط الشعبية كالتنظيمات المهنية مثل الاتحادات والنقابات والجمعيات المهنية ، وكان هدفه الأساس تكوين قوة يمكن الاعتماد عليها دون الرجوع الى قوى أخرى خارجة عن الحزب.[٧] كما كان له دور كبير وفعال في إعداد الاضرابات والتظاهرات ، كالاضراب الكبير بمناسبة زيادة أسعار البنزين في ٢٧ آذار عام ١٩٦١ والذي استشهد فيه ثمانية من أعضاء الحزب. وكتنظيم التظاهرة الضخمة بمناسبة زيارة أحمد بن بيلا للعراق في العام التالي ، وكان الهتاف فيها : « بن بيلا أهلاً بيك حزب البعث يحييك » ، وقيل ان بن بيلا دهش لضخامة التظاهرة وتنظيمها فعلق قائلاً : ماذا ينتظر حزب البعث ليستلم السلطة ؟

ويمكن أن نشير كذلك الى دور الحزب الفعال في اضراب طلبة الكليات والمعاهد والثانويات على اثر اعتداء قام به ابن رئيس محكمة الشعب (المهداوي) على بعض الطلبة ، في ٢٧ كانون الأول ١٩٦٢ ، وكذلك التظاهرة التي نظمت لدعم ثورة اليمن في ٤/١٠/١٩٦٢ والمطالبة بالاعتراف بها.[٨]

لقد سعت سلطة قاسم الى بث التفرقة والتناحر بين أطراف الحركة الوطنية ، وفرضت دكتاتورية غاشمة ومطلقة على البلاد ، وكان أسوأ ما فعلت ، انها حاولت أن تلصق كل ذلك باسم الجيش وعلى حساب سمعته ومكانته الوطنية ولما أداه من دور في النضال الوطني عموماً وفي تفجير ثورة الرابع عشر من تموز بشكل خاص ، فقد نشأت حينذاك . . وظهرت على المسرح ظهوراً سافراً واستبدادياً فئة اجتماعية جديدة يمكن تسميتها بـ « الارستقراطية العسكرية » وهي من الضباط المقربين من السلطة القاسمية والمتنفذين في أجهزتها المختلفة ، الذين ارتكبوا شتى

أشكال الاضطهاد والامتهان بحق الشعب. . . وكان سلوك هذه الفئة يثير النقمة في صفوف القاعدة الواسعة للجيش التي كانت تدرك ما ترتكبه هذه الفئة من آثام عن طريق ابتزاز سمعة الجيش ومكانته الوطنية. (٩)

وكان حزب البعث العربي الاشتراكي ـ من ضمن تلك القاعدة الواسعة ـ الذي يرى في سلوك قاسم وزمرته انحرافاً صارخاً ينبغي تقويمه وقد تجسد ذلك في النشاط المتميز لمناضلي الحزب في أوساط العمال والطلبة والميادين الوطنية الأخرى وكان من أبرزها تأثيراً قيام الطبقة العاملة باضراب كبير في ٢٧ آذار ١٩٦١ احتجاجاً على زيادة سعر البنزين. . . وكان الحزب الموجه الرئيسي لهذا الاضراب بنشاط أعضائه في تعبئة الجماهير في التضامن مع السواق لانجاح اضرابهم(١٠) وفي ٢٣/٨/١٩٦٢ وقف الحزب الى جانب اضراب عمال شركة الدخان العراقية وكان السبب المباشر لاضراب عمال الشركة تسريح ٨٣ عاملاً من عمال الشركة دون أي سبب. (١١)

وعلى صعيد القطاع التعليمي فقد خاض المعلمون نضالاً شاقاً في مجال الانتخابات لصعود ممثلي الحزب ، وفعلاً استطاعت (الجبهة التعليمية الموحدة) وهي قائمة انتخابية مثلت حزب البعث العربي الاشتراكي والقوى القومية ، من الفوز على قائمة (الجبهة المهنية الموحدة) التي كانت تنافسها ، وقد أغاض الفوز المؤيدين للقائمة الثانية مما أحدث مصادمات بين الجبهتين في بعض مناطق بغداد. (١٢) وكان نضال الطلبة ، مشهوداً في الأعوام ١٩٥٨ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٢ حتى قيام ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ الذي مثل تلاحم الطلبة بقطاعات الشعب الأخرى ضد انحراف سلطة قاسم ، وكان ذروة هذا التلاحم ذلك الاضراب الكبير يوم ٢٧ آذار ١٩٦١ الذي تحدى قوة السلطة وإمكانياتها في فرض مطاليبه المشروعة ، فراح ضحية هذا الاضراب (٨) شهداء من عناصر الحزب الطلابية. (١٣)

وأثمر نضال حزب البعث العربي الاشتراكي في أوساط الطلبة عن تأسيس

الإتحـاد الوطني لـطلبة العـراق ، مما جعـل السلطة تعمد الى عمليـات الاستفزاز والاعتـداء على حـرية الـطلبة وخصـوصاً البعثيـين باعتبـارهم يشكلون قاعـدتـه الأساسية ، ونتيجة لأعمال السلطة هذه أصدر الاتحاد الوطني بياناً في أواسط كانون الأول عـام ١٩٦١ شجب فيـه هـذه الأعمـال التي تقتـرف بحق الـطلبـة . وفي ١٩٦٢/٢/٢٤ دعا الاتحاد الوطني لطلبـة العراق لـلاضراب عـلى اثر إقـدام السلطة على الغاء نظام الاعادة الـذي كان معمـولاً به ممـا جعل السلطة تتـراجع عن قرارها[١٤] وكـانت هذه النشـاطات تتجـاوب مع نشـاطات أخـرى لقطاعـات الشعب ، وكـان للبعثيات دور في مؤازرة رفـاقهن تمثل ذلـك في قيامهن بتشكيـل (منظمة اتحاد الجمهورية) وذلك عام ١٩٥٩ وكذلك فان قسم من بيوت البعثيات كـانت أوكاراً للحـزب للاجتمـاعـات وخـزن الأسلحـة والكـراريس والنشـرات السرية . [١٥]

محاولات التخلص من عبدالكريم قاسم :

وهكذا تململ الغضب في الصدور ، وشرعت المحاولات تتلاحق للخلاص من قاسم ، ولكنها أجلت جميعاً لأنها كانت تنطوي على فكرة اغتيال قاسم ونذكر منها :

أولاً : تفجير الثورة بإسقاط طائرة عبدالكريم قاسم بواسطة مقاتلات سرب كركوك أثناء طيرانـه لافتتاح مشـروع سد دربنـدي خان يـوم ١٩٦١/١١/٢٣ وقد أجلت المحاولة لأسباب فنية عسكرية وهي صعوبة اكتشاف المقاتلات لـطائرة عبـدالكريم قـاسم ما لم يعـرفوا ارتفـاعها وخط طيـرانها وتوقيت الطيران ، وهو ما تعذر الحصول عليه في حينه .

ثانياً : وكانت المحاولة الثانيـة هي مكان اجتمـاع عبدالكـريم قاسم بـالانفصالي

الرجعي ناظم القدسي رئيس النظام السوري حينئذ في الرطبة في كانون الثاني ١٩٦٢ وقد تأجلت أيضاً لأسباب فنية عسكرية وتجنب وقوع خسائر بالأبرياء.[١٦]

ثالثاً : القضاء على عبدالكريم قاسم عند افتتاحه لمدرسة الصويرة عام ١٩٦٢ وقد تأجلت أيضاً بسبب تحوطات الأمن الشديدة.

رابعاً : القضاء على الدكتاتور عند زيارته مدينة كربلاء في ١٦ تموز ١٩٦٢ ، وقد صرف النظر عنها لأسباب تتعلق بسلامة المواطنين وتجنب وقوع خسائر كبيرة بينهم.

خامساً : وكانت هناك محاولة خامسة تحدد موعدها يوم ١٩٦٢/١٢/١١ وقد أجلت لأسباب تتعلق بأمنية الثورة ، إذ تمكن قاسم من الحصول على معلومات يفهم منها وجود تنظيم أو تعاطف مع بعض آمري الكتائب والحزب فاستدعاهم وهددهم ثم جمدهم.[١٧]

وتشير مصادر أخرى الى ان المحاولات كانت تسع وهي :

المحاولة الأولى :

قام بها أحمد حسن البكر في نهاية تشرين أول ١٩٥٨.

المحاولة الثانية :

جرت في أوائل تشرين الثاني من عام ١٩٥٨ لاغتيال عبدالكريم قاسم وتصحيح الوضع القائم.

المحاولة الثالثة :

بين حزب البعث والقوى القومية بواسطة بعض الكتائب في منطقة الحصوة وبمساعدة جابر حسن حداد.

المحاولة الرابعة :

بتاريخ ١٩٦٢/٣/١٤ أثناء زيارة ناظم القدسي رئيس جمهورية سوريا

في عهد الانفصال وذلك بضرب طائرة قاسم.

المحاولة الخامسة :

عند افتتاح قاسم لقناة الجيش وبمعاونة عدنان القصاب.

المحاولة السادسة :

بتاريخ ١٦ تموز ١٩٦٢ عند قيام قاسم بافتتاح معملٍ الأحذية في الكوفة.

المحاولة السابعة :

أثناء زيارة رئيس الجمهورية الجزائرية أحمد بن بيلا الى العراق.

المحاولة الثامنة :

عند افتتاح قاسم لثانوية الطلبة في الصويرة.

المحاولة التاسعة :

عند قيام قاسم بافتتاح مدينة الضباط في بغداد.(١٨)

التمهيد للثورة :

بعد فشل المحاولات الكثيرة للقضاء على قاسم ، أوصى المؤتمر القطري الثالث المنعقد في آب ١٩٦٠م بضرورة البحث عن الوسائل الصحيحة لاسقاط حكم قاسم ، وكان نتيجة تكرار الفشل في المحولات والعجز الكامل عن تغيير نهج قاسم اللاقومي ، ان اتخذ حزب البعث العربي الاشتراكي بعض الخطوات التي اعتبرت ضرورية وممهدة للثورة ومن ذلك اعادة تنظيم الحزب بعد محاولة الاغتيال في ١٩٥٩/١٠/٧ عبر الدعوة للمؤتمر القطري الثالث في آب ١٩٦٠ ، الذي درس فيه سبب فشل محاولة التصدي لقاسم وعدم التخطيط الجيد للعملية وضرورة العمل المنظم المستند الى قاعدة شعبية.

ثم شرع الحزب بإجراء بعض الترتيبات التي من شأنها نقل الرغبة في التغيير الى عمل منظم ومدروس ومنذ عام ١٩٦٠ ، حين أنيطت بالمقدم الركن صالح

مهدي عماش مسؤولية المكتب العسكري للحزب وكان يضم حينئذ (المقدم صالح مهدي عماش والنقيب محمد علي السباهي والملازم علاء الدين كاظم الجنابي والملازم الأول الطيار منذر الونداوي والملازم الأول سامي سلطان) وبعد تحرك الحزب على الضباط الأحرار وانتماء عدد منهم الى الحزب ، بينهم أحمد حسن البكر والرائد الركن عبدالستار عبداللطيف والرائد الطيار الركن حردان عبدالغفار والمقدم الركن خالد مكي الهاشمي فقد جرى تشكيل (مكتب استشاري) عسكري للاعداد للثورة برئاسة المقدم الركن صالح مهدي عماش وكان واجب هذا المكتب الاتصال بالضباط الأحرار الآخرين واجراء الحوار معهم واقناعهم بالتعاون وتوحيد الصفوف لتحطيم النظام علاوة على اعطاء الاستشارة العسكرية للقيادة القطرية في الأمور التي تتعلق بشؤون الثورة وفي الحقيقة أصبح واجب المكتب العسكري الأصلي للحزب هو العمل التنظيمي فقط.[١٩] وكان التنسيق يتم بين اللجنة الاستشارية المذكورة وبين القيادة القطرية من خلال علي صالح السعدي أمين سر القطر وعضو القيادة القومية حازم جواد وطالب شبيب.

وكان هناك اتصال مشترك بفضل التنظيم الحزبي بين معسكر الرشيد وأبي غريب والقوة الجوية حيث تتم التبليغات في الأولى عن طريق علي عريم وفي الثانية عن طريق مجموعة من الضباط الرفاق وفي القوة الجوية عن طريق منذر الونداوي الذي كان عمله في قاعدة الحبانية غربي بغداد والتي تعتبر قريبة جداً من العاصمة والتي كان آمرها عارف عبدالرزاق المحسوب على القوى القومية لكنه بلغ بالثورة بعد التنفيذ حفاظاً على سريتها.[٢٠]

ثم استقر الرأي على كتيبة الدبابات الرابعة في أبي غريب للتنفيذ لأسباب منها قربها من مرسلات أبي غريب بغية استخدامها في اذاعة البيان وتواجد عدد كبير من البعثيين فيها.[٢١]

كان يوم الأربعاء يوم للادامة ، ولغرض تهيأة عدد منها صالحة للعمل ، كان

الضباط البعثيون يطلبون من الجنود ملء الدبابة ماءاً ثم تفريغها وقبل ان يكمل التفريغ يأمرونهم بالتوقف وترك العمل مستغلين تعبهم وارهاقهم في الادامة لتبقى فيها نصف الكمية.[٢٢] أما الملازم كامل حسين نعمة فقد جعل سريته كاملة[٢٣] ثم استطاع الملازم محمد اسماعيل الويس أن يهيء أربع دبابات صالحة للعمل بحجة ان هناك دورة سياقة.[٢٤]

ورغم انهم لا يعلمون متى تقوم الثورة ، إلا ان الشعور السائد انها قريبة خاصة وانهم لحظوا اهتماماً استثنائياً بالتنظيم الحزبي في الكتيبة فقد أصبح مسؤول الكتيبة الحزبي النقيب علاء الدين الجنابي وكان من أعضاء المكتب العسكري ثم أعقبه علي صالح السعدي أمين سر القطر حتى اعتقاله قبيل الثورة.

واضافة الى التهيأة والاعداد للثورة الذي قام به الحزب في التنظيم العسكري فقد أخذت تنظيمات الحرس القومي على عاتقها تأمين السيطرة على المناطق المدنية أثناء قيام الثورة.

ثم حدث ما عجل في التخطيط السريع لتنفيذ الثورة ، من ذلك اعتقال صالح مهدي عماش يوم ١٩٦٣/٢/٢ ، وخشية أن يعترف أو يكشف التنظيم أو خطة الثورة خاصة وان التبليغات تقتضي أن يصمد المعتقل مدة أسبوع ثم يجوز له الاعتراف للخلاص من التعذيب ، وفعلاً نفذت الثورة بعد ستة أيام من اعتقاله ، ثم ان عماش كان متردداً متأنياً ولذلك فقد نفذت الثورة أثناء اعتقاله ، إذ كان يرى ان التنفيذ بحاجة الى لواء مدرع بينما الجميع يقدرون الحاجة بسريتين.[٢٥]

كما ان احالة (٨٠) ضابطاً من ذوي التوجه القومي والبعثيين على التقاعد أقلق المخططين وجعلهم يدركون ان سلطات عبدالكريم قاسم قد تصل الى حقيقة الخطة لاسيما وان الجيش كان مليئاً بالعناصر الشيوعية الموالية للسلطة والتي تشكل عيناً له.

كما ان الحزب استغل حالة التذمر الشديدة من حكم قاسم اثر الاضطرابات التي جرت في ثانوية الشرقية للبنين والاضراب الطلابي الذي أعقبها يوم ١٧ كانون

الثاني ١٩٦٢ واستمر لأسابيع فولد حنقاً ضد السلطة شمل الكليات والمعاهد والثانويات[٢٦] وشكل هذا أرضية جيدة للتحرك والاسراع بتنفيذ الثورة.

وقبل الثورة بأسبوع اتصل حازم جواد من قيادة الحزب بالعسكريين البعثيين من خلال نعمة فارس حسن حيث أبلغه بضرورة تبليغ الضباط بالتهيؤ[٢٧] وأبلغ نعمة فارس مجموعة ممن تتوفر الثقة فيهم مثل كامل حسين نعمة ومظفر الدبوني ومحمد اسماعيل الويس. وطلب من نعمة أن يكتم أمر الثورة عن هاشم عبدالرزاق السامرائي ومحمود وهيب لضمان سرية الثورة.[٢٨]

ثم عقد اجتماع للتأكد من التبليغ حضره حازم جواد وطالب شبيب وعبدالستار لطيف مع الضباط المبلغين تم فيه تدارس الوضع التنظيمي وكيفية التحرك[٢٩] وصار الاتفاق أن يتم اجتماع في دار جعفر قاسم حمودي الذي كانت تُدار في بيته مجموعة من الاجتماعات السرية كان من بينها التنظيم النسوي[٣٠] وتم في الاجتماع ضرورة التبليغ لأكبر مجموعة تستطيع التنفيذ فتم تبليغ (٣٧) ضابطاً في الخدمة وخارجها (٥) وبحدود (١١) من ضباط الصف من بينهم محمد محمود ثلاج وملا مهدي ومحمود خلف وآخرين وتم تدارك النقص في ضباط الصف بإسناد قيادة الدبابات الى الضباط من الذين دخلوا دورات سياقة.

ثم عقدت سلسلة من الاجتماعات التي تدارست أمر الثورة ومتطلباتها، وكان من بينها اجتماع يوم ٤ شباط ١٩٦٣ الذي حدد فيه موعد الثورة وكلمة السر.[٣١]

ثم عقد اجتماع لمجموعة من أعضاء القيادة يوم الثلاثاء ١٩٦٣/٢/٥ في دار طالب شبيب وكان علي صالح السعدي أمين سر الحزب في العراق على رأس المجتمعين وكانت مهمة الاجتماع تنسيق الأدوار للمنفذين وأسمائهم وأدوارهم وبينما كانوا مجتمعين، طُوق الوكر من قبل رجال الأمن لحكومة عبدالكريم قاسم لكنهم لم يستطيعوا الحصول على أية معلومات حول خطة الثورة ومنفذيها[٣٢] فبقي

أمرها سراً وتوالت الاجتماعات بحذر أكبر بعد اعتقال السعدي فعقد اجتماع في اليوم التالي بحضور أحمد حسن البكر مع حازم جواد وطالب شبيب وعبدالستار عبداللطيف ومنذر الونداوي وأنور عبدالقادر الحديثي وذياب العلكاوي واتخذت بعد ذلك التدابير فيما يخص تبليغ الرفاق خارج بغداد[٣٣] وتوزيع المسؤوليات الحزبية على الرفاق في الداخل وأوكلت الى نجاد الصافي مهمة توزيع الأسلحة في صبيحة الثورة بإعطاء حقيبة رشاشات لكل مجموعة تبلغه بكلمة السر.[٣٤]

بينما كان الضباط البعثيين في كتيبة الدبابات الرابعة يهيئون الدبابات في سرية تامة دون أن يعلموا بمولد الثورة فأصبح العدد الجاهز بحدود إحدى عشرة دبابة صالحة للعمل[٣٥] وإن كانت الخطة تقتضي سبعة عشرة دبابة تتجه أثنتان الى مرسلات أبي غريب وأثنتان لحراسة المعسكر وثلاث دبابات للاذاعة في الصالحية وثلاث دبابات الى معسكر الرشيد وبحدود سبع دبابات الى وزارة الدفاع.[٣٦]

واتخذت الترتيبات فيما يخص المشاجب ومخازن العتاد فأسندت الى عامر نافع الناصري مهمة استلام الخفارة ليلة الثورة، وأسند لمحمد اسماعيل الويس البقاء في الكتيبة لتهيأة الدبابات والاشراف على المعسكر، ونام الجميع ليلة ١٣ رمضان (٧ شباط) الرمضانية الباردة والماطرة على أمل ملتهب بالخلاص من قاسم بقوة السلاح بعد ان فقد كل مبرر لاستمراره.

هوامش الفصل السادس

(١) أصبح التنظيم في بغداد بمستوى قيادة فرقة بين عام ٤٩ و١٩٥٠ وفي ١٧ ايار ١٩٥٣ أصبح التنظيم بمستوى فرع وشكلت أول قيادة قطرية بطريقة التعيين ، أنظر : هادي حسن عليوي ، دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق ، ط ٢ ، ص ١٣٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٤٦

(٣) المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

(٤) المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

(٥) كان في بغداد آنذاك لواءان مدرعان هما اللواء السادس المدرع في معسكر الرشيد واللواء العاشر المدرع في أبي غريب ولكل لواء ثلاث كتائب .

(٦) مقابلة شخصية مع الفريق الركن نعمة فارس المحياوي بتاريخ ١٥/١٠/١٩٨٥ .

(٧) صالح حسين الجبوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٨ .

(٨) شبلي العيسمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٣ .

(٩) التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن ، كانون الثاني ١٩٧٤ ، ط ٢ ، بغداد ، دار الثورة ، ص ١٤٥ .

(١٠) صالح حسين الجبوري ، مصدر سبق ذكره .

(١١) المصدر السابق .

(١٢) المصدر السابق .

(١٣) المصدر السابق .

(١٤) المصدر السابق .

(١٥) المصدر السابق .

(١٦) أوراق شخصية للسيد صالح مهدي عماش مطبوعة على الآلة الطابعة ، مصدر سبق ذكره .

(١٧) المصدر السابق .

(١٨) صالح حسين الجبوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٣ . ومقابلات شخصية مع سعدي طعمة الجبوري ونعمة فارس حسين ونصيف جاسم الربيعي ومحمد اسماعيل الويس . كذلك أنظر : جريدة الجمهورية ، عدد ٨ شباط ١٩٧٢ . مقابلة مع الأب القائد أحمد حسن البكر .

(١٩) صالح مهدي عماش ، مصدر سبق ذكره .

(٢٠) مقابلة شخصية مع نعمة فارس حسين .

(٢١) ويذكر سعدي طعمة الجبوري ان « أمر التنفيذ كان في البداية يقع على عاتق كتيبة دبابات خالد ضمن حماية بغداد ، وسئلت من قبل قصي صبري عن إمكانية التنفيذ فقلت نعم ، ويبدو

ان الخبر تسرب لقاسم ، فقد أرسل بطلب آمر الكتيبة العقيد صفاء الدين محمود ، وقال له معنفاً ان الكتيبة ليست بيدك وإنما بأيدي البعثيين ، وكانت كتيبة جاهزة وقوية تحتوي على أربعين دبابة بكامل أعتدتها ، وجاء الآمر الذي كان من أصدقاء قاسم الذين عملوا معه في جلولاء ، وجمع الكتيبة مساءاً ، وحضرت أنا باعتباري وكيل آمر السرية الثالثة والنقيب سعدون غيدان آمر السرية الثانية والمقدم صبري خلف الجبوري آمر السرية الأولى ، وفوجئنا بالآمر وهو يبكي ويقول ان عبدالكريم قاسم أرسل بطلبه وقال له انك غير متحسب لِمَنْ معك ، وبدا انه تأثر جداً من كلامه وعلمنا فيما بعد ان المعلومات تسربت الى قاسم من بعض العناصر المؤيدة له في داخل الكتيبة ، وبعد ذلك صار من الصعب التنفيذ بكتيبة خالد فعاد التفكير للعمل بكتيبة الدبابات الرابعة . » مقابلة شخصية بتاريخ ٢٠/١٠/١٩٨٥ .

(٢٢) مقابلة شخصية مع محمد اسماعيل الويس بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٨٥ .

(٢٣) المصدر السابق .

(٢٤) المصدر السابق .

(٢٥) مقابلة شخصية مع نصيف جاسم الربيعي بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٨٥ ويذكر سعدي طعمة الجبوري ان عماش في أحد الاجتماعات « طلب مني تأمين مفاتيح الدبابات فقلت له أستطيع جمعها في مكان واحد وليس جمع مفاتيحها إذ ان ذلك مستحيل » . مقابلة شخصية بتاريخ ٢٠/١٠/١٩٨٥ .

(٢٦) سبب ذلك اعتداء مناضل فاضل المهداوي، ابن رئيس المحكمة الخاصة العليا ، الذي يؤيد الاتحاد العام لطلبة العراق باعتداء على الطلبة الذين من ممثلي الاتحاد الوطني لطلبة العراق فعاقبت المدرسة الطالب المذكور إلا ان وزارة المعارف لم تصدق الأمر مما تسبب في تذمر الطلبة .

(٢٧) مقابلة شخصية مع نعمة فارس حسين بتاريخ ١٥/١٠/١٩٨٥ .

(٢٨) المصدر السابق .

(٢٩) المصدر السابق .

(٣٠) المصدر السابق .

(٣١) موعد الثورة الجمعة ٨ شباط (١٤ رمضان) وكلمة السر (رمضان مبارك) وحضر الاجتماع علي صالح السعدي وحازم جواد وطالب شبيب وأحمد حسن البكر وذياب العلكاوي وعبدالستار عبداللطيف وعبدالكريم مصطفى .

(٣٢) صالح حسين الجبوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٤٩ .

(٣٣) من ذلك مثلاً سفر عدنان القصاب الى كركوك لتبليغ حردان عبدالغفار آمر القاعدة الجوية هناك بموعد الثورة ، صالح حسين الجبوري ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

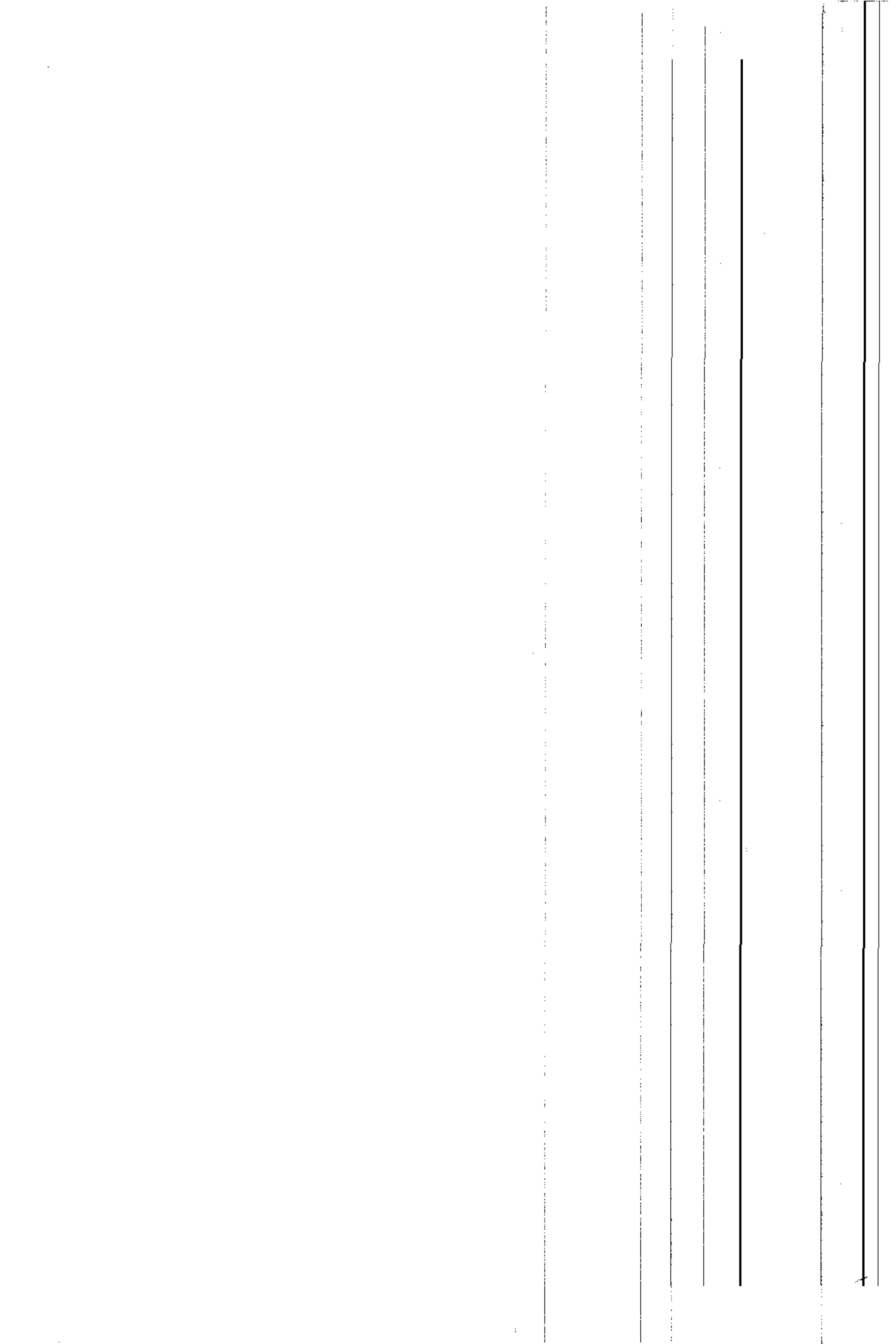
(٣٤) محمد اسماعيل الويس ، مقابلة شخصية .

(٣٥) المصدر السابق.

(٣٦) ويذكر محمد اسماعيل الويس « اجتمعنا قبل الثورة وتم الاتفاق ان تكون لكل ثلاثة ضباط دبابة وكما يلي : ثلاث دبابات الى وزارة الدفاع وثلاث دبابات الى معسكر الرشيد وثلاث دبابات الى الاذاعة ودبابتان الى مرسلات أبي غريب وكان مجموع الدبابات الصالحة أحد عشرة دبابة ». مقابلة شخصية بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٨٥.

الفصل السابع

انتصار الثورة



بعد اذاعة بيان ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ ، خرج الشعب العراقي الذي كاد عبدالكريم قاسم أن يمزقه الى فئات متناحرة بين مؤيد لقاسم وبين حامل للسلاح ضده ، وكان المؤيدون ينحصرون في فئات سياسية معروفة كان على رأسهم الحزب الشيوعي العراقي والبسطاء الذين وجدوا في (الزعيم) الذي حقق (الجمهورية) شخصاً يستحق التعاطف والتصفيق ، يضاف الى هؤلاء القوات المسلحة التي يتألف منها اللواء التاسع عشر الذي كان عبدالكريم قاسم آمراً له قبل الثورة وكان ذلك سبباً لتعاطف منتسبيه ــ غير المنظم ــ معه .

أما المعارضون لحكمه ، فكانوا كثير منهم حزب البعث العربي الاشتراكي الذي نفذ الثورة ، والقوى القومية والقوى المؤيدة للوحدة العربية والجماهير التي تعي وتدرك مقدار الأذى الذي ألحقه قاسم بمسيرة العراق الوطنية والقومية ، وخاصة أولئك الذين يبغضون الحزب الشيوعي العراقي أو نالهم من تصرفاته شيء من الأذى أو الذين طالتهم محكمة المهداوي وأجهزة السلطة الأخرى .[1]

هذه الحقائق ، نعرضها ليكون مدخلنا واضحاً في تصور ما كان عليه العراق صبيحة ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ ، وليكون مفهوماً بعد ذلك سبب مشاركة العديدين من غير البعثيين المنظمين في الثورة الى جانب الثوار وكذلك أسباب النزعة الثأرية التي طبعت الأيام الأولى للثورة والتي أفضت الى اعدام قاسم وعدد من أعوانه .

ولو عدنا الى خطة الثورة لوجدنا انها كانت تقضي إشراك القطاعين العسكري والمدني معاً ، والاعتماد وبشكل أساسي على الجماهير الشعبية الثائرة واستقطابها

لسحق أية مقاومة للثورة.

ومع ان تنظيم الحزب كان موجوداً في كـل الوحـدات العسكريـة المرابـطة في معسكرات بغداد ، وخصوصاً كتائب الدبابات إلا ان الخطة كانت تقضي تجميع كل الضباط البعثيين في مكان واحد هو السيطرة على كتيبة الدبابات الرابعة لقيادة أكبر عدد ممكن من الدبابات ولكونها قريبة من مرسلات أبي غريب وهكذا تجمع في الكتيبة عدد من الضباط المتحمسين للثورة.

كما تم جمع تنظيمات الحزب في الكرخ منذ الساعة الخامسة فجراً ويُبلغوا بعد اذاعة البيان بالتجمع على (جسر الشهداء) ومنع أية قوة من عبوره لنجدة عبدالكريم قاسم وتسهيل عبور القوات الثائرة الى وزارة الدفاع ثم المشاركة في مظاهرة كبيرة يجتمع فيها أكبر عدد من الجماهير لمقاومة قاسم.[٢]

خطة الثورة :

لم تطبق الخطة التي حددت بحذافيرها[٣] وكما أعد لها في أذهان المنفذين ، ولكنها كانت بمثابة الخط العام الذي يتم بموجبه التحرك لتنفيذ المهمات الموكلة لكل عضو منفذ. . ولسهولة البحث ، سنحاول هنا ان نثبت الخطة كما حددها المنفذون ثم نتابع تنفيذها بدقة من شهادات الضباط المنفذين أنفسهم ، لنكوّن صورة واضحة ووافية لتنفيذ أجزاء الخطة وما صادفها من لحظات حرجة وكيف انتهت الى النجاح.

لقد اعتمدت الخطة على عنصرين أساسيين وهما :

أولاً : القوة الجوية لتنفيذ الصفحة الأولى.

ثانياً : القوة الأرضية لتنفيذ الصفحة الثانية.

أولا : القوة الجوية :

كان المطلوب من الرفاق في القوة الجوية ما يلي :

١ ـ اخراج سرب طائرات الميك ١٩ في القاعدة الجوية ببغداد من الأوكار ونشره بالنسق في الغراء مساء يوم الخميس ٧ شباط لكي يسهل تدميره بضربة جوية من السرب السادس الهنتر كأول ضربة لشل القوة الجوية الموالية لنظام عبدالكريم قاسم ، ومنعها من التصدي لطائرات الثورة إذ كان سرب الميك ١٩ يضم أقوى وأحدث طائرات القوة الجوية العراقية ، وقد كان معظم ضباطه من الشيوعيين. وكانت هذه المهمة قد أسندت لضابط خفر السرب الملازم الطيار واثق عبدالله قبل التحاقه بالسرب السادس (الهنتر) في الحبانية للاشتراك في التنفيذ. [٤]

٢ ـ السيطرة على السرب السادس الهنتر ثم القاعدة الجوية في الحبانية. [٥]

٣ ـ الانطلاق من القاعدة الجوية في الحبانية والسيطرة على اللواء الثامن الآلي في معسكر الحبانية للاندفاع نحو بغداد لمعاونة القطعات الثائرة فيها. [٦]

٤ ـ مرور أول طيارة من سرب الهنتر فوق كتيبة الدبابات الرابعة كإشارة لبدء التنفيذ ، وكان مقرراً أن ينفذ هذه العملية النقيب الطيار منذر توفيق الونداوي. [٧]

٥ ـ انقضاض طائرة الونداوي على سرب الميك وتدميره. [٨]

٦ ـ قصف مقر عبدالكريم قاسم في وزارة الدفاع. وكان المبلغون بتنفيذ هذه العمليات الى جانب النقيب الونداوي هم الملازم الطيار واثق عبدالله والملازم الطيار فهد السعدون والملازم الأول عبداللطيف عبدالرزاق أمين (ضابط أسلحة) والرائد الطيار يونس محمد صالح والملازم الأول الطيار أسامة وهبي والملازم أيوب وهبي والملازم الأول فاضل مهدي الجميلي (مخابرة) والملازم

الأول حامد جواد العارف (ضابط سيطرة) والملازم الطيار تحسين محمد علي والملازم الطيار محمدعلي حمزة والملازم الطيار صفاء توفيق رشدي والرائد الركن داود الجنابي من لواء الثامن الآلي والملازم فاروق العبدلي من لواء الثامن الآلي أيضاً.[٩]

ثانيا : القوة الأرضية :

وكان من المقرر في الخطة الأولية أن تتم الحركة بالنسبة للقطعات الأرضية على النحو التالي :

١ ـ السيطرة على كتيبة الدبابات الرابعة.

٢ ـ قطع طريق بغداد ـ الفلوجة ومنع الحركة عليه لتسهيل حركة اندفاع الدبابات للتزود بالعتاد والاندفاع نحو بغداد.

٣ ـ التحرك للسيطرة على مخازن عتاد الدبابات في أبي غريب.

٤ ـ الزحف نحو بغداد بعد السيطرة على مخازن العتاد وفرز قوة لحماية ومنع القوات الموالية لعبدالكريم قاسم من الحصول على العتاد.

٥ ـ التحرك نحو بغداد على شكل أرتال مدرعة وعلى النحو التالي :

آ ـ اندفاع رتل مدرع نحو ثكنة وزارة الدفاع لمحاصرة مقر عبدالكريم قاسم وكان مقرراً أن يقوده العقيد الركن عبدالكريم مصطفى نصرت ويقود الدبابات الضباط التالية أسماؤهم . عبدالكريم مصطفى نصرت ، المقدم فهد جواد الميرة ، الرائد عبدالهادي العبيدي ، الرائد صلاح الطبقجلي ، الملازم عدنان خيرالله ، الملازم كامل حسين نعمة ، الملازم سعدون فليح ، النقيب هاشم حسن الياسين ، الملازم عدنان شريف ، الملازم قاسم الجعفري والملازم ناجي مجيد.[١٠]

ب ـ اندفاع الرتل المدرع الثاني للسيطرة على استوديوهات الاذاعة والتلفزيون في الصالحية بقيادة ذياب العلگاوي ، ويقود دباباته العقيد ذياب العلگاوي والرائد عبداللطيف الحديثي والملازم الأول حميد التكريتي والنقيب أحمد عبدالجبار الجبوري والرائد علي عريم والملازم رياض قدو. (١١)

جـ ـ اندفاع رتل مدرع ثالث عبر مدينة بغداد نحو معسكر الرشيد ماراً بجسر الباب الشرقي للسيطرة على معسكر الرشيد ومساندة القوات الثائرة فيه ، وكبح جماح الجماعات الموالية لقاسم بما فيها لواء المشاة التاسع عشر ، وكتيبتي الدبابات الأولى والخامسة والقاعدة الجوية ومعسكر الهندسة والكلية العسكرية في الرستمية وكان من المقرر أن يقود هذا الرتل الرائد أنور عبدالقادر الحديثي ويقود دباباته الرائد أنور نفسه والعقيد طاهر يحيى والعميد رشيد مصلح وأحمد علي التميمي. (١٢)

د ـ تخصيص دبابتين للسيطرة على مرسلات الاذاعة في أبي غريب لغرض اذاعة بيان الثورة وفيها من القيادة القطرية آنذاك طالب شبيب وحازم جواد وهاني الفكيكي وعبدالستار الدوري ومعهم المقدم الركن عبدالستار عبداللطيف والرائد الركن محمد المهداوي والرائد الركن جميل صبري البياتي والنقيب عباس محمد علي يعقوب والنقيب عزيز شهاب (منح الرتبة بعد الثورة) . (١٣)

هـ ـ مجموعة السيطرة على معسكر أبي غريب بقيادة آمر سرية الحراسة العقيد فاضل العساف(*) ومعه المقدم نزار رشدي والنائب الضابط عامر الناصري . (١٤)

و ـ المقر المنظم للعمليات بقيادة العقيد أحمد حسن البكر ومعه الملازم مجيد محمد العبدالله والملازم ابراهيم الدليمي (منح الرتبة بعد الثورة) ومقره أبي غريب لحين السيطرة على اذاعة الصالحية. (١٥)

ز ـ بعد السيطرة على اللواء الثامن الآلي يزحف نحو بغداد لاسناد الأرتال المدرعة .

ح ـ قيام التنظيم العسكري البعثي بالسيطرة على المعسكرات الخارجية وخصوصاً

الفرقة الثانية ، والقاعدة الجوية في كركوك ، وبمساعدة المقدم الركن حردان عبدالغفار.[16]

ط ـ قيام التنظيم العسكري في الوحدات الأخرى في بغداد بالسيطرة عليها وتأييد الثورة.[17]

ي ـ في الصفحة الثانية من الثورة كان من المقرر زج أكبر عدد من الدروع بعد التحاق الضباط والمراتب البعثيين والضباط القوميين الذين لم يتسن تبليغهم للقضاء على الأهداف المستعصية.[18]

ك ـ إسناد مهمة السيطرة على مداخل المدن والمناطق الرئيسية في بغداد الى مجاميع من الحرس القومي.[19]

التنفيذ :

في اليوم المحدد للتنفيذ ، خرج الرفاق الذين جرى تبليغهم في الموعد المحدد ولأن أي مصدر في السابق لم يصف عملية التنفيذ على نحوٍ وافٍ ، فقد ارتأينا هنا ، أن نبدأ بما ذكره السيد أحمد حسن البكر أحد أبرز المساهمين في الثورة وعضو حزب البعث العربي الاشتراكي آنذاك : « بعد ان تقرر تنفيذ الثورة في ٨ شباط ١٩٦٣ عُقد اجتماع قصير لم يتجاوز الساعة أو أقل للمسؤولين عن الحركة لدراسة آخر التطورات ، ووضع اللمسات الأخيرة ، وتوزيع الواجبات ، واستنفار كافة القطعات للتهيؤ للعمل للساعة الحاسمة ، وتقرر توزيع الضباط على شكل زمر صغيرة ، تضم كل زمرة من (٤ ـ ٧) ضباط يسكنون منطقة واحدة ، كي يستطيعوا الاجتماع في دار أحدهم ، وهم بملابسهم المدنية ، ومعهم أسلحتهم وملابسهم العسكرية لارتدائها عند حلول ساعة العمل ، على ان يجري تغطيتها بمعاطف وما أشبه ، حتى لا يلفت منظرهم العيون ، ويتم نقل الزمر الى نقطة

الانطلاق بسيارات مدنية خاصة ، حيث كُلفت كل زمرة بتأمين السيارة التي تحتاج اليها ، ومن ثم الانطلاق الى المعسكرات التي على كل زمرة أن تكون فيها اما زمر التنفيذ الجوية فقد عُهد اليها مهمة قصف وزارة الدفاع ومعسكر الرشيد ، إن ظهرت هناك محاولة لاستخدام الطائرات الموجودة فيه ضد الثورة ، كما عهد اليها أمر إسناد المعركة في أي مكان يستوجب تدخلها واتفق أن تكون كلمة السر للثورة هي (رمضان) والجواب عليها (مبارك) .[٢٠]

أما المشاركة الفعلية والشجاعة للمرحوم عدنان خيرالله فقد لخصها في الحديث التالي :

كنتُ مبلغاً بكلمة السر ـ رمضان مبارك ـ وعند تقاطع المأمون جئت أنا و (المرحوم) عبدالجبار الخريبط والرفيق (الملازم آنذاك) سعدي طعمة الجبوري والرفيق (الملازم آنذاك) نصيف جاسم الربيعي ومعنا بعض الأسلحة التالفة .

وكنا قبل يوم قد ذهبنا الى دار أنور عبدالقادر الحديثي في الأعظمية ، وكان ذلك اليوم هو الخميس المصادف السابع من شباط والثالث عشر من رمضان ، وكنا صياماً واتفقنا بشكل نهائي على خطة الثورة .

وصلنا الى الكتيبة صباح يوم ٨ شباط ، اعترضنا في باب الكتيبة ضابط ، لم يدعنا ندخل من الباب الرئيسي ، فدخلنا من السياج الخارجي توزعنا داخل الكتيبة على الدبابات الصالحة للاستعمال والتي استطاع الرفاق تهيأتها لنا ذلك ان عبدالكريم قاسم كان قد أصدر أمراً بتفريغ منظومات التبريد ورفع الزلفات من الدبابات ورفع أجهزة المخابرة والرشاشات المحورية والرشاشات ضد الجو ، وأمر كذلك ـ لشكه بأمر الثورة ـ بتشحيم مدافع الدبابات، على أية حال، أخذت دبابتي وفيها عناصر متطوعة من ضباط الصف الموجودين ، ووصلت أمام كلية الزراعة ـ حالياً ـ فارتفعت حرارة المحرك ، فعرفت ان منظومة التبريد فارغة ، حاولت أن أتدارك الأمر ، فالدبابة في عرض الشارع والعملية في غاية الخطورة ،

ولذلك أمرت الجنود بأن يملأوا الدبابة من ماء الغدير المتكون على حافات الشارع بعد المطر ، وما أن وضعنا الماء حتى سمعنا صوت فرقعة شديدة وتدفق الماء من (الراديتر) قوياً . . وظلت الدبابة واقفة دون حراك ، كان الرفاق قد وصلوا الى مخازن العتاد بالدبابات المهيأة للعمل ، وكنت ألحظ الرفيق أنور عبدالقادر الحديثي يتحرك بسيارة (كاز) أسلحة ، جاءني وسألني عن الدبابة ومضى في واجبه ، فعدت الى الكتيبة وأخذت دبابة أخرى وعدت الى مخازن العتاد ، عند المخازن لمحت دبابة الرفيق (الشهيد) وجدي ناجي كانت علائم البِشر بادية على محياه ، كان وجهه يطفح بالانفعالات الانسانية ورفع يديه عندما رآني وشبكهما علامة القوة والنصر واتجه لجلب العتاد من المخازن ، ثم علمت بعد انه استشهد بسبب انشطار المدفع المشحم وقد مثلت به جماعة قاسم .

أخذت من المخازن ثماني عشرة قنبلة ، ومضيت حتى وصلت قريباً من مرسلات أبي غريب وكانت آنذاك قد بثت البيان الخاص بالثورة ، رأيت المرحوم الأب القائد أحمد حسن البكر وكان يحمل رتبة (عميد) . . سألني عن الملابسات ، وكان الرفاق قد أخبروه باحتراق محرك دبابتي الأولى ، فشرحت له الموقف ، وطلب مني أن أتجه فوراً الى معسكر الرشيد لمنع لواء التاسع عشر الذي كان يرأسه عبدالكريم قاسم ، وكان مقره المكان الحالي للواء المدرع العاشر ، وبه فوجان كان إحداهما ملكفاً بالدفاع عن مبنى الوزارة ، وكانت الخطة هي التحرك الى اذاعة الصالحية ثم الى معسكر الرشيد لمنع اللواء التاسع عشر من التحرك إذ ان حركته ستسبب للثوار متاعب جمة .

بعد ذلك اتجهت الى بغداد ، سرت بحدود ٣ كم ، وما لبثت أن توقفت الدبابة مرة أخرى فسألت السائق ، فأجابني ان الوقود انتهى ، وكان الموقف صعباً ومحرجاً للغاية ، فالوقت لا يحتمل التأخير وأذا وفرنا الوقود وملأنا الدبابة فستواجهنا مشكلة الحاقنات في الدبابة (ت ٥٤) التي تحتاج الى عملية تنفيس . . وبرقت فكرة

في ذهني ، فأسرعت مع النائب الضابط التلميذ عبدالجبار الدوري الذي كان معي الى إيقاف إحدى شاحنات الديزل المتجهة الى سوريا ، وطلبنا من سائقها الوقود. . ولكن الكمية التي حصلنا عليها قليلة ، وأمرت نائب ضابط عبدالجبار أن يسرع الى الكتيبة ، وذهب وما لبث ان جاء بسيارة مليئة بالوقود فملأنا الخزان وأجرينا عملية التنفيس وانطلقنا. وقبل ذلك مرت بنا سيارة مدنية ، لم يكن وضعها طبيعياً ، فأوقفناها لتحقيق الهوية وأعطونا كلمة السر ، وظهر ان الذي بداخلها هو الملازم الأول فهد عبدالباقي السعدون الذي سقطت طائرته في المنصور وأرسلته الجماهير الثائرة الى الحبانية ليستمر في القصف عندما علموا انه من الثوار وانه كان في مهمة قصف مقر قاسم ولكن تعذر عليه الطيران ثانية لاصابته.

وصلت اذاعة الصالحية ، كانت هناك سرية مشاة تحرس الاذاعة برئاسة الملازم الأول فائق الآلوسي. . تهيأت السرية لقتالنا ، واتخذ أفرادها وضع الرمي خلف المتاريس ، غير ان آمر السرية ترجل وتقدم منا فتحول الجنود عن الأسلحة ، وحين رآني صافحني وهمس في أذني : ــ انها ثورة بعثية. . هنيئاً لنا.

لقد كان لحسن الحظ ذا اتجاه بعثي.

وصل ضباط بعثيون آخرون مثل محمد التكريتي وأحمد عبدالجبار الجبوري وضباط من كتيبة تدريب الدروع ، لذلك رأيت أن أذهب الى معسكر الرشيد حسب التوجيهات فقد كان وضع الاذاعة مطمئناً. . كنا نصادف في الطريق تجمعات الشعوبيين والعناصر الموالية لقاسم الى جانب الجماهير التي خرجت تحمي الثورة. . كان الرفاق في معسكر الرشيد قد سيطروا على اللواء التاسع عشر ومنعوه من التحرك. . ومررت بكتيبتي فوجدت ان العناصر المعادية اشتبكت مع الكتيبة وقتلت آمر الكتيبة في الباب الخارجي. . وحين رأيته ، لم أحتمل المنظر. . كنت صائماً وشعرت بألم شديد ، وناديت على أحد الواقفين وطلبت ماءاً. . ثم سألت عن مصير قاسم من أحد الجنود وكان يستمع الى راديو صغير يلصقه بأذنه ،

فأجاب : (انه محاصر في وزارة الدفاع) . . كان الدم يغلي في عروقي ، واعتليت صهوة دبابتي من جديد وانطلقت الى وزارة الدفاع ، وتخيلت ان قاسم سينفذ بجلده من جهة الشط التي طالما رصدتها من جانب الكرخ ، قريباً من بيتنا العتيق ، وأخذت زاوية كنت قد استطلعتها قبل أيام وأمرت الرامي أن يخرس المدفع الرشاش الذي كان في جهة الدفاع ، فحطمناه ثم وجهت مدفع الدبابة نحو غرفة قاسم المضادة للرصاص ، وأصبناها عدة اصابات مؤثرة ، على أثرها ــ كما يبدو ــ انتقل قاسم الى مبنى الحسابات القديم قرب الباب الشمالي ثم ما لبث أن عاد الى الباب الجنوبي ومن هناك سلّم نفسه في اليوم التالي .

عدت بدبابتي الى معسكر الرشيد ، وهناك رابضت حتى اليوم الثالث من الثورة ، ومن المفارقات ان أهلي سمعوا ان عدنان قد أصيب وبالطبع فان المقصود الملازم المرحوم « عدنان شريف » فتصوروا انني المعني بالأمر ، وهرعوا الى معسكر الرشيد ، وفوجئت بوالدي ومعه الحاج المرحوم ابراهيم الحسن (عم السيد الرئيس القائد) وأذكر ان ابراهيم الحسن حدثني بتأثر عميق فقال : يا ابني . . أخوك صدام تحدى قاسم وهو خارج بلده الآن ومحكوم بالاعدام وأنت من بعده تتصدى لقاسم وتعرض نفسك لسلطة قوية . . ماذا جرى لكما . . لا أدري ؟

أتدري ان الذي في سنكما الآن ماذا يفعل ؟! يعيش حياته وأيامه بهدوء ويبحث عن السعادة . . أنتم في عمر الورود ومع ذلك فان ما تقومون به كبير وخطير . وحرت بماذا أجيبه ثم قلت بعد صمت : يا عمي . . نحن نؤدي الواجب للوطن .

فأجابني وهو يربت على كتفي : إذن يا ابني إن استطعت أن تفعل الخير في حياتك فافعل ، وإن لم تستطع فلا تفعل الشر . وما زلت أتذكر تلك الكلمة وما زلت أطبقها في حياتي وكأنها موشومة في ذاكرتي . (٢١)

البيان الأول للثورة :

وبينما كانت الدبابات تتحرك باتجاه الدفاع والرشيد والاذاعة ، كانت مرسلات أبو غريب تبث البيان الأول للثورة :[22]

« أيها الشعب العراقي الكريم . . لقد تم بعون الله القضاء على حكم عدو الشعب عبدالكريم قاسم وزمرته المستهترة التي سخرت موارد البلاد لتطمين شهواتها وتأمين مصالحها فصادرت الحريات وداست الكرامات وخانت الأمانة وعطلت واضطهدت المواطنين.

أبناء الشعب الكرام :

قامت ثورة الرابع عشر من تموز لتحرير وطننا من الأوضاع الاستعمارية المتمثلة بالحكم الملكي وسيطرة الاقطاع وسياسة التبعية ولتحقيق أوضاع ديمقراطية ينعم فيها الشعب بحياة كريمة ، ولكن عدو الله وعدوكم المجرم الخداع استغل منصبه واندفع بكل الوسائل الدنيئة والأساليب الاجرامية لاقامة حكمه الأسود الذي أفقر البلاد وصدع الوحدة الوطنية وعزل العراق عن ركب العروبة المتحررة وطعن أماني شعبنا القومية.

أيها المواطنون :

إن حرصنا على سلامة وطننا ووحدة شعبنا ومستقبل أجيالنا وإيماننا بأهداف ثورة تموز العظيمة وقد حملنا مسؤولية القضاء على الطغمة الفاسدة التي تسلطت على ثورة الشعب والجيش فأوقفت مسيرتها وعطلت انطلاقتها وقد تم ذلك بمؤازرة كافة القوات المسلحة الوطنية وتأييد جماهير الشعب.

أبناء الشعب الكرام :

إن هذه الانتفاضة التي قام بها الشعب والجيش من أجل مواصلة المسيرة الظافرة لثورة تموز المجيدة لابد من انجاز هدفين : الأول تحقيق وحدة الشعب

الوطنية ، والثاني تحقيق المشاركة الجماهيرية في توجيه الحكم وادارته ولابد لانجاز هذين الهدفين الاثنين من اطلاق الحريات ، وتعزيز مبدأ سيادة القانون .

إن قيادة الثورة المتمثلة بالمجلس الوطني لقيادة الثورة إذ تؤمن بهـذا وتعمل على تحقيقه تؤمن كذلك بما يزخر به هذا الشعب من روح وطنية وثابة وما يتجلى فيه من عزم ثوري وما يتصف به من وعي عميق لهذا نأمل أن يترفع المواطنون في هذا اليوم المبارك عن الضغائن والأحقاد وأن يعملوا جميعاً على ترسيخ وحدتهم الوطنية وتقوية التفافهم حول أهداف ثورة تموز المجيدة ، وأن لا يدعوا منفذاً لعميل أو مضر أو مأجور يسعى فيه بالتفرقة .

أيها المواطنون :

إن المجلس الوطني لقيادة الثورة يعمل على اقامة حكومة وطنية من المخلصين من أبناء الشعب ومن المخلصين من أبناء هذا الوطن ، وستكون سياسة حكـومة الثورة وفقاً لأهداف ثورة تموز المجيدة لذا فان الحكومة ستعمل على اطلاق الحريات الديمقراطية وتعزيز مبدأ سيادة القانون ، وتحقيق وحدة الشعب الوطنية لما يتطلب لها من تعزيز الأخوة العربية الكردية . بما يضمن مصالحها القومية ويقوي نضالها المشترك ضد الاستعمار واحترام حقوق الأقليات وتمكينها من المساهمة في الحياة الوطنية كما انها تتمسك بمبدأ الأمم المتحدة والالتزام بالعهود والمواثيق والمساهمة لتدعيم السلام العالمي ومكافحة الاستعمار لانتهاج سياسة عدم الانحياز ، والالتزام بمقررات مؤتمر باندونغ وتشجيع الحركات الوطنية المعادية للاستعمار وتأييدها ، كما ان قيادة الثورة تعاهد الشعب على العمل نحو استكمال الوحدة العربية وتحقيق وحدة كفاح عربي ضد الاستعمار والأوضاع الاستعمارية في الوطن العـربي والعمل عـلى استرجـاع فلسطين المحتلة ، وستحافظ عـلى المكتسبات التقـدمية للجمـاهير وفي مقـدمتهـا الاصلاح الزراعي وتطويره لمصلحة الشعب واقامة اقتصاد وطني يهدف الى تصنيع البلد وزيادة امكانياته المادية والثقافية كما سيؤمن تدفق البترول الى الخارج .

أيها الشعب الكريم :

إننا نعاهد الله ونعاهدكم أن نكون مخلصين لجمهوريتنا أمينين على مبادئنا مضحين في سبيلها وكلنا أمل وثقة بأن أبناء شعبنا الكرام سيكونون وحدة متراصة للمحافظة على هذه المبادىء والسير قدماً في طريق التقدم والرقي والله ولي التوفيق.

المجلس الوطني لقيادة الثورة

كُتِبَ ببغداد في ١٤ رمضان ١٣٨٢ هجرية الموافق ٨ شباط ١٩٦٣ ميلادية[٢٣]

ويتضح من البيان ان الثوار لم يطلقوا كلمة (الثورة) وإنما تضمن البيان كلمة (الانتفاضة) والقصد من ذلك هو جمع كافة القوى التي كانت تؤيد ثورة ١٤ تموز وعدم التقليل من أهمية هذه الثورة ، كذلك فان الثورة لم تفصح عن هويتها الحزبية باعتبارها ان المخططين والمنفذين لها هم عناصر حزب البعث العربي الاشتراكي والغاية من ذلك جمع القوى القومية حول الثورة والمساهمة فيها ، اضافة الى ان البيان لا يختلف في مضمونه وجوهر صياغته عن البيان الأول لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ حيث أكد على أهمية تحقيق الوحدة الوطنية وأهداف ثورة تموز والسير في مبادئها كما ان البيان أكد على استمرار ضخ البترول الى الخارج لكي لا يدع مجالاً للتدخل الأجنبي.[٢٤]

تفاصيل التنفيذ :

بدأ التحرك بين الساعة السابعة والساعة الثامنة والنصف صباحاً ، وانطلقت المجموعات المنفذة بملابس مدنية كي لا تثار الشبهات عن سبب الخروج ، واستخدمت السيارات الخاصة في التحرك الى أبي غريب ، فانطلقت في الساعة السابعة مجموعتان من دار الرائد أنور عبدالقادر الحديثي في مدينة الضباط حيث

اصطحب معه بسيارته الشخصية المجموعة الأولى المؤلفة من الملازم عدنان دحام العزاوي والملازم وجدي ناجي والملازم عامر الناصري والملازم سعدي طعمة الجبوري والمقدم علي عريم[٢٥] والمجموعة الأخرى كانت بسيارة الملازم الأول سامي سلطان ومعه عدد من المنفذين منهم الملازم عدنـان خيرالله والمـلازم نصيف جاسم وعبـدالجبار الخريبط. المجموعة الثالثة انطلقت من حي دراغ كانت بسيارة الرائد عبداللطيف حسن الحديثي ومعه العميد أحمد حسن البكر وطاهر يحيى ورشيد مصلح وابراهيم عباس الدليمي.[٢٦] أما المجموعـة الرابعـة فانـطلقت في الساعـة الثامنـة والربـع من ساحة النصر بسيارة الملازم نعمة فارس المحياوي ومعه محمد اسماعيل ومظفر الدبوني وكامل حسين نعمة.[٢٧]

واتجهت زمرة أخرى بسيارة العقيد الركن عبدالكريم مصطفى نصرت حيث قصد الوزيرية لإركاب العقيد المهندس نزار رشـدي والنقيب (المتقاعـد) عباس محمد علي وعامر الناصري وعزيز شهاب.[٢٨]

واستلمت المجموعة حقيبة رشاشات من سيارة نجاد الصافي.

وكانت هناك سيارة تقف قرب مدينة الشرطة في طريق أبي غريب ، يقودها نجاد الصافي ومهمتها توزيع الأسلحة على سيارات المنفذين وهي رشاشات بورسعيد وغدارات أخرى قديمة.[٢٩] ووصل المنفذون الى الكتيبة في حدود الساعة التاسعة ، وهرع الجميع فارتدوا ملابسهم العسكرية واعتلوا الدبـابات الصـالحة للعمـل ، إذ ان معظم الدبابات كانت قد فرغت من الماء والوقود قبل أيام بأمر من عبدالكريم قـاسم الذي وردت اليـه معلومات عن تحـرك الثوار وقـائمة بـأسمـائهم وجـدت على منضدته بعد الثورة ، وربما تسربت اليه أخبار عن تحرك قريب ، فقد أمر أيضاً برفع الزلفات وأجهزة المخابرة والرشاشات المحورية والرشاشات ضد الجو وتشحيم مدافع الدبابات بحيث أصبحت الدبابات في حالة خزن ولا تصلح للعمل[٣٠] ولكن الملازم محمد اسماعيل الويس استطاع أن يهيء سريته بحجة الادامة فجهز مجموعة

من الدبابات وجعلها صالحة للعمل وفي صبيحة الثورة نزل مع الثوار ومكث هناك لمساعدة الآخرين الذين سمعوا بالثورة من الراديو وجاءوا للمشاركة .(٣١)

كان الاتفاق هو رؤية طائرة (منذر الونداوي) في السماء للانطلاق ، وفعلا مرت الطائرات التي كان يقودها فهد السعدون وواثق عبدالله اضافة الى الونداوي فأسرع الثوار بالحركة من أبي غريب(٣٢) واتخذت المجموعات المسارات التالية ، وسنبتدىء بالقوة الجوية لأنها ابتدأت عمليات الهجوم والتنفيذ :

القوة الجوية :

كان على منذر الونداوي قصف مبنى وزارة الدفاع ، بغية خلخلة الوضع هناك لارهاب القوة التي تحرس الدفاع والايحاء بحجم الزخم الذي يقود الثورة ، ولما كان آمر قاعدة الحبانية العميد الطيار الركن عارف عبدالرزاق لا يعلم بأمر الثورة ، فقد كلفت العناصر البعثية بتهيأة الطائرات الثلاث المكلفة بالمهمة بسرية تامة ، على ان يُخبر آمر القاعدة بعد تنفيذ الواجب تكون الطائرات قد أدت واجباتها ، وقاد منذر الونداوي طائرته (الهوكرهنتر) واتجه بها الى وزارة الدفاع محلقاً فوق أبي غريب لاعطاء الاشارة، وشرع في تنفيذ المهمة المكلف بها فيما قام الطيار واثق عبدالله بتنفيذ واجبه لقصف الحمايات وأسلحة مقاومة الطائرات المحيطة بالمبنى(٣٣) وما عدا بعض الصعوبات الفنية التي كانت بسبب العجلة فان المهمة نجحت رغم اصابة طائرة الملازم الطيار فهد السعدون فقذف نفسه بالمظلة في منطقة المأمون ولم يستطع الطيران مرة أخرى رغم انه أُعيد الى الحبانية(٣٤) وهناك طائرات أخرى اشتركت قادها الملازم الطيار محمد جسام الجبوري والملازم الطيار عادل سليمان بعد ان أصبح الجميع يحاولون الاسهام في شرف التنفيذ .(٣٥)

وقد تم الاعتماد على القاعدة الجوية في كركوك ، كاحتياط للثورة في حالة وجود صعوبات في بغداد من جهة وللسيطرة على المنطقة الشمالية[٣٦] فأرسل الحزب يوم ٧ شباط ١٩٦٣ السيد عدنان علي القصاب ليبلغ عدداً محدوداً من الضباط في القاعدة وفي ساعة اعلان الثورة ، تم تخلي آمر القاعدة العميد الركن الطيار حميد توفيق عن منصبه بلا مقاومة لأنه كان متعاوناً مع العبثيين[٣٧] وتمت السيطرة على الفرقة الثانية وفي الساعة الرابعة من نهار الثورة أرسل قائد الفرقة الثانية في كركوك الى بغداد بصحبة النقيب زكريا جاسم السامرائي ليودع مؤقتاً في السجن رقم (١) ضمن تدابير حماية الثورة.[٣٨]

القوة الأرضية :

كانت القيادة العسكرية المشرفة على التنفيذ ، تتألف من أحمد حسن البكر الذي كان يوجه تحرك الدبابات في أبي غريب ، والرائد أنور عبدالقادر الحديثي الذي كان يراقب الحركة ، وبعد أن انتهى تحرك الدبابات ، كان العميد أحمد حسن البكر والعقيد ذياب العلگاوي والرائد عبداللطيف الحديثي والملازم الأول حامد الدليمي والملازم حميد التكريتي وابراهيم الدليمي قد تحركوا للاذاعة في الصالحية.[٣٩]

ومجموعة توجهت الى مرسلات أبي غريب ، لغرض اذاعة بيان الثورة ، وكانت مؤلفة من حازم جواد وطالب شبيب والمقدم الركن عبدالستار عبداللطيف والرائد الركن محمد حسين المهداوي والرائد الركن جميل صبري البياتي والنقيب الركن سعد وهيب السامرائي وأفلحت في اذاعة البيان الذي تلاه حازم جواد.[٤٠]

وكان آخر من اندفع بدبابته مع زمرته هو العميد أحمد حسن البكر ، حيث قصد في البداية منطقة قرب الوشاش تدعى (المنكوبين) لاخماد جيوب المقاومة هناك من المؤيدين لقاسم وتوجه بعدها الى الاذاعة فيما أُنيطت مهمة القيادة والسيطرة

في أبي غريب على عاتق العقيد المهندس نزار رشدي عبدالحميد[41] وكتيبة الدبابات الرابعة بمسؤولية الملازم محمد اسماعيل الويس.[42]

في هذه الأثناء كانت الدبابات قد وصلت الى مبنى وزارة الدفاع وبوشر بالرمي ، كان الدفاع وقتها محاصراً بدبابات العقيد الركن المظلي عبدالكريم نصرت ووجدي ناجي وسعدي طعمة الجبوري وعدنان دحام وطارق كامل نعمة ومظفر الدبوني[43] وانضمت دبابات أخرى لعسكريين لم يبلغوا بالثورة ولكنهم سارعوا للمشاركة فيها عندما علموا انها ضد عبدالكريم قاسم[44] وجرى تبادل اطلاق النار بين قوة الدفاع التي كانت تقدر بجحفل لواء زائداً آمرية الانضباط العسكري وأسلحة مقاومة الطائرات[45] وفي هذه المعركة استشهد الملازم كامل حسين نعمة الذي انشطر مدفع دبابته بسبب الشحم (التزييت) والملازم وجدي ناجي وجرح سعدي طعمة الجبوري[46] ثم قاد عملية الدخول الى وزارة الدفاع وتطهيرها المقدم الركن محمد يوسف طه آمر فوج الثالث لواء المشاة الثامن الآلي والنقيب الركن دخيل علي الهلالي.[47]

كان عبدالكريم قاسم ينام في وزارة الدفاع وبعد حادثة (رأس القرية) بدأ يقضي الليل في داره الواقعة قرب ساحة (الجندي المجهول) القديمة ، في تقاطع شارع السعدون الحالي المؤدي الى فندقي (ميرديان والشيراتون) باتجاه شارع النضال ، وعلى الرغم من ان الثوار أذاعوا البيانات قبيل وصول الدبابات الى الدفاع فان ذلك الأمر جعل الكثيرين من رجال الحكم يتصورون ان أمر الثورة استتب إذ عادة ما تكون « اذاعة البيان » علامة على ان الثورة حققت سيطرتها الكاملة وأزاحت النظام السابق ، لكن حدث العكس فقد تحركت بعض العناصر الشيوعية المؤيدة لقاسم الى الشارع مشتبكة مع الثوار ، وتحرك عبدالكريم قاسم قاصداً الدفاع ، وكان التوجيه الصادر للثوار بعدم التعرض له لكي يحاصر في المبنى ، وكانت الخشية أن يقصد اللواء التاسع عشر المؤيد له فيسبب مشاكل وصعوبات

للثوار.[٤٨]

وفي حوالي الساعة العاشرة والنصف دخل عبدالكريم قاسم مبنى وزارة الدفاع في باب المعظم متصوراً انه سيشرع بقيادة المناصرين له لاحباط الثورة[٤٩] وكانت نقطة الضعف في تصرفه هذا هي ان الدفاع كان محاصراً بالدبابات وليس بقوة من المشاة يمكن ابادتها باشتباك مقابل كما انه فقد القوة التي يعتمد عليها في اللواء التاسع عشر الذي قصدته ثلاث دبابات وسيطرت على معسكر الرشيد بكامله.[٥٠]

فبعد اذاعة البيان الأول للثورة ثار التنظيم العسكري في لواء المشاة التاسع عشر في معسكر الرشيد بقيادة الرائد الركن طه نوري الشكرجي ، وعند اطلاق سراح المقدم الركن صالح مهدي عماش والمقدم الركن حسن مصطفى النقيب من سجن رقم (١) في معسكر الرشيد تحركا بدبابتين الى مقر اللواء المذكور فتمت السيطرة عليه[٥١] أما الدبابات التي قصدت معسكر الرشيد فوجدت مقاومة من العناصر الشيوعية في الطريق ، ولكنها استمرت حتى وصلت أهدافها المقررة في الخطة[٥٢] وفي هذه الأثناء تحرك عدد من البعثيين وأصدقاء البعثيين ومن منتسبي كتيبة الدبابات الرابعة الذين لم يبلغوا بالثورة وهرعوا الى أبي غريب للمشاركة في الثورة ، فوجدوا المشاجب مفتوحة وأخذوا الدبابات الجاهزة للعمل والتحقوا بالثوار[٥٣] وكانوا يتوجهون خارج الخطة الى الأماكن المهمة ، فذهب بعضهم الى جانب الكرخ لاكمال محاصرة الدفاع وقصد بعضهم الاذاعة في الصالحية وتواجد قسم منهم في معسكر الرشيد ، ولأن الثوار كانوا بحاجة الى المساعدة فقد عملوا مع الذين التحقوا بلا حساسيات من انهم شاركوا دون أن يتم إخبارهم كما ان غير المبلغين شاركوا أيضاً دون شعور بالغيظ من انهم لم يبلغوا وخاصة البعثيين منهم ، فهرع الملازم الأول محمود وهيب وهو مساعد آمر كتيبة الدبابات الرابعة الى الكتيبة وجلب دبابة وقصد معسكر الرشيد فور سماعه بأمر الثورة وكذلك فعل الملازم حسين مكي خماس وعدد كبير آخر من الضباط وضباط الصف[٥٤]

بل ان المقدم الركن ابراهيم جاسم التكريتي آمر كتيبة الدبابات الأولى كان يحاول الوصول الى كتيبته داخل المعسكر للاشتراك بالثورة حين قُتل على يد أحد الضباط الموالين لقاسم. (٥٥)

كانت اذاعة الصالحية هي المكان الذي تجمع فيه قادة الثورة ، وقد قصدها في البداية بغية السيطرة عليها الملازم عدنان خيرالله ، وكانت هناك سرية مشاة تحرس الاذاعة بإمرة ملازم أول فائق الآلوسي ويذكر عدنان خيرالله انه حين وصل وجماعته الى هناك « تهيأت السرية لقتالنا ، واتخذ أفرادها وضع الرمي خلف المتاريس ، غير ان آمر السرية ترجل وتقدم منا فتحول الجنود عن الأسلحة ، وحين رآني صافحني وهمس في أذني : إنها ثورة بعثية. كان لحسن الحظ ذا اتجاه بعثي »(٥٦) وصار تحرك العناصر الثورية بعد ذلك وفقاً للحاجة الآنية فقد جرى الانتباه أثناء التنفيذ الى جانب الكرخ المواجه للدفاع وبغية تفويت الفرصة على عبدالكريم قاسم من الهرب الى الجهة الأخرى فقد تكفل الأمر عدد من الثوار بينهم عدنان خيرالله وعدنان شريف وخضير غضبان. (٥٧)

ثم أصيب عدنان شريف وانتقل عدنان خيرالله الى العلوية ، لاسكات الحماية المكلفة بحراسة بيت المهداوي(٥٨) وحين علم انه غير موجود تحرك الى معسكر الرشيد حيث كُلف بحماية الباب الخلفي للمعسكر حتى استتب أمر الثورة بعد ثلاثة أيام. (٥٩)

وساهمت إحدى الدبابات التي حاصرت السجن العسكري رقم (١) باطلاق سراح عدد من البعثيين الموقوفين ومنهم صالح مهدي عماش. (٦٠)

وبهذا يكون الثوار قد سيطروا على معسكر الرشيد والقاعدة الجوية فيه التي قصف مدرجها الطيار واثق عبدالله والقاعدة الجوية في الحبانية ومركز الاتصالات والمخابرة التي سيطر عليها بعض البعثيين والقاعدة الجوية في كركوك.

وكان لسلاح الدبابات تأثير فعال في السيطرة على الموقف ، فقد أدت قنبلة

أطلقها أحد الثوار فوق مناطق (الشاكرية) قرب الاذاعة الى اخماد المتظاهرين المؤيدين لقاسم.[61] كما ان اللواء التاسع عشر ومعسكر الرشيد تمت السيطرة عليه باطلاق عدد من القذائف دون اصابة أحد[62] وحسم أمر معسكر الوشاش (في المكان الحالي لمتنزه الزوراء) حين توقف أحد الضباط المنفذين قرب المعسكر.[63] وكانت تلك من أسهل المقاومات قياساً بما حدث في الكاظمية والفضل وبعض مناطق الرصافة حيث استمرت المقاومة لمدة ثلاثة أيام بعد الثورة وتم السيطرة على المتظاهرين بإرسال قوة لمعالجة أمرها والتحق فيها عدد من الضباط بينهم عدنان دحام ونصيف جاسم الربيعي.[64]

وبهذا انحصر الصراع المسلح حول مبنى وزارة الدفاع التي كان عبدالكريم قاسم قد دخله في الساعة العاشرة والنصف وهو الوقت نفسه الذي خرج فيه عبدالسلام عارف من داره بصحبة عدنان القصاب ليذهب به الى أبي غريب حيث قابل هناك أحمد حسن البكر وذهب الجميع الى الاذاعة التي أعلن منها تنصيب عبدالسلام عارف رئيساً للجمهورية.[65]

استسلام عبدالكريم قاسم ومحاكمته :

(تكاثف نشاط العناصر المضادة لقاسم ، وكان يقودها في المناطق السكنية أفراد الحرس القومي الذين لعبوا دوراً أساسياً في السيطرة على مراكز الشرطة وتقاطع الطرق والدوائر الرئيسية.)

لقد أنجز الحرس القومي الواجب المعطى له في الخطة بحذافيرها وكما يلي :

آ ــ سيطر حسب التوقيت عند ساعة الشروع على مركز شرطة المأمون.

ب ــ قطع طريق بغداد ــ الفلوجة ومنع الحركة عليه.

جـ ــ سيطر على معسكر الرشيد لمنع خروج قطعات منه لمساعدة عبدالكريم قاسم.

د ــ سيطر على مدينة (اليرموك) واحتجز الضباط الموالين للنظام ومنع خروج الضباط منها ما لم يكونوا ممن يؤيدون الثورة.

هـ ــ سيطر على الأعظمية وحجز الضباط الموالين للنظام والمشكوك فيهم في النادي الأولمبي (مركز شباب الأعظمية).

و ــ نظّم ثلاث مجموعات كل مجموعة من (١٢) حارس قومي للتصدي لعبدالكريم قاسم إذا مر بهذه المجموعات عند تنقله داخل بغداد.

ز ــ اشترك في القتال الذي دار أمام وزارة الدفاع بشكل فعال وأعطى بعض الخسائر.

ح ــ سيطر على المدن في مختلف أنحاء العراق وكان له دور كبير في قمع القوى المناهضة للثورة في الكاظمية والبصرة وبعقوبة.[٦٦]

من جهة أخرى، أدرك قاسم ان الوضع خرج من يده، وانه دخل مبنى وزارة الدفاع الذي كان قد أعد بمثابة منطقة قتل له[٦٧] وفعلا فقد سقط أحد أعوانه صريعاً على أيدي الثوار وهو عبدالكريم الجدة آمر الانضباط العسكري، واشتد الحصار حين نزلت دبابات أخرى كانت قد جهزت في أبي غريب من الكتيبة الرابعة التي بقي فيها الملازم محمد اسماعيل الويس ليزود الثوار بالعتاد والأسلحة[٦٨] ووصل اللواء الثامن من الحبانية بقيادة المقدم حماد شهاب فأحكم الطوق حول الدفاع والمناطق المجاورة[٦٩] وظل قاسم يتنقل من غرفة الى أخرى دون جدوى. وأجرى بواسطة الصحفي يونس الطائي اتصالين أحدهما بطاهر يحيى والثاني بعبدالسلام عارف عارضاً تخليه عن المسؤولية مقابل تسفيره الى خارج العراق، فطلب منه التسليم دون قيد أو شرط.[٧٠]

ويبدو ان قاسم لم يفقد الأمل في بعض مؤيديه أو هكذا كان يعتقد، فسجل نداءاً صوتياً دعا فيه المواطنين وأبناء الشعب الى المقاومة ووصف الثورة والثوار بصفات مشينة إلا ان الشريط وقع بأيدي الثوار، وأخبر قاسم بأن لا فائدة من تلك

المحاولة[٧١]

ظل عبدالكريم قاسم متشبثاً بأمل النجاة ، ولم يكن في الوقت نفسه يمتلك الشجاعة الكافية لقيادة المجموعات الموالية له في مواجهة حقيقية ، بل كان يتنقل من مكان الى مكان كلما اشتد الضغط عليه من الباب الجنوبي ، وأخيراً تسلل هـو والمهداوي وطه الشيخ أحمد الى بناية الحسابات القديمة داخل الدفاع خلف جامع (الازبك) ومنها الى قاعة الشعب من الباب الخلفي ، فحوصر هناك واستسلم .[٧٢]

كانت هناك تعليمات بوجوب عدم الاعتداء أو اهانة قاسم ، جماعته حتى تتم محاكمتهم ، ونزل قبالة الاذاعة من الدبابة التي أقلتهم بلا اعتداء ، لكن الجماهير التي كانت محتشدة هنـاك والتي كان بعضهـا يكن للمهداوي العـداء من أحداث الموصل ومحاكماته الشهيرة فهرعوا اليه وسحبوه وانهالوا عليه ضرباً وكان يسب قاسماً في محاولة للخلاص من غضب الناس ، ثم أُقتيد الى الداخل .[٧٣]

وصل عبدالكريم قاسم الى مبنى الاذاعـة في الصالحيـة بدبـابة (ت ٥٤ ، بصحبة عدد من الضباط ، وكان أول مَـنْ خرج من القياديين صالح مهدي عماش الذي بادره بالقول متشفياً « جئناك في يوم جمعة وفي الساعة العاشرة من النهار »[٧٤] فقال عَبدالكريم قاسم : « دائماً التلميذ يصير أستاذ ونص . . » .[٧٥]

وعندما وصل حردان عبدالغفار من كركوك ، سحب قـاسم الجنابي جـانباً وطلب من الحاضرين الرأفة به كونه كان متعاوناً مع الضباط البعثيـين يساعـدهم في ترويج قوائم الترقية ويدافع عن القوميين لأنه منهم ولأن عمله لا يعدو أن يكون مرافقاً للزعيم .[٧٦]

جرى حوار في الداخل بين قيادة الثورة وبين قاسم حول سلوكـه المنحرف بتأليب القوى الوطنية على بعضها فدافع عن نفسه بانه اهتم بالاصلاحات العمرانية وسواها ، غير ان المحكمة التي شكلت من مجموع الحاضرين ومثل فيها بعض قادة الثورة ، أدانته وجماعته بالفتنة وتقريب العناصر الشعوبية وإعدام ومطاردة القوى الوطنية والقومية[٧٧] ثم اتخذت قراراً بإعدامه خشية تمكنـه إن بقيّ حياً من تجميـع القوى المناصرة لسياسته والفتك بالثوار.[٧٨] ثم تم تكليف ستة من الحاضرين لتنفيذ حكم الاعدام رمياً بالرصاص وكان النقيب المظلي منعم حميد يعطي إيعازات الرمي[٧٩] ونفذ الحكم بعبدالكريم قاسم وفاضل عباس المهداوي وطه الشيخ أحمد ، وكنعان خليل حداد وقد طلب اليهم ربط عيونهم ففعلوا إلا قاسم حيث ترك عينيه تبصران الاطلاقات المتجهة الى صدره والتي أردته قتيلاً في الحال ، وصور بعـد الإعدام ، وظهر الفلم على شاشة التلفزيون ، ثم أُرسلوا جميعـاً الى الطب العـدلي وبعدهـا الى مديرية أمن بغداد التي أمرت بدفنهم في (الكمالية) شرقي بغداد.[٨٠]

وفي الساعة الواحدة والنصف وخمس دقائق قطع راديو بغداد أناشيد الثورة ليذيع بلاغاً من الحاكم العسكري العام (الزعيم) العميد رشيد مصلح جاء فيه :

« لقد تم القاء القبض على عدو الشعب عبدالكريم قاسم ومعه فاضل عباس المهداوي وطه الشيخ أحمد وكنعان خليل حداد من قبل القوات المسلحة وقد شكل مجلس عرفي لمحاكمتهم ، وقد أصدر المجلس العرفي العسكري الحكم بالاعدام رمياً بـالـرصـاص ونفـذ فيهم رميـاً بـالـرصـاص في السـاعـة الـواحـدة والنصف من بعد الظهر. »[٨١]

أما فيما يخص مصير جثة عبدالكريم قاسم والمهداوي والآخرين ، فقد صار الاتفاق أن يدفنوا في مكان قريب من جسر ديالى القديم على طريق بعقوبة شرقي

بغداد ، ونفذ الأمر ، لكن جاء مَن يخبر علي صالح السعدي بان الناس من المتضررين من سياسة المهداوي بخاصة ، نبشوا القبور وربطوا قاسم والمهداوي بالحديد وأنزلت جثتاهما في نهر ديالى . [٨٢]

هذا الخبر يناقض ما رواه زكريا جاسم السامرائي من انه سمع من محمود الحلو من أمن بغداد في حينه انه في اليوم التالي جاءت معلومات تفيد بان المؤيدين لقاسم من الشيوعيين وضعوا حجراً على قبر عبدالكريم قاسم كُتِبَ عليه (منقذ العراق عبدالكريم قاسم) وجاء بعدهم المتضررين من حكمه فنبشوه ووضعوا جثته في كيس وألقوا به ليلاً من جسر الجمهورية ببغداد . [٨٣]

وهذا الأمر يؤكد رأينا السابق من ان سياسة قاسم الدموية حددت شكل نهايته وطريقة موته التي ظلت غريبة وغامضة .

(١) هذا الأمر جعلنا حذرين في وصف الأحداث بالتقيد بما ورد على لسان المنفذين المبلغين بالثورة توخياً للدقة والأمانة.
(٢) حديث شخصي مع صلاح المختار.
(٣) اعتمدنا في هذا الفصل وبشكل أساسي على الوثيقة التي كتبها بخط يده الفريق الركن صالح مهدي عماش لكونها المصدر الوحيد والمتوفر ولكونها مطابقة للعديد من الروايات ، وقد حصلنا عليها مع الفريق الركن سعدي طعمة الجبوري خالية من اسم الكاتب باعتبارها واحدة من وثائق المكتب العسكري ولم نغير فيها رغم الملاحظات التي وردتنا عنها.
(٤) المصدر السابق.
(٥) و(٦) و(٧) و(٨) و(٩) و(١٠) و(١١) و(١٢) و(١٣) ـ المصدر السابق.
(١٤) المصدر السابق وينفي نزار رشدي في رسالة الى الباحث بتاريخ ١٢/١٢/١٩٨٩ أن يكون فاضل العساف موجوداً معه في أبي غريب والظاهر ان الاسم ورد سهواً في ما كتبه صالح مهدي عماش.
(١٥) المصدر السابق وقد اتصل بنا بعد تنفيذ الكتاب طباعياً السادة ذياب العلكاوي وعامر الناصري وعزيز شهاب أحمد من المنفذين للثورة لكننا لم نستطع اضافة أحاديثهم لكون الكتاب تحت الطبع فمعذرة لهم.
(١٦) و(١٧) و(١٨) و(١٩) ـ صالح مهدي عماش ، المصدر السابق.
(٢٠) ملحق جريدة الجمهورية ١٩٧٢/٢/٨ لقاء مع السيد أحمد حسن البكر.
(٢١) عدنان خيرالله لقاء شخصي يوم ١٩٨٥/١٠/٨ وعدنان خيرالله من مواليد بغداد ١٩٤٠ متزوج وله ستة أبناء.. انتمى الى حزب البعث العربي الاشتراكي عام ١٩٥٦. دخل الكلية العسكرية في ١٩٥٨/١١/٤ وتخرج فيها في ١٤ تموز ١٩٦١.. عمل في مناصب عسكرية متقدمة حين كان في صنف الدروع ثم عين وزيراً للدولة ثم وزيراً للدفاع في ١٩٧٧/١٠/١٥ ، ونائباً للقائد العام للقوات المسلحة في ١٩٧٩/٧/١٩. منح جناح الطيران عام ١٩٧٧ ، حصل

على بكالوريوس علوم عسكرية وبكالوريوس في القانون والسياسة وبكالوريوس لغة انكليزية وماجستير أركان كما حصل أثناء الخدمة على الأنواط والأوسمة التالية :

آ ـ نوط الخدمة العامة.
ب ـ نوط حرب فلسطين.
جـ ـ نوط ثورة ١٤ رمضان.
د ـ نوط ثورة ١٧ تموز.
هـ ـ نوط القوة الجوية من الدرجة الأولى.
و ـ نوط شجاعة عام ١٩٧٥ لانجازه لعملية الربيع الأبيض في شمال العراق.
ز ـ وسام الرافدين من الدرجة الأولى ومن النوع العسكري لقيادته المتميزة أثناء الحرب العراقية الايرانية.
ح ـ سبعة أنواط شجاعة لقيادته المتميزة أثناء الحرب العراقية ـ الايرانية.
ط ـ وسام الرافدين من الدرجة الأولى ومن النوع المدني.
ي ـ وسام قادسية صدام من الدرجة الأولى.
ك ـ ستة أنواط شجاعة لموقفه القيادي المسؤول أثناء الحرب العراقية ـ الايرانية.

ـ وتوفي يوم ٥/٥/١٩٨٩ أثناء عودته من زيارة تفقدية لشمال العراق في حادث تحطم طائرة عمودية.

(٢٢) أذيع البيان بصوت حازم جواد.
(٢٣) « ثورة ١٤ رمضان المباركة » بلا مؤلف ـ مطبوعات شركة الرافدين الفنية ص ٥.
(٢٤) انظر ـ صالح حسين الجبوري ـ مصدر سبق ذكره ، ص ١٦٤.
(٢٥) مقابلة شخصية مع عدنان دحام بتاريخ ١٢/١٠/١٩٨٥.
(٢٦) المصدر السابق.
(٢٧) مقابلة شخصية مع نعمة فارس حسين بتاريخ ١٥/١٠/١٩٨٥.
(٢٨) رسالة تلقاها الباحث من العميد المهندس المتقاعد نزار رشدي بتاريخ ١٢/١٢/١٩٨٨.
(٢٩) مقابلة شخصية مع عدنان دحام بتاريخ ١٢/١٠/١٩٨٥.
(٣٠) مقابلة شخصية مع محمد اسماعيل الويس بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٨٥.
(٣١) المصدر السابق.
(٣٢) مقابلة شخصية مع نعمة فارس المحياوي بتاريخ ١٥/١٠/١٩٨٥.
(٣٣) مقابلة شخصية مع نصيف جاسم الربيعي بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٨٥.
(٣٤) مقابلة شخصية مع عدنان خيرالله بتاريخ ٨/١٠/١٩٨٥ ويذكر انه « مرت بنا سيارة مدنية ، لم يكن وضعها طبيعياً ، فأوقفناها لتحقيق الهوية وأعطونا كلمة السر ، وظهر ان الذي بداخلها هو الملازم الأول فهد عبدالباقي السعدون الذي سقطت طائرته في المنصور وأرسلته الجماهير

الثائرة الى الحبانية ليستمر في القصف عندما علموا انه من الثوار وانه كان في مهمة قصف مقر قاسم ولكن تعذر عليه الطيران ثانية لاصابته ».

(٣٥) مقابلة شخصية مع عادل سليمان بتاريخ ١٢/١٢/١٩٨٥ .

(٣٦) زكريا جاسم السامرائي ـ مقابلة شخصية بتاريخ ٦/٤/١٩٨٩ .

(٣٧) المصدر السابق.

(٣٨) المصدر السابق.

(٣٩) مقابلة شخصية مع نعمة فارس حسين بتاريخ ١٥/١٠/١٩٨٥ .

(٤٠) المصدر السابق.

(٤١) رسالة تلقاها الباحث من العميد المهندس المتقاعد نزار رشدي بتاريخ ١٢/١٢/١٩٨٨ .

(٤٢) محمد اسماعيل الويس ـ مقابلة شخصية بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٨٥ .

(٤٣) مقابلة شخصية مع نعمة فارس حسين بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٨٥ .

(٤٤) المصدر السابق.

(٤٥) مقابلة شخصية مع عدنان دحام بتاريخ ١٢/١٠/١٩٨٥ .

(٤٦) مقابلة شخصية مع سعدي طعمة الجبوري بتاريخ ٢٠/١٠/١٩٨٥ .

(٤٧) صالح مهدي عماش ، مصدر سبق ذكره

(٤٨) مقابلة شخصية مع نعمة فارس حسين بتاريخ ١٥/١٠/١٩٨٥ .

(٤٩) المصدر السابق.

(٥٠) مقابلة شخصية مع المرحوم عدنان خيرالله بتاريخ ٨/١٠/١٩٨٥ .

(٥١) صالح مهدي عماش ، مصدر سبق ذكره.

(٥٢) مقابلة شخصية مع نصيف جاسم الربيعي بتاريخ ٢٨/١٠/١٩٨٥ .

(٥٣) رسالة تلقاها الباحث من علاء الدين مكي خماس وقد وجدنا صعوبة بالغة في مقابلة الذين شاركوا بعد اذاعة البيان ومحاصرة الدفاع فقد كان عددهم لا يحصى سواء من العسكريين أو المدنيين.

(٥٤) رسالة تلقاها الباحث من علاء الدين مكي خماس بتاريخ ٢٠/١١/١٩٨٨ وكان أمراً للسرية الثانية في كتيبة الدبابات الرابعة ومن أصدقاء الحزب.

(٥٥) مقابلة شخصية مع عدنان خيرالله بتاريخ ٨/١٠/١٩٨٥ .

(٥٦) المصدر السابق.

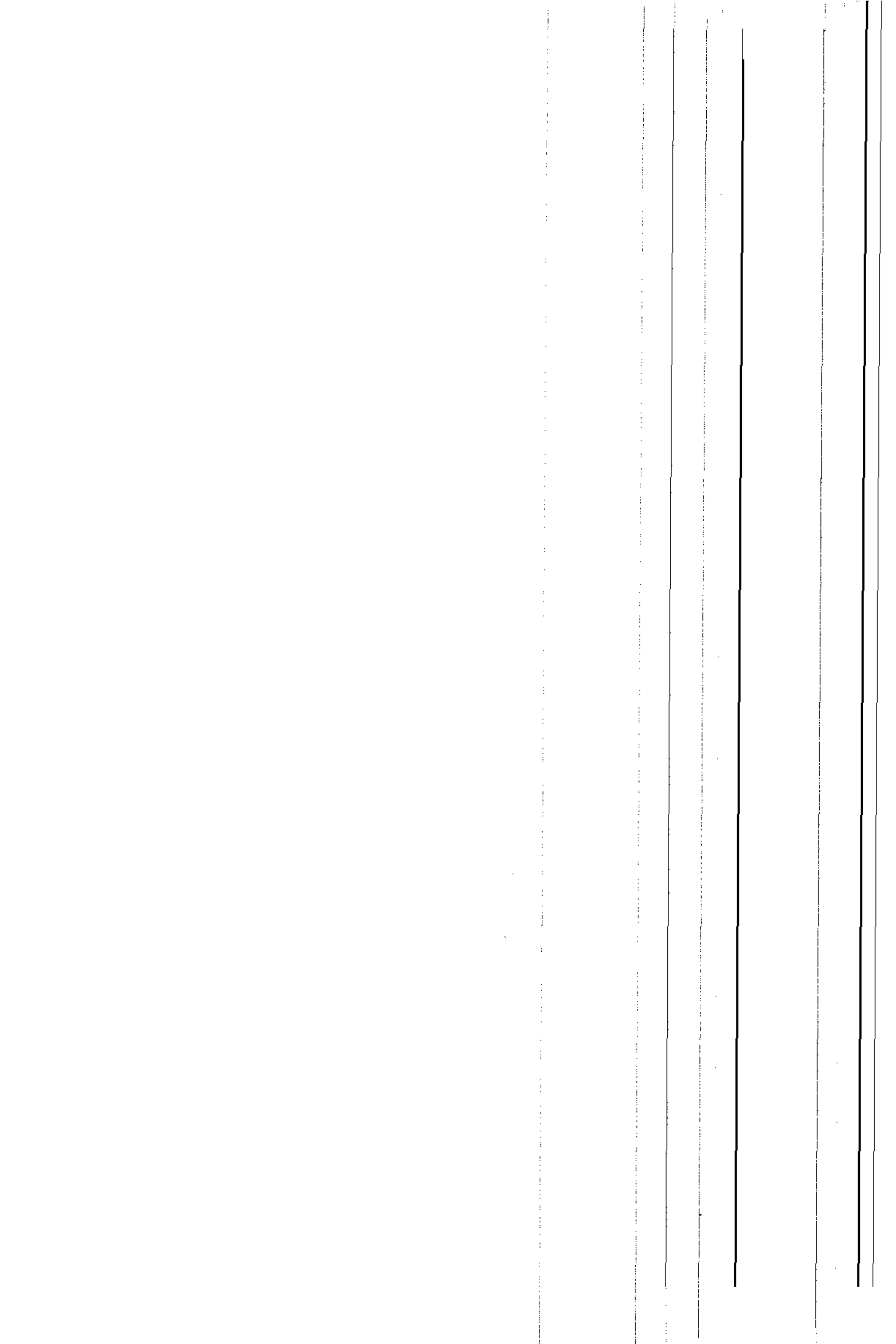
(٥٧) مقابلة شخصية مع نعمة فارس حسين بتاريخ ١٥/١٠/١٩٨٥ .

(٥٨) يذكر علاء الدين مكي خماس انه كان في دبابة أخرى يشارك عدنان خيرالله المهمة ـ رسالة شخصية للباحث بتاريخ ٢٠/١١/١٩٨٨ .

(٥٩) مقابلة شخصية مع عدنان خيرالله بتاريخ ٨/١٠/١٩٨٥.
(٦٠) نعتقد ان هناك أكثر من دبابة ساهمت في اطلاق سراح السجناء ولم نتحقق من ذلك.
(٦١) مقابلة شخصية مع نصيف جاسم الربيعي بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٨٥.
(٦٢) المصدر السابق.
(٦٣) الضابط الذي نفذ ذلك هو (الملازم) سعدي طعمة الجبوري أثناء مروره الى وزارة الدفاع ـ مقابلة شخصية مع سعدي طعمة الجبوري بتاريخ ٢٠/١٠/١٩٨٥ ولمزيد من التفاصيل راجع كتاب (دبابات رمضان) للباحث.
(٦٤) مقابلة شخصية مع نصيف جاسم الربيعي بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٨٥ وكذلك عدنان دحام بتاريخ ١٢/١٠/١٩٨٥.
(٦٥) مقابلة شخصية مع نعمة فارس حسين بتاريخ ١٥/١٠/١٩٨٥.
(٦٦) صالح مهدي عماش ـ مصدر سبق ذكره.
(٦٧) مقابلة شخصية مع نعمة فارس حسين بتاريخ ١٥/١٠/١٩٨٥.
(٦٨) المصدر السابق.
(٦٩) المصدر السابق.
(٧٠) المصدر السابق.
(٧١) المصدر السابق.
(٧٢) المصدر السابق.
(٧٣) المصدر السابق.
(٧٤) زكريا جاسم السامرائي مقابلة شخصية في ٦/٤/١٩٨٩.
(٧٥) المصدر السابق.
(٧٦) المصدر السابق.
(٧٧) المصدر السابق.
(٧٨) ويرى البعض انها الخشية من تكرار مأساة ثورة مايس ١٩٤١.
(٧٩) ويذكر نعمة فارس حسين ان مجموعة من ضباط الصف نفذت الحكم.
(٨٠) زكريا جاسم السامرائي ، مقابلة شخصية بتاريخ ٦/٤/١٩٨٩.
(٨١) صالح مهدي عماش ، مصدر سبق ذكره.
٨٢) مقابلة شخصية مع نصيف جاسم الربيعي بتاريخ ٢٥/١٠/١٩٨٥.
(٨٣) زكريا جاسم السامرائي ، مقابلة شخصية بتاريخ ٦/٤/١٩٨٩.

الفصل الثامن

انجازات الثورة



أصداء الثورة :

لقد أكدت ثورة ١٤ رمضان حقيقة هامة في الصراع الاجتماعي وهي ان الشعب هو البطل دوماً وانه صانع التاريخ والمصير ، وقد كانت ثورة ١٤ رمضان وستظل قمة الثورات العربية المعاصرة لأنها أول ثورة عقائدية رفعت رايات الوحدة والحرية والاشتراكية ولأنها خالفت كل الحركات والانقلابات العسكرية السابقة وذلك باعتمادها ليس على الجيش فحسب بل وعلى الجماهير الواسعة وفصائل الحرس القومي الذي كان يمثل الطلائع المناضلة البعثية عسكرياً.(١)

وتم اختيار عبدالسلام عارف رئيساً للجمهورية كوجه معروف رغم انه لم يشارك مطلقاً في الثورة كما سيأتي شرحه في الفصل القادم.

وتألفت التشكيلة الوزارية الأولى للثورة من العميد أحمد حسن البكر رئيساً للوزراء وعلي صالح السعدي نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للداخلية والعقيد صالح مهدي عماش وزيراً للدفاع وطالب حسين شبيب وزيراً للخارجية، والعقيد عبدالستار عبداللطيف وزيراً للمواصلات ، والدكتور عزت مصطفى وزيراً للصحة ومهدي الدولعي للعدل ، والعميد محمود شيت خطاب للبلديات وبابا علي للزراعة والدكتور عبدالعزيز الوتاري للنفط ، والدكتور أحمد عبدالستار الجواري للتربية والتعليم وصالح كبة للمالية وعلي الحسين للاسكان وشكري صالح زكي للتجارة والدكتور سعدون حمادي للاصلاح الزراعي وحميد الخلخال للشؤون الاجتماعية والدكتور مسارع الراوي للارشاد والدكتور عبدالكريم العلي للتخطيط والعميد ناجي طالب للصناعة والعميد فؤاد عارف وحازم جواد وزيري دولة. وفي ١٣ أيار شكل البكر وزارة جديدة أصبح فيها علي صالح السعدي وزيراً لشؤون رئاسة الجمهورية والارشاد وحازم جواد للداخلية ومحمود جواد العبوسي وزيراً للمالية خلفاً لصالح كبه وتخلى الراوي عن وزارة الارشاد وأصبح وزير الدولة لشؤون الوحدة.

وكان للثورة ردود فعل عربية ودولية واسعة ، وأوضح الأستاذ ميشيل عفلق في برقيته لقادة الثورة المعاني الثورية لقيامها وطريقة تنفيذها ، ومما قال فيها :

« باسم حزب البعث العربي الاشتراكي ، أشاطركم روعة اللحظات التاريخية الكبرى التي تحياها ثورتكم العربية . واشراقة المعاني السخية التي يفجرها قيام عراق عربي أصيل ، يستعيد دوره القومي الطليعي الذي عطلته رجعية نوري السعيد وشعوبية قاسم .

إن ثورتكم في العراق هي الثورة المعبرة أعمق تعبير ، عن طبيعة المرحلة التي تجتازها الأمة العربية . . انها ابنة ثورة الرابع عشر من تموز ، وتصحيح الانحراف الذي عطلها ، والثأر لانتكاسة الوحدة بين مصر وسوريا ، لقد قامت نتيجة عمل شعبي واع شامل ، أسهمت فيه جماهير الشعب العربي في العراق من مدنيين وعسكريين متحملة بجد ومسؤولية مهمة الانطلاق نحو الأهداف التي تمليها هذه المرحلة ، تلك الأهداف التي تلتقي فيها مصالح الجماهير المتجلية في الاشتراكية والديمقراطية الشعبية مع المعاني القومية الملازمة لها ، متمثلة في توحيد الأقطار ، هدف الجماهير في جميع الأقطار العربية ، من أجل تصحيح الانحراف القومي ، والقضاء على الردة الرجعية ، والنهوض من نكسة الانفصال ، وتحقيق سائر الأهداف القومية .

وستظل المشاركة الشعبية الواعية التي انطلقت منها ثورتكم ، وسيظل العمل في سبيل توسيعها وتعميقها على صعيد النضال والبناء معاً ، الأداة الثورية الفعالة التي تحفظ لحركتكم سلامة سيرها وحيوية اندفاعها .

وأصدق تعبير عن هذه المشاركة الشعبية انفتاح الثورة في العراق على سائر الحركات العربية في الوطن العربي ، والتفاعل بين القوى العربية المتحررة ضمن جبهة عربية تقدمية واحدة ، تحطم المحاولات التي يقوم بها الاستعمار والصهيونية وإسرائيل والرجعية العربية العميلة والحاقدون على العروبة من أجل صدع الركب

العربي الزاحف ، وتسير في طريق تحقيق يوم النصر الكبير.

لقد وعت ثورتكم السمة الأساسية للمرحلة التي تجتازها الأمة العربية وأدركت بأصالتها وثوريتها ان الذي يحدد هذه المرحلة ويمنحها معناها التاريخي ، هو تبني رسالة الوحدة العربية تبنياً فعالاً جاداً، والانطلاق من منطق الوحدة والعمل لها عملا أرادياً واعياً مخططاً. وأدركت ان السير في طريق النضال من أجل الوحدة هو الأصل ، وان معاكسة هذا الطريق أو مجرد تجنبه يطعن ثورية أية حركة.

إن ثورتكم تأتي بعد التجربة الثورية العميقة في الجزائر وبعد المد العربي الثوري في اليمن ، لتعبر عن تدافع الأعضاء للحاق بجسم الأمة الواحد بعد الهزة التي أصابت الكيان العربي نتيجة انفصال الوحدة.

فإلى ثورتكم الشعبية الاشتراكية العربية تحية إكبار ، وعهد تعاون ونضال مشترك من حزب البعث العربي الاشتراكي ومن الجماهير الشعبية التي يسير معها في طريق تحقيق أهدافها في الوحدة والحرية والاشتراكية. [٢]

كما تلقت الثورة برقيات اعتراف من الرئيس جمال عبدالناصر وأحمد بن بلا رئيس الوزارة الجزائرية والرئيس عبدالله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية.

وأعلنت دول عديدة عن اعترافها بالنظام الجديد في العراق وهي ليبيا ــ اسبانيا ــ المجر ــ الدنمارك ــ فيتنام الجنوبية وتايلند. [٣]

كما اعترفت بها أمريكا والاتحاد السوفيتي وألمانيا الغربية وبريطانيا ، وقال انطوني هيث نائب وزير الخارجية وهو يعلن الاعتراف في مجلس العموم : « ان كل البيانات التي تلقتها الحكومة البريطانية دلت على ان الحكومة العراقية الجديدة تتمتع بتأييد القوات المسلحة والشعب ، وانها تسيطر سيطرة فعالة على البلاد ». [٤] وفي يوم ١٧ شباط ١٩٦٣ أصبح عدد الدول التي اعترفت بالثورة ٤٤ دولة. [٥]

شهداء الثورة :

وكان لثورة رمضان ، شهداؤها الأبرار استشهدوا في الأيام الثلاثة الأولى أثناء تنفيذ الثورة أو في الدفاع عنها[1] منهم : ابراهيم جاسم التكريتي ، أحمد رشيد حسن ، اسماعيل البصام ، عبدالهادي جميل الدرة ، علي عبدالله عبدالوهاب ، صالح سيد نور مهدي ، مجيد ولي ، صبحي عبدالقادر البياتي ، مثنى حمدان العزاوي ، كامل حسين ، عبدالرحمن قاسم محمد ، سالم علوان ، شبوط جاسم خضير ، محمد علوان العبدالله ، مؤيد عباس الجماس ، عماد عباس الجماس ، خليل حسن علي ، علي حميد مبارك ، جمعة عليوي ، عبود صالح الكرخي ، سهام أمين المتولي ، سالم يونس الدباغ ، قحطان عبداللطيف السامرائي ، حبيب هندي خلف ، رشيد نصيف جاسم ، سعدون فليح حسن ، طارق صادق ابراهيم ، جازم عبدالله القطان ، نشأت شوكت القيسي ، محسن علي كاظم ، عبدالخالق عبداللطيف ، نوري حسن عبد ، قاسم محمد صخي ، وجدي ناجي ، نور شيخ حسين ، عزيز حسين موزان ، خالد ناصر محمد ، عامر رشيد القيسي ، فاخر شياع علي ، زاحم حبيب شلال.

الموقف المحلي منها :

ولم يخاصم الثورة علناً في أيامها الأولى سوى الحزب الشيوعي العراقي الذي كان قاسم قد وضعه ماسكة الجمر التي يزيح بها ما يعترضه ، فوزع الحزب المذكور صبيحة يوم ٨ شباط ١٩٦٣ بيانات تهاجم الثورة بمثابة رد فعل آني ضمن الصراع الدائر يومذاك[2] وكان لهذا الفعل رد فعل آخر من البعث بعد نجاح الثورة وهو ما أجج الصراع الذي كان يخفت تارة ويشتد تارة أخرى مما أضطر قادة حزب البعث العربي الاشتراكي آنذاك الى ايضاح موقف الحزب من الشيوعية كعقيدة ،

ومن الشيوعيين الذين قادوا ـ يومذاك ـ حملة لمقاومة الثورة ، وفي هذا الصدد ذكر الأستاذميشيل عفلق الأمين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي :

« ليس لنا موقف سلبي من الشيوعية كعقيدة ، وكحركة عالمية ، فنظرتنا الى الماركسية هي نظرة تقدير ، ونحن كاشتراكيين نقتبس أشياء كثيرة من الماركسية ، أما بخصوص التعايش مع الأحزاب الشيوعية في الأقطار العربية فالأمر يختلف.

فهذه الأحزاب برهنت في كثير من الأحيان على عدم تفهم تيار الحركة القومية العربية ، ووقفت في أكثر الأحيان بوجه هذه الحركة الشعبية . ». [8]

وتحدث السيد أحمد حسن البكر ، رئيس الوزراء ، آنذاك ، عن موقف الثورة من الذين حملوا السلاح ضدها فقال :

« المسألة لا تتعلق بالأفكار الشيوعية ، فهنالك مَنْ يحمل هذه الآراء ولم تتعرض له الثورة ، الاجراءات تناولت الذين حملوا السلاح ضد الثورة ووقفوا مع قاسم وزمرته الفاسدة الرجعية للدفاع عنه ، لقد أصدروا بيانهم المشهور في الساعات الأولى للثورة في ١٤ رمضان الخالد ، ونادوا بشهر السلاح ضد الثورة وقتل أبناء القوات المسلحة الوطنية وأبناء الشعب ، وقد سقط عدد من القتلى والجرحى من جراء ذلك. ومع كل هذا ، فقد كانت اجراءاتنا أقل مما يستحقون ، وبدلاً من ان يُقتل شاهرو السلاح ضد الثورة ، ألقي القبض عليهم وهم ينتظرون محاكماتهم القانونية . ». [9]

وأوضح البكر ، في حديث آخر ، جوانب من موقف الثورة ازاء الذين حملوا السلاح بوجهها فقال :

« لقد كنا أمام أحد أمرين ، إما ان نقف بقوة ضد الردة ، وأما أن نتراجع عن كل قيمنا ومبادئنا ونترك الثورة . . ». [10]

وازاء هذا الحوار الفكري الهادف والهاديء ، طرحت بعض كوادر الحزب

الشيوعي بعض التساؤلات ، منها :

« هل هناك مصالح خفية دفعت قيادة الحزب الشيوعي للوقوف ضد ثـورة ٨ شباط ١٩٦٣ منذ لحظاتها الأولى : وحزب البعث العربي الاشتراكي ـ قائدها ـ حزب سياسي قائم منذ سنوات طويلة وعلى امتداد الساحة العـربية ، ومعـروف بمواقفه الوطنية والقومية وحرصه على التعاون الوطني ، خصوصاً في ١٩٥٧ وأثناء ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وما بعدها.

وله أفكاره وفلسفته ومواقفه وممارساته ، له تمثيله الطبقي ، كما يقولون ، وله أهداف عامة واستراتيج وتكتيك ، فهل أجرى الحزب الشيوعي تقويماً لهذا الحزب ، وهـل توصـل الى حكم بشأنـه ؟! وما دام الحـزب الشيوعي لم يـدرس هـذا كله ولم يحلله ، ولم يعط رأياً بصدده ، فكيف اتخذ موقفه المناوىء للثورة التي قادها حزب البعث » (١١)

ومن خـلال ذلك ، تكـونت قناعـة لدى أوسـاط واسعـة منهم وقتـذاك ، بان الموقف الذي اتخذه حزبهم في الدفاع المستميت عن قاسم ، والعـداء الصارخ للثورة كان موقفاً خاطئاً ومداناً فكرياً وسياسياً وألحق أفدح الأضرار بمصالح الحزب نفسه ، وبمصالح الجماهير على نطاق واسع .

وكان رد الفعل المباشر لهذه القناعة ، ان أعلن الكثير من العناصر الشيوعية المدركة والواعية ولاءهم للثورة ، وبادر عدد كبير من قيادي وكوادر الحزب المذكور الى إرسـال برقيـات ورسائـل تأييـد للثورة ، كـما ترك كثيـرون صفـوف الحـزب الشيوعي . (١٢)

انجازات الثورة :

« عبّر المنهاج المرحلي الذي أعلن في ١٩٦٣/٣/١٥ عن خطة عمل الثورة ، وركز على ان ثورة رمضان ستحقق أهداف ثورة تموز» هذه الأهداف التي تخلى عنها قاسم تحت وطأة الرجعية والعناصر الانتهازية ، وقال بعضهم ان مبادىء البعث التي تعتزم ثورة رمضان تنفيذها لا يمكن تحقيقها فوراً ، وإنما خطوة خطوة. وذكروا بشكل خاص مبدأ الاشتراكية وهو أكثر المبادىء إثارة للجدل ، بيد ان اتخاذ اجراءات تعود بالفائدة على العمال والفلاحين ستكون موضوع درس عاجل ويجب التشديد أولاً وقبل كل شيء على تصنيع العراق وتنميته اقتصادياً وهي عملية لابد فيها من الاعتراف بدور الطبقة الوسطى ــ البرجوازية الوطنية.

وينص المنهاج المرحلي على ان أفضل ما تستطيع البورجوازية الوطنية أن تفعله هو الانضمام الى الشعب وفقاً لمبادىء الثورة الديمقراطية الشعبية وان تضحي بمصالحها من أجل مصالح الثورة. ان منطق التاريخ والمصلحة العامة للشعب تجعل هذا واجباً محتماً. وسيقاس إيمان البورجوازية بالوطن بالمدى الذي تذهب اليه في هذا الواجب المحتم وتأييدها للثورة ، وتخليها عن كل مطامحها في قيادة البلاد.

لم يلق الأسلوب المرحلي ، وإن يكن بالنسبة الى بعض أعضاء الحزب سليماً وواقعياً ، قبولاً لدى الأعضاء الآخرين في القيادة القطرية ، فقد طالب هؤلاء بوجوب اعتماد اجراءات اشتراكية فورية لأنها تعتبر من الأمور الجوهرية بالنسبة الى الحزب ، وبدأوا يطلقون شعارات تتعارض مع البرنامج المرحلي. وكان من جراء هذا التناقض بين الأعمال الرسمية والبيانات العامة أن نشأت حالة من البلبلة والتشويش تركت انطباعاً بأن حكومة البعث لم تقرر بعد ما تريد ، لكن الأسباب في الواقع كانت أعمق من ذلك. فالوزراء البعثيون وغيرهم من كبار المسؤولين في الدولة انهمكوا في الأعمال الرسمية. بحيث لم يتوفر الوقت الكافي لحضور

اجتماعات القيادة القطرية للبحث في شرح مشكلاتهم ، كما انهم اخفقوا في توضيح سياساتهم لرفقائهم في الحزب وكذلك توضيح أبعاد القضايا التي تواجههم.(١٣)

ومع ذلك فقد قدمت الثورة انجازات جيدة قياساً بالفترة التي عاشتها والفرصة التي أتيحت لها ، وكما يلي :

١ ــ على الصعيد الوطني :

آ ــ التأكيد على أهمية التحويل الاشتراكي للمجتمع على أساس ديمقراطي وبمشاركة الجماهير الشعبية.

ب ــ اعتبرت الثورة الزراعية خطوة لابد منها لنمو اقتصاد سريع واعتبرت الفلاحين هم الأداة الفاعلة في تحقيق الثورة الزراعية والمرتكز الأساس في نجاحها.

جـ ــ اتخذت الثورة في مجال الزراعة اجراءات عديدة لمواجهة الاقطاع وسيطرته لتعيد للفلاح ثقته بنفسه وبدوره في عملية البناء ، حيث عدلت قانون الاصلاح الزراعي لصالح الفلاحين ووضعت برامج المكننة الزراعية وعملت على تطوير الريف.

د ــ أكدت الثورة على أهمية حرية المنظمات الشعبية العمالية والمهنية والنسوية واستقلالها الذاتي والشعبي.

هـ ــ نظمت الثورة رغم قصرها خطة اقتصادية تكرست للمشاريع الانتاجية.(١٤)

٢ ــ على الصعيد القومي :

آ ــ ساهمت الثورة بدور كبير في انهاء حكم الانفصال في سوريا وهكذا نجد ان الثورة رغم عمرها القصير الذي لم يتجاوز التسعة أشهر فقد حققت انجازات كبيرة كشفت هوية الثورة الوطنية والقومية لذا ليس من الغريب أن يتآمر الامبرياليون والرجعيون وكل القوى المعادية ضد الانجازات الكبيرة التي حققتها على امتداد الساحة الوطنية والقومية.

وليس من شك ، ان الثورة ، رغم الظروف الشائكة والمعقدة التي رافقتها ، فقد كانت تجربة رائدة حملت خصوصيتها في انها حققت العديد من الانجازات الوطنية والقومية لصالح قضايا الأمة العربية ولاسيما قضية العرب المركزية « القضية الفلسطينية » .[١٥]

ب ـ العمل على تحقيق الوحدة مع القطر المصري بالاستفادة من تجربة الوحدة عام ١٩٥٨ واستطاع أن يحقق مشروع ميثاق ١٧ نيسان مع تطلعات الجماهير وكان المشروع بحد ذاته صيغة وحدوية ، حيث أخذ الحزب بنظر الاعتبار التفاوت الموجود بين الأقطار الثلاثة (مصر وسوريا والعراق) وأعطى الجماهير ومنظماتها دوراً أساسياً في بناء دولة الوحدة .

جـ ـ كما حققت ثورة ٨ شباط انجازاً كبيراً على طريق تحقيق الوحدة العربية بعد ميثاق ١٧ نيسان عندما أعلنت الوحدة بين القطرين العراقي والسوري وتحققت الوحدة العسكرية في ٤ تشرين الأول ١٩٦٣ كخطوة أولى لتوحيد القطرين .

وقد أوجز أحمد حسن البكر رئيس مجلس الوزراء انجازات الثورة في حديث أذيع من الاذاعة والتلفزيون يوم ١٤ تموز ١٩٦٣ جاء فيه :

أيها المواطنون :

لقد كانت الأشهر القليلة التي مضت على ثورتنا المباركة مليئة بالعمل الصامت البناء . ففي القطاع الزراعي الذي يؤلف أكثر من ٧٠ بالمائة من سكان العراق والذي لا يمكن أن يحقق العراق تقدماً حقيقياً إلا برفع مستواه . أعدنا النظر في قانون الاصلاح الزراعي الذي كان مشلولاً ابان حكم قاسم . وفي حقل التصنيع والتنمية والتخطيط أعادت الحكومة الثورية النظر في الخطة الاقتصادية السابقة وأعطت الأهمية للمشاريع الانتاجية الضرورية وأجلت المشاريع التي لا يحتاج اليها العراق في الوقت الحاضر . وان الحكومة مهتمة أشد الاهتمام بمعالجة الركود الاقتصادي

الذي مس بعض الأسواق في العـراق. وفي سبيل دعم الاقتصـاد الوطني وتنشيط الحـركة الاقتصـادية في البـلاد دخلت الحكومـة في مفاوضـات مع مختلف الـدول للحصـول على قـروض تبلغ قيمتها ١٠٠ مليـون دينار. وفي حقـل الاسكان أود أن أعلن نيابة عن حكومة الثورة بشرى سارة للمواطنين إذ قرر المجلس الوطني لقيادة الثورة في جلسته مساء أمس توزيع الأراضي السكنية لجميع أفراد الشعب مجاناً. ولغـرض الترفيـه الاقتصادي عن أبنـاء الشعب فقد سن قـانون يقضي بتخفيض الايجارات بنسبة ٢٥ في المائة لدور السكن و٣٠ بالمائة للدكاكين. أما بالنسبة لانتاج النفط فان الحكومة الثورية عازمـة على زيـادة عائـدات النفط بما يضمن مصلحـة العراق»(١٦)

ملامح الطريق الوحدوي :

وبدأت الثورة تحركها المنتظم سعياً وراء هدف الوحدة ، فاستقبل الرئيس جمال عبدالناصر في القاهرة يوم ٦ نيسان ١٩٦٣ الوفد العراقي الرسمي برئاسة اللواء أحمد حسن البكر رئيس مجلس الوزراء لمحادثات الوحدة في القاهرة واستقبل الوفد العراقي في مطار القاهرة استقبالاً رسمياً. وكان على رأس السمتقبلين السيد علي صبري عضو مجلس الرئاسة في الجمهورية العربية المتحدة ورئيس المجلس التنفيذي نيابة عن الرئيس جمال عبدالناصر ، كما كان باستقبال الوفد السيد عبدالرحمن البزاز السفير العراقي في القاهرة وعدد من أعضاء السلك الدبلوماسي العربي.

وكان الوفد العراقي قد غادر بغداد ظهر السبت ٦ نيسان ١٩٦٣ برئاسة اللواء أحمد حسن البكر رئيس مجلس الوزراء. وضم الوفد السيد علي صالح السعدي نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية والفريق الركن صالح مهدي عماش والسيد طالب شبيب وزير الخارجية والعقيد الركن عبدالستار عبداللطيف وزير المواصلات واللواء

الركن محمود شيت خطاب وزير البلديات.

وأدلى اللواء أحمد حسن البكر رئيس الوفد العراقي في مطار بغداد بتصريحات للصحفيين ومندوبي وكالات الأنباء فأجاب رداً على سؤال يتعلق بالمشروع الذي ستناقشه الأطراف في محادثات القاهرة قائلا : ان الموضوع الذي سيبحث يتعلق بالاتحاد العربي ووحدة العرب وجمع كلمة العرب. وسئل عن شعور الوفد وهو يغادر الى القاهرة فقال اللواء البكر ان شعور الوفد وهو يتوجه الى محادثات الوحدة في القاهرة شعور المرء وهو يتوجه الى الصلاة بقلب مؤمن صادق. وبعد ذلك وجه رئيس الوفد العراقي كلمة الى الشعب العربي كله قال فيها أملي كبير بأن تكون محادثات القاهرة موفقة وناجحة ومثمرة لكي تؤدي الأمانة التي حمّلنا إياها المجلس الوطني لقيادة الثورة. بما يعود على الشعب العربي كله بالخير.

كما أدلى طالب حسين شبيب وزير الخارجية وعضو الوفد العراقي لمحادثات الوحدة بالقاهرة بتصريحات للصحفيين في مطار بغداد قال فيها :

إن الهدف من هذه المحادثات هو اقامة الوحدة الاتحادية بين الأقطار العربية الثلاثة الجمهورية العربية المتحدة والعراق وسوريا.

وأضاف قائلا : نحن على ثقة كبيرة ومتفائلين بأن التقاء الثورات الثلاث الذي تم في الاجتماعات السابقة منذ اللحظة الأولى لانبثاق هذه الثورات لابد وان ينتج عنه قيام وحدة اتحادية ترسى على أُسس صخرية سليمة تديم هذه الوحدة وتحقق آمال العرب فيها.

واختتم وزير الخارجية تصريحه قائلا : ان هذا الاجتماع بطبيعة الحال أحد اللقاءات التاريخية التي تحدد معالم هذه الوحدة.

وأدلى وزير الخارجية بتصريح في مطار القاهرة قال فيه : اننا سنتوصل بإذن الله الى أحسن النتائج لأننا نمثل أماني الجماهير ونعمل لتحقيق أهدافها.

وفي القاهرة استقبل الرئيس جمال عبدالناصر الوفد العراقي في الساعة التاسعة

والنصف من مساء السبت ٦ نيسان ١٩٦٣ وحضر الوفدان العراقي والسوري مأدبة العشاء التي أقامها الرئيس جمال عبدالناصر على شرفهما في قصر عابدين. [١٧]

وصدر بعد ذلك بيان تكوين الدولة العربية الاتحادية (الجمهورية العربية المتحدة) ونُشر في الصحف العراقية يوم ١٨ نيسان ١٩٦٣. [١٨]

من جانب آخر توطدت العلاقات مع ثوار ٨ آذار في سوريا ، فلقد أمضى وفد ثورة ٨ آذار أربعة أيام في العراق ابتدأت في ٦ حزيران ١٩٦٣ حضر خلالها الفريق أركان حرب لؤي الأتاسي رئيس المجلس الوطني لقيادة الثورة في سوريا ورئيس الوفد السوري وعدد من أعضاء الوفد وهم العميد أمين الحافظ نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية والدكتور عبدالخالق النقشبندي وزير الدولة لشؤون المجلس وأجروا خلالها مباحثات مع المسؤولين العراقيين.

وكان في توديع الوفد في مطار بغداد المشير الركن عبدالسلام محمد عارف رئيس الجمهورية وأحمد حسن البكر رئيس الوزراء والوزراء. [١٩]

وأدلى الفريق الأتاسي بتصريح لوكالة الأنباء العراقية تحدث فيه عن نتائج زيارته للقطر العراقي فقال ان تبادل اللقاءات والزيارات هو الطريقة العملية السليمة لتقريبنا الى الأهداف التي نعمل جميعاً من أجلها. وان ما لمسناه في العراق البلد العربي حكومة وشعباً ما هو إلاتعبير واضح عن الروح العربية الأصيلة التي ينبض بها هذا القطر العربي المؤمن برسالته وأهدافه. [٢٠]

صعوبات الحكم :

ومع ذلك فقد تكاثرت صعوبات الحكم حيث أعلن مجلس قيادة الثورة في ٢٥ أيار عن مؤامرة ضد الثورة ، وفي ٣ تموز أعلن عن مؤامرة سيطرت فيها بعض العناصر المضادة للثورة على معسكر الرشيد واحتجزت أربعة من أعضاء القيادة ونشرت الصحف تفاصيل تحرك زمرة صغيرة بقيادة (محمد حبيب/

أبو سلام) كانت عبارة عن تمركز محدود ، تركز نشاطه في تجمعات بعض المراتب في الوحدات العسكرية ، ولم يكن لهذا التنظيم برنامج سياسي أو قواعد تنظيمية تنسجم والنظام الداخلي للحزب وإنما كان هدفه القيام بمغامرة صبيانية ضد الثورة.

حدد المغامرون يوم ١٤ حزيران ١٩٦٣ موعداً لاعلان التمرد ، وهيئوا البيانات الخاصة به ، ولكن الموعد أُجل الى يوم (١ تموز) ثم الى (٣ تموز).

وفي الساعة الثالثة والنصف من فجر ذلك اليوم ، تحرك (حسن سريع) ، الساعد الأيمن لمحمد حبيب وجماعته في معسكر الرشيد ، وهم يحملون الرتب العسكرية العالية ، وإشارات خاصة على أذرعهم ، للاستيلاء على جهاز اللاسلكي الموجود في مصلحة الكهرباء الوطنية ، وسيطروا على مكان وجودهم وهو مركز التدريب المهني ، وفتحوا مشاجبه في محاولة للتوجه الى سجن رقم (١) لاقتحامه بالقوة ، لكنهم فشلوا بذلك ، لوقوف ضباط معسكر الرشيد وجنوده في وجههم.[٢١]

المسألة الكردية :

ومع بداية الثورة بدأ التحرك المضاد للحركة الكردية المسلحة في شمال العراق ، بمعاونة بعض العناصر الهاربة والحاقدة على الثورة لتتفق في ٤ نيسان ١٩٦٣ على ما يلي :

١ ـ تعميق الخلافات بين الحركة المسلحة والسلطات الحكوميّة بقصد استئناف القتال.

٢ ـ القيام بالعمل الدعائي والتحريضي ، ضد جدوى المفاوضات مع حكومة الثورة.

٣ ـ الالتزام بخط (البرزاني) والاعلان عن ذلك في جميع الأوساط الكردية.

٤ ـ توسيع قواعد المنظمات وتنسيق اعمال اللجان الموجودة في النواحي

والأقضية والمدن ولجان المراكز.

٥ ـ التهيؤ لظروف القتال ، المتوقع حدوثه بين المتمردين وقوات الحكومة مع الاهتمام بتهيئة الأسلحة والمؤن والعتاد لمدة ثلاثة أشهر على الأقل.[٢٢]

واضطر المجلس الوطني لقيادة الثورة أن يصدر بياناً يوم ١٠ حزيران ١٩٦٣ أوضح فيه محاولات البارزاني والفئات الأخرى لعرقلة مسار الثورة ووضحت فيه بالأدلة ان محاولات الحكومة التوصل الى حل سلمي جابهها البارزاني بالاستفزاز والتعنت.[٢٣]

وقد استفزت اجراءات الوحدة كل أعدائها من الاقليميين والشعوبيين وأعداء العروبة ، فتصاعد عداؤهم للثورة بعد ان عاشت الجماهير العربية فرحة انبثاق ميثاق السابع عشر من نيسان ١٩٦٣ حيث توصلت الجهود الى إصدار بيان تكوين دولة الوحدة.

صعوبات أخرى :

كانت الصيغة الدموية التي انتهجها قاسم وخاصة ما جرى بعد حركة الشواف ، قد تركت آثاراً سلبية عكستها المسيرة الجديدة ، وكان من أبرز تلك الحالات هي الاعلان المبكر عن اعتقال قاتلي الشواف ومحاكمتهم علناً ، فقد ذكرت جريدة (الجماهير) ان المجلس العرفي العسكري الثالث في الموصل عقد جلسته السادسة لمحاكمة المتهمين بقضية الشهيد الشواف واستمع الى شهادة النائب الضابط سيد محمود/ الذي قال بان الجندي يونس جمال/ أطلق رصاصة بندقية على الشهيد الشواف من وراء الشباك ، وان المتهمين الحاضرين شاركوا بقتله وسحله ، وبعد ذلك استمع المجلس الى دفوع المتهمين فقال المتهم حمه أمين

بأن الشهيد الشواف عندما هاجمته المظاهرات تكلم ضد الذين ارتدوا عليه واعترف المتهم بأنه كان من المهاجمين. وقال المتهم عبدالله صوفي انه نزل الى المدينة مسلحاً لاعتقاده بان البدو سيهجمون عليها ، ثم استمع المجلس الى دفاع المتهم عبدالرحمن موسى الذي قال بان لا صحة لافادات الشهود ، ثم استمع المجلس الى المتهم ابراهيم عزيز الذي قال بأنه رأى الجنديين حمه أمين يوسف ويونس جمال الذي كان يحمل بندقية وان حمه أمين طلب من يونس أن يطلق الرصاص على الشهيد الشواف. . ثم رفعت الجلسة على أن تعقد في اليوم التالي لاستماع دفوع بقية المتهمين. [٢٤]

ثم كانت معضلة الحكم الكبرى ، ترتكز في جانب واحد يصح ان نطلق عليه (غياب العقل الراجح) للثورة ، ويمكن مناقشة هذا الموضوع في إطارين :

الأول : شخصية عبدالسلام عارف الذي كان وجهاً للثورة الجديدة.

الثاني : قادة الحزب آنذاك وتنظيماته ومسؤلياته تجاه نفسه وتجاه قيادة وتسيير الدولة (وسنناقش ذلك في الفصل القادم).

هوامش الفصل الثامن

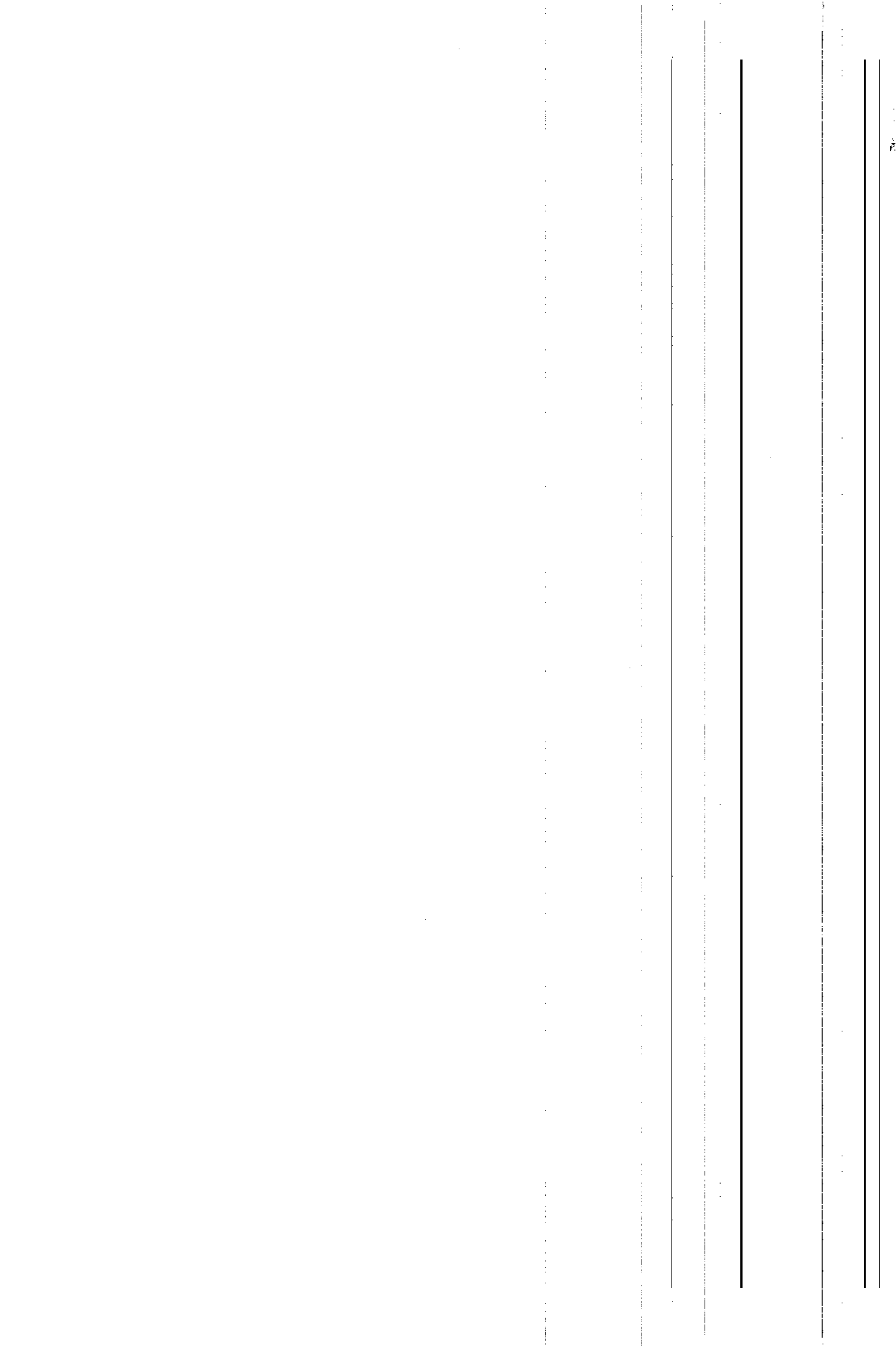
(١) صالح مهدي عماش ـ مصدر سبق ذكره.
(٢) ميشيل عفلق ـ النضال ضد تشويه حركة الثورة العربية ـ دار الطليعة ، ط ١ أيلول ١٩٧٥ ، ص ٣٢.
(٣) يونس بحري ، ثورة ١٤ رمضان المبارك ـ بيروت ط ١ ، ١٩٦٣ ، ص ١٠٠.
(٤) المصدر السابق ـ ص ١١٠.
(٥) صالح حسين الجبوري ، مصدر سبق ذكره ـ ص ٢٠٢.
(٦) أضابير وملفات وزارة الدفاع.
(٧) طالع نصوص تلك البيانات في كتاب السيد سمير عبدالكريم ـ أضواء على الحركة الشيوعية في العراق ، مصدر سبق ذكره ـ ص ٣٤ ، وما بعدها.
(٨) جريدة الجماهير في ١٩٦٣/٢/٢٠.
(٩) المصدر السابق.
(١٠) جريدة الجماهير في ١٩٦٣/٤/١٤.
(١١) سمير عبدالكريم ـ مصدر سبق ذكره ، جـ ٣.
(١٢) المصدر السابق ـ كذلك انظر (الكتاب الأسود) ١٩٦٣ وجريدة الجماهير في ١٩٦٣/٤/٣.
(١٣) مجيد خدوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٤.
(١٤) انظر جريدة الجماهير ، العدد ١٠٨ ، السنة الأولى ، ١٠ حزيران ١٩٦٣.
(١٥) نشرة خاصة من إصدار دائرة التوجيه السياسي في وزارة الدفاع بعنوان (ثورة ٨ شباط الأبعاد والمعطيات).
(١٦) جريدة الجماهير ، العدد ١٤٣ ، الاثنين ، ١٥ تموز ١٩٦٣ ، ص ٥.
(١٧) جريدة الجماهير العدد ٥٠ ، السنة الأولى ، الأحد/٧ نيسان/١٩٦٣.
(١٨) لمراجعة بيان تكوين الدولة العربية الاتحادية للجمهورية العربية المتحدة راجع جريدة الجماهير العدد ٦١ ، السنة الأولى ، الخميس ١٨ نيسان ١٩٦٣.
(١٩) جريدة الجماهير ، العدد ١٠٨ ، السنة الأولى ، الاثنين ١٠ حزيران ١٩٦٣.
(٢٠) المصدر السابق.
(٢١) سمير عبدالكريم ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٣. كذلك انظر جريدة الجماهير العدد ١٣٧ السنة الأولى ٩ تموز ١٩٦٣ ص ١٠. ويذكر الفريق الأول الركن عدنان خيرالله « في هذه المؤامرة سيطرت تلك العناصر على معسكر الرشيد واحتجزت أربعة من أعضاء القيادة وكلفت

بالواجب ، كنا أربعة على الدبابة وصلنا الى استدارة مستشفى الرشيد وجرت هناك تصفية بعض المقاومة وانضم الينا جنود كثيرون من المعسكر فتمكنا آنذاك من فتح مشاجب السلاح » كان المتآمرون قد وضعوا على أكتافهم رتباً مزورة لكننا نجحنا في عزلهم وتصفية جيوبهم والسيطرة على المعسكر وحسم الموقف. . ». جريدة الثورة العدد ٥٧٤١ السبت ٨ شباط ١٩٨٦ ، ص ٧ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص ١٢٠ .

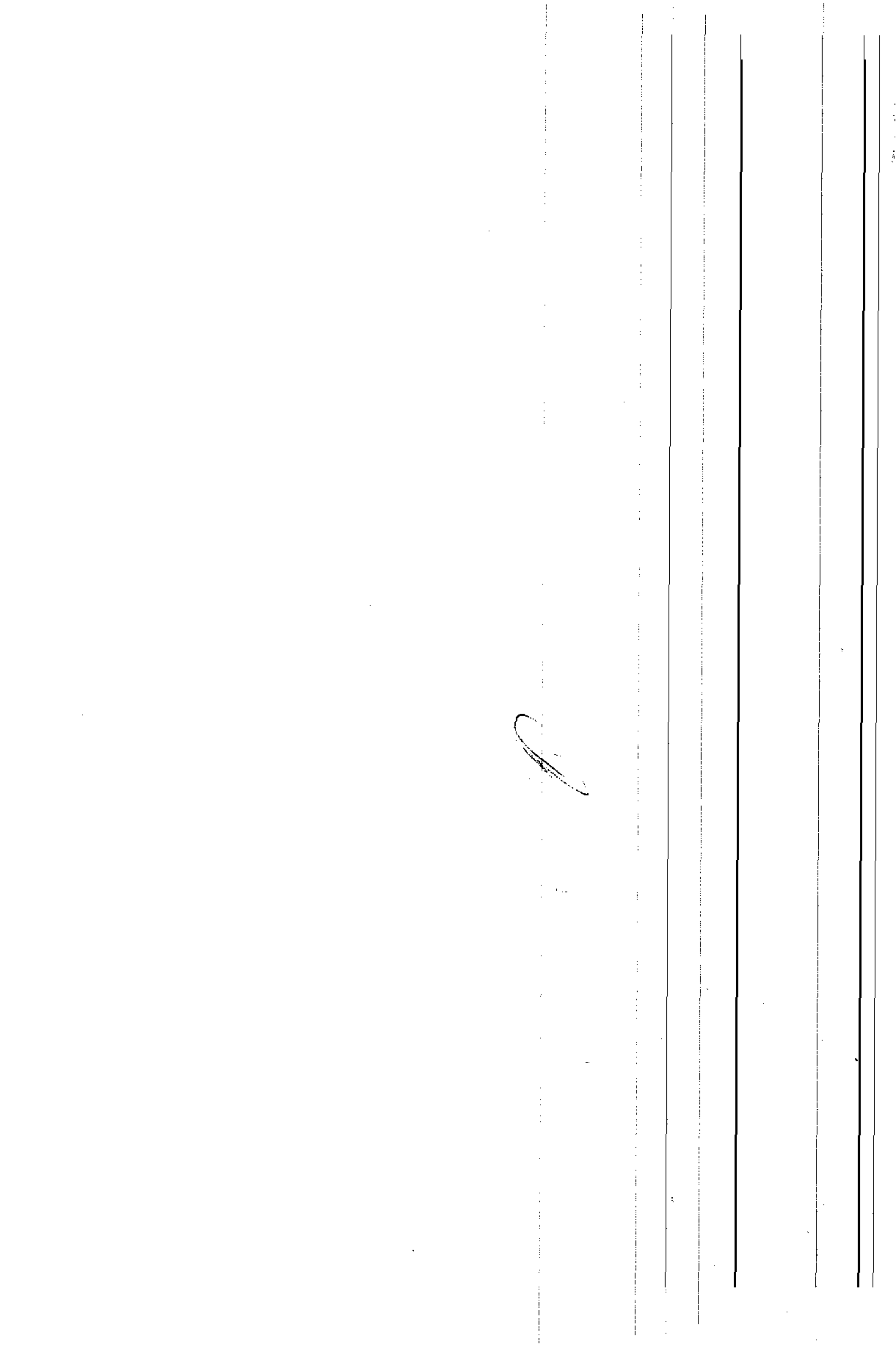
(٢٣) جريدة الجماهير ، العدد ١٠٩ ، السنة الأولى ١١ حزيران ١٩٦٣ .

(٢٤) جريدة الجماهير ، العدد ٤٥ ، السنة الأولى ، الاثنين ١ نيسان ١٩٦٣ . ولمزيد من التفاصيل راجع كتابنا (دبابات رمضان) ص ١٨٥ وما بعدها.



الفصل التاسع

انتكاسة الثورة



على الرغم مما ذكرناه من ان الرئيس عبدالسلام عارف كان مجرد رئيس اسمي في النظام الجديد كما أُريد له ، إلا انه وجد قبولاً عاماً في دعوته الى الوحدة العربية من أوساط عديدة ، وفضلت قيادة الحزب باديء ذي بدء ، أن تعمل دون أضواء لتضمن تأييد الشعب بكامل فئاته ولتوجه الحكومة نحو المسار المطلوب معتمدة في ذلك على (مجلس قيادة الثورة) الذي شكل من عشرين عضواً من بعثيين وغيرهم ليكونوا صلة وصل بين الحكومة وحزب البعث.[1]

كان معظم أعضاء المجلس من الشباب الذين تراوحت أعمارهم بين العشرين والثلاثين سنة ولا خبرة لهم بالشؤون العامة ، فضلا عن ذلك فقد كانوا يمثلون العناصر (الراديكالية) في الجيل الجديد كما كان أكثرهم ينتمي الى الطبقة الفقيرة ، ولقد مارس حزب البعث العربي خلال الشهرين الأولين سلطة واسعة في اتخاذ القرارات ، ولكن الأعضاء غير البعثيين ما لبثوا ان أثبتوا وجودهم وهيمنوا على مجلس قيادة الثورة.[2]

اختيار عبدالسلام عارف :

إن عبدالسلام عارف وإن كان (الوجه) المقبول آنذاك باعتباره وجه العملة الآخر الذي يمثل نقيض عبدالكريم قاسم ، إلا انه لم يكن (العقل) المناسب والملائم لدولة يقودها الحزب ، فالرجل لم يكن يعلم بالثورة ، ولم يجتمع بالثوار ، ولا شارك في أي نشاط مضاد ، بل انه منذ أن عزله قاسم وسجنه ثم أطلق سراحه قبع في داره فيما يشبه الاقامة الجبرية ولم يكن عبدالسلام عارف بعد ذلك بعثياً منظماً ، كانت له طريقته الخاصة في التقرب الى البعثيين وصداقتهم في مقابل تقرب قاسم الى الشيوعيين وصداقتهم ، أي ، علاقة جوهرها المصلحة وجمع المؤيدين بهذه الطريقة الوصولية غير المنظمة.

ويذكر صالح مهدي عماش ان اختيار عبدالسلام عارف كان مناورة من بعض قادة الحزب آنذاك ، لكي لا تبرز شخصية القادة العسكريين البعثيين على حساب القادة المدنيين فان عبدالسلام سيشعر بالمنة والفضل للقادة المدنيين الذين عينوه فينحاز دائماً اليهم ويكون عنصر كبح لآراء العسكريين.[٣]

وهذا يعني ان الاتفاق كان في الأصل بين علي صالح السعدي أمين سر الحزب وحازم جواد في ان يكون عبدالسلام عارف هو رئيس الجمهورية العراقية ، وتم تبليغ عدنان القصاب بقرار القيادة هذا قبل يوم من اعلان الثورة ، وكانت الخطة تقتضي أولاً حجز عارف في داره بعد تبليغه بأمر الثورة لكي لا يخرج أثناءها ويدعي انه هو الذي نفذها[*] وثانياً الذهاب به ساعة التنفيذ ليتصرف وفقاً للحجم الذي أُعطي له باستلام الرئاسة بالاختيار أو التعيين من قبل الحزب والثورة مع حقوقه كعضو في المجلس الوطني المساوية لحقوق الآخرين ، وبذلك تكون الجهة المشرعة هي مجلس قيادة الثورة ويكون الرئيس هو المنفذ لارادة المجلس ، وكان هناك شبه قبول عام به كونه لم يختبر قبل الثورة في موقف يثير الريبة والشك ، بل اكتسب سمعة لدى الوحدويين بإصراره على هدف الوحدة وتمجيد جمال عبدالناصر وخلافه الدائم مع عبدالكريم قاسم الذي سجنه وحكم عليه بالاعدام ثم تركه دون أي منصب.

وتبعاً للخطة ، وفي ضحى يوم ٨ شباط ، ذهب عدنان القصاب الى عبدالسلام واقتاده الى دار الاذاعة في الصالحية تنفيذاً لأمر قادة الحزب.

ثم شهدت تلك الفترة تناقضاً في مَن جاء به الى السلطة ، فهناك تناقض بين أقوال حازم جواد وعلي صالح السعدي حول المجيء بعارف ، إذ ان كل منهما يتهم الآخر بانه السبب في مجيئه. ولو كان هناك عمل جماعي لما كان اختيار عبدالسلام عارف سبباً لتراشق الاتهامات بين علي صالح السعدي وحازم جواد. بل لكانت القيادة القطرية قد فرضت رأيها في الاختيار ، ويذكر جميع الحزبيين ان علي صالح السعدي وعدداً من رفاقه كانوا يؤكدون ان عبدالسلام عارف صديق

حميم للحزب وانه مستعد للانتساب ، وهذا يعطينا فكرة عن المقاييس التي كانت تتبع في قبول العسكريين في الحزب في العراق. [٤]

ورغم ان عبدالسلام عارف لم يكن على علم بالثورة ، فانه ذكر ـ فيما بعد ـ انه شارك فيها ، جاء ذلك في لقاء صحفي جرى بينه وبين الصحفي المصري موسى صبري ومما قاله : « كان كل شيء معداً في إحكام ودقة ، الخطة كاملة بأبسط التفصيلات ، ولو كنت خرجت في الليل لأثرت الشكوك حول خروجي ، وهو يراقب كل حركاتي وسكناتي . . لقد اتفقنا على ان يتم كل شيء وأنا في بيتي . ثم يجيئني شخص في الثامنة صباحاً أنا أعرفه باسمه وأركب سيارتي الصغيرة بملابسي المدنية . . واتجه الى معسكر أبي غريب .

وفي أيام رمضان لا يستيقظ حراس قاسم على منزلي في هذا اليوم ، وخروجي يوم الجمعة لا غبار عليه لأنني اعتدت ان أخرج وأؤدي الصلاة خارج البيت . ومن معسكر أبي غريب ركبت دبابة مع الأخ الزعيم أحمد حسن البكر واتجهنا الى الاذاعة وماان دخلنا الاذاعة حتى التف حولي موظفو الاذاعة يعانقونني ويقولون : أهلاً عمنا . . لقد اعتادوا على هذا المنظر . . رأوه في ١٤ تموز ١٩٥٨ . . ورأوه في ١٤ رمضان ١٣٨٢هـ فقلت لهم مداعباً : ومَن تتوقعون غيرنا أن يجي الى الاذاعة » . [٥]

كان للعناصر البعثية الشابة ، تجمع آخر ، تحت قوة (الحرس القومي) التي استخدمها عبدالسلام عارف وبعض الوزراء بجعلها أداة لمطاردة العناصر غير المتعاطفة معهم ، وجسدت مفاهيمه التي عبر عنها بقوله : « بأن أكثر أعداء الأمة العربية هم الشيوعيون العراقيون فيجب أن يصفوا نهائياً ، واننا نؤمن بالله في حين ان الشيوعيين يبشرون بالالحاد . » . [٦]

ونشرت جريدة الجماهير في عددها الصادر يوم ٢٠ نيسان ١٩٦٣ صورة لعارف في ملابس الحرس القومي يشارك في تفتيش المارة مما شجع بعض عناصره

ذات الإدراك المحدود الى ارتكاب بعض التجاوزات في عملها مما أساء اليها كما حدث في الماضي مع (الميليشيا) في عهد قاسم .

ولم تستطع القيادات البعثية التي أوكلت اليها مهمة قيادة الحرس القومي أن تؤدي واجبها على نحو سليم ، فأدرك الجميع ان العناصر غير الموالية للثورة قد استفادت من أخطاء الحرس القومي وبالتالي انسحب ذلك لالحاق الأذى بحزب البعث العربي الاشتراكي ، ونستطيع إدراك ضعف وارتجالية القيادات العاملة آنذاك حين نقرأ في جريدة الجماهير اعلاناً ينبه الحرس القومي الى ضرورة الانتباه الى واجباته وعدم اتاحة الفرصة للأعداء لاستغلال أخطاءه ، وعلى النحو التالي :

« أيها الحارس ، السلوك الفردي لا ينسجم وطبيعة جهازنا الثوري ، أيها الحارس ، احذر السلاح ، الفوهة الى أسفل دائماً ، أعداؤك وأصدقاؤك يترصدون حركاتك وكلماتك . » .[٧]

لقد كان البعض يدرك سوء الحالة التي بلغت حد الاساءة ، ولكن القيادة ـ آنذاك ـ والمسؤولين عن الحرس القومي ـ كما أشرنا ـ لم يبادروا الى ضبط الحالة وتصفية العناصر الانتهازية والسيطرة على الأمور ، مما أضطر رئيس مجلس الوزراء السيد أحمد حسن البكر لالقاء كلمة من الاذاعة والتلفزيون أوضح فيها :

« إن قطاعات من الحرس القومي تشترك الآن جنباً الى جنب مع الجيش الباسل في تحطيم أوكار الانفصالية في شمال الوطن الغالي كما انه سيشترك مع الجيش والشعب في معركة البناء قريباً . . وإذا ما حدث من بعض أفراد الحرس القومي بعض الأخطاء ، فانه يتحتم عليهم أن يعالجوها حتى يكونوا في مستوى ثقة الشعب بهم وحبه لهم . . وحتى يقطعوا الطريق أمام أصحاب الاشاعات المسمومة الذين ينتهزون هذه الأخطاء للتفرقة بين أبناء الشعب وإضعاف الثورة . » .[٨]

يضاف الى ذلك ان واجبات الحرس القومي لم تكن محددة واضحة إذ بالرغم من انه كان بديهياً في أذهان الحزبيين ان واجب هذه المنظمة حماية الثورة في بدء قيامها

إلا انها أخذت بالتدريج تتوسع في مهماتها دون أن يوضع لذلك حد ، والذي يبدو ان قيادة الحرس بتشجيع من بعض القادة الحزبيين السابقين ، كانت تميل نفسياً لذلك فقد أصبح الحرس يكافح التهريب ويطارد اللصوص ويتدخل في التحقيق الاعتيادي في مراكز الشرطة مع المجرمين العـاديين ويقيم الاحتفـالات ويتدخـل في شؤون الادارة والمنازعات في الأحياء وبما ان الحرس منظمة غير مسؤولـة بشكل رسمي عن أعمالها ولا يمكن محاسبتها كما يحاسب الموظفون الاعتياديين وبما انها تفتقر للخبرة والمعرفة في كل هذه الأمور أدى هـذا التوسـع في المهمات الى الاصـطدام بأجهزة الدولة الأخرى.[9]

ولا شك ان أعداء الثـورة وأعداء الحـزب بالغـا كثيراً في وصف وتصنيف الأخطاء التي ارتكبها الحرس القومي واختلقـوا كثيراً من الجـرائم التي لم ترتكب. لكن الجمـاهير أخـذت تصـدق هـذه الادعـاءات وهـذه الاختـلاقـات ممـا يـدل على ان الجماهير فقدت ثقتها بالحرس القومي الأمر الذي جعل عبدالسلام عارف يستغل ذلك في بيان (الردة) ويشن حملة شعواء على الحرس القومي محرضاً على قتل أفراده ومتهماً إياهم بانهم (الحرس اللا قومي).

هذا على مستوى الحرس القومي ، أما على صعيد القيادة الحزبية فقد كان الانقسام على أشده في ظرف كان يتطلب التآلف والتآزر ، ولكن أحداً لم يكن يلتفت الى المخاطر العديدة التي كانت تحدق بالثورة الفتيـة ، فقد انشغلت القيـادة بردود الفعل الآنية والثأرية التي خلفتهـا الفترة القـاسمية ، ولم تجـد نفعاً تلك المحـاولة التي قامت بها القيادة القومية في حينه والتي كانت تدرك تماماً ما ستؤول اليه الأمور عبـر استقـراء دقيق لتـطورات الأوضـاع ، ومـع ذلـك فقـد قـام وفـدهـا المؤلف من الأساتذة ميشيل عفلق وشبلي العيسمي وجمال الأتاسي وعبدالكريم زهور وخالد الحكيم وعبدالمجيد الرافعي ومحمد خير الدوري وخالد العلي وجبران مجدلاني وعلي الخليل وخالد يشرطي[10] فور وصولهم العراق يوم ١٧ شباط للتهنئة بنجاح الثورة ،

الى التذكير بتوجيه القيادة القومية وتحذيرها من الانجراف وراء الانفعال وردود الفعل في التعامل مع خصوم الحزب وفي مقدمتهم الشيوعيون.[11]

غير ان تلك النصيحة لم تسمع إلا بعد أن أخذت ردود الفعل حيزاً مؤذياً في الأيام الأولى للثورة ، ومن ذلك ــ مثلاً ــ ما أعلنته السلطة على صفحات الجرائد من انها ألقت القبض على قاتلي الشواف ، ورغم ان الجلسات كانت علنية ، إلا ان إصدار الحكم بإعدام ١٢ شخصاً والمؤبد لثلاثة أشخاص آخرين آثار الضجة حول الأمر من بعض القوى العربية والدولية في الخارج ضد الثورة يومذاك ، هذا اضافة الى ما كانت تنشره الصحافة يومياً من اعترافات الشيوعيين التي كانت سلاحاً ذا حدين : أحدهما يوضح حقد الشيوعية المحلية يومذاك ضد الثورة وثانيهما اثارة الضجة ضد الثورة نفسها دون مبرر من قوى عديدة في الخارج.

ويبدو ان تنظيمات حزب البعث العربي الاشتراكي الذي يقود السلطة كانت مخترقة من قبل عبدالسلام عارف وجماعته فقد ذكر حول البعثيين : « انهم تبنوا في أحد محاضر جلسات هذه الاجتماعات انهم يرغبون في التخلص من رئيس الجمهورية لمعارضته لسياستهم ولم تمر سوى ستة أشهر فقط على ثورة ١٤ رمضان حتى كان الحزبيون فيها قد انقسموا على أنفسهم وبدأوا يطحنون بعضهم البعض . . ».[12]

وذلك ما جرى بالفعل ، فقد جرى الاختلاف على أشده على موضوعات عديدة ، تناقضت مع طروحات البداية التي أعلن بموجبها على الشعب مساء يوم ١٩٦٣/٣/١٥ المنهاج المرحلي الذي أعد بمثابة دليل عمل للسنوات القادمة ، وتضمنت مقدمته شرحاً لدوافع قيام الثورة[13] التي تميزت في انها لم تكن انقلاباً عسكرياً تقليدياً ، بل اشترك فيها المدنيون جنباً الى جنب مع العسكريين ، وفي انها ارتبطت بمبادىء البعث وكانت ثمرة نضاله ، وهذا ما جعلها بمنأى عن حالات التذبذب والانحراف التي تقع فيها الانقلابات العسكرية في أغلب الأحيان ، عندما

يقودها المغامرون الذين يسهُل عليهم تبديل سياستهم ومواقفهم ، وفق مستلزمات الظروف ومقتضيات المصلحة الشخصية في البقاء بالحكم ، والى الحد الذي قد يتحمسون فيه لسياسة الحياد مثلاً ، ثم يرشحون في أحضان دولة كبرى أو يتبنون شعار القومية العربية والوحدة ثم يتصرفون على النقيض منها وهكذا . (١٤)

لكنها على الرغم من ذلك ، حملت أخطاءاً أخرى ، عجلت في انهيارها وقربت اليها خناجر الردة لتنحرها بعد تسعة أشهر فقط من ولادتها ، فقد اشتد الانقسام بين قادة الحزب ووصل الى حد الاتهامات المتبادلة وارتفعت نغمة (اليسار) و (اليمين) و (الجناح المعتدل) . (١٥)

الانشقاق في منظمة الحزب :

وهكذا شهدت ثورة الرابع عشر من رمضان اضمحلال قيادة الحزب القطرية ، وحلول العمل الفردي محل العمل الجماعي ، وبروز التناقض بين بعض الأقطاب في القيادة القطرية ، ذلك التناقض الذي تحول تدريجياً الى خصومة فعداء ، ففتح بذلك المجال الى المضاعفات التي لمسها الحزب والتي كانت نتيجتها الأخيرة مؤامرة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ . . . هذا التناقض الذي فرّق الحزب والذي كان سببه الفردية المريضة عند الأعضاء الأساسيين في القيادة القطرية العراقية ، هو أحد الأسباب الرئيسية للنكسة التي عرفها العراق . وقد يحاول البعض أن يفسر هذا التناقض عن طريق المنطلقات النظرية ، فيفلسفه بأنه تناقض بين (اليمين) و (اليسار) أو يفسره بأنه تناقض بين الثورية والاصلاحية إلا ان هذه التبريرات التي جاءت بعد النكسة أو قبيل وقوعها ليست هي السبب . . فالسبب هو التناحر على التزعم في الحزب بين فئتين أي هو تناحر على استلام القيادة في دولة يحكمها الحزب وما التبريرات النظرية إلا محاولة لاحقة لتفسير هذه العيوب التي تدين الذين كانوا سببها .

بينما يرى الباحث الدكتور مجيد خدوري ان سبب الافتراق كان تعبيراً عن البرنامج والمبادىء التي ينادي بها كل فريق من هؤلاء ، فكانت فئة (اليسار) تصر على تنفيذ المبادىء الأساسية وعلى الأخص الاشتراكية بحجة ان الاشتراكية ستضمن تأييد الجماهير والجيل الصاعد وحذرت هذه الفئة الجناح (اليميني) من الاعتماد على ضباط الجيش القوميين وعلى الأخص أولئك الأعضاء في مجلس قيادة الثورة الذين لم يحققوا انتماؤهم الى حزب البعث العربي ، بل وكانوا يعملون ضد الحزب وساهموا في خروجه من الحكم.[16]

ومن دراسة واقع الحكم بتفاصيله ، ودراسة المناقشات التي دارت بين مختلف القادة الحزبيين لا نجد مشكلة واحدة يمكن أن تشكل مقياساً لتحديد مَن هم (اليساريون) ومَن هم (اليمينيون) في العراق.

فكل الخلافات في الواقع التي أُثيرت بين علي صالح السعدي وبين حازم جواد وطالب شبيب كانت من النوع المتعلق بالتصرفات الشخصية ولم يكن لها أي طابع يحمل معنىً اجتماعياً أو اقتصادياً معيناً ، فلم يختلفا مثلاً على تأميم المصارف أو ضرورة التأميم أو عدمها ، بل كانت كل خلافاتها تتناول تصريحاً صدر عن فلان أو تدبيراً إدارياً صدر عن الأخر ، ولعل الغريب ان تقريراً واحداً لم يصدر عمن أسموا أنفسهم (يساريون) مثلاً يحدد الخطوات التي يجب على الثورة أن تتخذها لتأمين استمرارها ونموها.[17]

كما ان الخلافات لا تمت بصلة للنظرية أو المنطلقات التي أقرها الحزب ، والدليل على ذلك هو بقاء مَن أُتهموا (باليمينية) داخل صفوف القيادة وداخل صفوف الحكم. ومثال ذلك ما حدث في حزيران ١٩٦٣ حين أصر حازم جواد وطالب شبيب على الاستقالة من الوزارة بحجة التناقض في التصرفات بينهما وبين بقية الوزراء الحزبيين ، ولكن استقالتهم رُفضت من أعضاء القيادة الباقين بل وأعتبروا ان الخلاف سيحل بزيادة اللقاءات بين الطرفين ، وعندما انعقد المؤتمر

القطري العراقي الذي سبق انعقاد المؤتمر القومي السادس ، حصل علي صالح السعدي وحازم جواد على نفس الأصوات في المؤتمر القطري إذ حصل كل منهما على ٢٧ صوتاً من أصل ٤٥ ، فلو كان الخلاف حقيقة على المبادىء وعلى الخط الذي يجب أن يتبعه الحزب لما حصل كل من الفريقين على هذا العدد المماثل في الأصوات.

واشتد الصراع بين قادة البعث رغم المحاولة التي حرص عليها دعاة الوحدة العربية في أيار ١٩٦٣ والمحاولة التي دبرها جماعة من الحزب الشيوعي العراقي في تموز ١٩٦٣ كما سبق وان بينا ذلك.

من هنا ، نستطيع أن نقدر حجم العداء الذي واجهته الثورة ، فرغم مكانتها الكبيرة في نفوس الشعب العراقي والأمة العربية ، حاصرتها رياح مضادة من الداخل والخارج ، وغطت الرمال التي هبت عليها بشدة وعنف حقيقتها الجوهرية.

إن قيادتها المتنافرة ، لم تستطع ان « تمارس مهامها كقيادة بالمعنى الطبيعي لقيادة حزب ثوري وترك جهاز الحزب بدون توجيه مركزي دقيق وشامل وبذلك لم يؤد الحزب كمؤسسة ثورية طليعية مهامه في قيادة الثورة على الوجه المطلوب ، بصرف النظر عن الظروف المحيطة به والمشكلات والأخطار التي تواجهه فأفلت الزمام من يده الأمر الذي جعل الردة ممكنة وسهلة . . » .[١٨]

لقد كانت بداية المأساة حين انعقد المؤتمر القطري العراقي بتاريخ ١١ تشرين الثاني ١٩٦٣ (والذي سمي بمؤتمر الرشاشات) لاجراء انتخابات تكميلية حيث دخلت مجموعة من الضباط العسكريين بالاتفاق وبإيعاز من حازم جواد ــ عضو القيادة القطرية وزير الداخلية وطالب شبيب عضو القيادة القطرية وزير الخارجية ، وفرضت نفسها بقوة السلاح طالبة الاعتراف بعضويتها في المؤتمر محتجة بعدم تمثيلها تمثيلاً سلبياً في المؤتمر ومعترضة على مَن يمثلها وطاعنة في انتخابات القطاع المدني وصوت المؤتمر لقائمة فرضها الضباط سميت بالقيادة القطرية. ولا شك ان هذا

التصرف مهما كانت مبرراته ودوافعه يشكل بادرة خطرة في حياة الحزب تهدد وجوده وقيمه الديمقراطية.[19]

وقد كانت ردة الفعل عنيفة في يوم ١٣ تشرين الثاني حيث تأزم الوضع فتوجهت القيادة القومية الى العراق بدعوة من القيادة القطرية وحضر لتمثيلها السيدان ميشيل عفلق وأمين الحافظ وعقدت عدة اجتماعات على ضوء دراسة الوضع في العراق.[20] وأصدرت القيادة القومية بياناً متضمناً دراسة سريعة للأزمة وحلولاً عملية وقد جاء في البيان ما يلي:

« يا أبناء شعبنا العظيم.. لقد وقع الحزب منذ أن قامت الثورة وحتى الآن بأخطاء نتجت عن صعوبة الظروف التي جعلت المرحلة الماضية وعن نقص في التجربة لدى القيادات الحزبية وعن تصرفات فردية صدرت عن عدد من القياديين وان حزبنا هو أجدر مَن يصارح نفسه ويصارح الجماهير بأخطائه التي انتقدها في مؤتمراته القطرية ومؤتمره القومي السادس لأنه بهذه المصارحة، وبهذا النقد الذاتي يستطيع أن يصل الى تجاوز الأخطاء وتثبيت القيم السليمة في معركة البناء ثبتها على الدوام خلال تاريخه النضالي الطويل. ان ما وقع في المؤتمر القطري العراقي المنعقد بتاريخ ١١/١١/١٩٦٣ من استغلال لطيبة رفاقنا الضباط الذين لم يُفسح لهم المجال في السابق لابداء آرائهم بأسلوب صحيح ومن ممارسة لطرق غير حزبية في المؤتمر تجعل القيادة القطرية التي أُنتخبت لا تعبر عن ارادة الحزب.[21]

جهود الحزب لمعالجة الأزمة :

وتحدث الأستاذ ميشيل عفلق بمرارة عن تلك الفترة، فأوضح ان هناك « أزمة قوية في العراق، ظهرت بوادرها من الأشهر الأولى.. ثم اطلعت من القيادة القومية السابقة للمؤتمر القومي على وجود أزمة بشكل واضح منذ أوائل شهر حزيران.. أذكر ان رئيس مجلس الوزراء العراقي الرفيق أحمد حسن البكر طلب

أن يجتمع بي في ذلك الوقت ، ولأول مرة أسمع منه حديثاً طويلاً يعدد فيه الأخطاء في الحكم ، وكيف انه يسير نحو العزلة ، وكيف ان المشاكل تزداد في داخله ، وفي داخل مجلس الثورة. كانت له آراء وملاحظات صائبة في طريقة التعامل مع الناس ، في طريقة الادارة والتوظيف ، في التغاضي عن أخطاء الحزبيين في الوظائف والحرس القومي ، في الاهمال والارتجال ، وفقدان الخطة في التناحر الشخصي . . كل هذه الأشياء كانت واضحة وبارزة منذ أوائل حزيران لدرجة ان هذا الرفيق الذي يجمع الكل على احترامه ، وان الرفيق البكر رجل مشهود له بالاخلاص ، وبالأخلاق القويمة وبالتجربة والحكمة ، وكان قد انتسب الى الحزب في عهد قاسم ، ونسمع أخباره بأنه الرجل الأول بين الحزبيين العسكريين وبأنه مهيأ للقيادة نظراً لما يتمتع به من اخلاص ، هذا الرجل قال لي منذ حزيران « انني كنت ألمح علائم الحب في عيون الناس ، أما الآن فانني ألجأ الى الطرق البعيدة عن البشر عندما أقصد مكتبي لكي أتحاش أنظار الناس لأني لم أعد أرى إلا الكره في عيونهم .

وكانت تطرح هذه المشاكل في القيادة القومية وأزيدكم علماً بان القيادة القطرية العراقية التي حكمت العراق بعد ١٤ رمضان الى وقت النكسة لم تجتمع أكثر من ٣ ــ ٤ اجتماعات في ١٠ أشهر. وبشكل أوضح لم تكن تجتمع إلا عندما كانت القيادة القومية تذهب الى بغداد وتجمعها بالضغط ، وبعد سفرها تنتهي القيادة القطرية كقيادة ، ولا يعود هناك إلا أفراد بعضهم متجانس ويعمل بتفاهم ، والآخر مشتت. ودرسنا مع القيادة القطرية في ذلك الوقت كيفية اصلاح الحال ، فوجدنا ان السبب الرئيسي هو عدم وجود خطة ، للحزب وللحكم . . . ». [٢٢]

وعن تلك الفترة يذكر صدام حسين :

« لقد كنت أحد الرفاق الذين تعرفوا على جوانب أساسية ومهمة بل وتفصيلية في تجربة ثورة رمضان ١٩٦٣ وكانت دروس تلك الفترة دروس غنية لنا . . بعد أن تمكنت قوى الردة من اجهاضها في ١٨ تشرين من عام ١٩٦٣ ومن أبرز

الدروس التي تعلمها الرفاق في القيادة وفي الحزب. . . ان غياب العلاقات الرفاقية الأصيلة. . واهمال القيم المستوحاة من تراث الأجداد انعظام في التعامل مع قضايا السلطة ومشكلاتها ، من شأنه أن يؤدي بأي تجربة الى السقوط. ». [٢٣]

كان صدام حسين قد عاد الى العراق ، وشرع فور وصوله برصد مسار الحزب ، وكان يشعر ان مقتل الثورة الفتية يكمن في فقدانها للربان الحكيم الذي يستطيع قيادتها الى شاطيء الأمن ، دون شطط وبلا مغامرات.

ولم يسكت على التجاوزات الكثيرة التي كانت توحي بالانقسام والخلل ، لقد أدرك منذ أن وصل الى العراق ان هناك جواً إرهابياً مشحوناً بالتكتل ، وهناك استزلام ، وعقبات توضع أمام الرفاق الذين يعملون في إطار خط الحزب الصحيح ، وكان صدام حسين نفسه من هؤلاء الذين بدأ قياديو تلك الفترة بالضغط عليه ومحاولة ايذائه لأنه تصدى للأمراض المتفشية داخل الحزب ، رغم انه كان عضواً في قيادة مكتب الفلاحين المركزي بدرجة عضو قيادة فرقة واستمر في ذلك حتى ردة تشرين السوداء ومن أجل ذلك الوضع غير المريح ، سافر سراً الى دمشق للمشاركة في المؤتمر القومي السابع للحزب المنعقد في دمشق للفترة من ٥ ــ ٢٣ تشرين أول ١٩٦٣.

والتقى الأستاذ ميشيل عفلق ، وعاد الى بغداد وفي ذهنه خطة لازاحة عبدالسلام عارف وبناء نظام جديد يقوده الحزب بصورة صحيحة.

كان صدام حسين يعتمد في ذلك على مجموعة نقية وقليلة من البعثيين ، وكان يتردد على كتيبة الدبابات الأولى وكان من بين ضباط هذه الكتيبة « عدنان خيرالله » الذي يعتبره صدام أخاً له تربيا معاً في نفس البيت ، وعاشا معاً أكثر سنوات عمرهما في بغداد وتكريت.

واتفق مع ضباط الكتيبة ، ومع بعض الضباط البعثيين بينهم (البكر) على حماية الحزب وضرب المؤامرة ، غير ان الكتيبة نُقلت الى البصرة فضاعت

الفرصة الوحيدة للتغيير.

وعند عودته من دمشق في رحلة ثانية التقى فيها الأستاذ ميشيل عفلق ، وشرح له الوضع الصعب الذي يعيشه الحزب في العراق في ظل الردة السوداء ، قرر تشكيل (قيادة قطرية مؤقتة) على أن لا يكون هو أحد أعضائها.

ومما يذكره الأستاذ ميشيل عفلق عن نشاط رفيقه صدام حسين في تلك الفترة قوله : « عرفت الرفيق صدام بعد ثورة رمضان ١٩٦٣ . عرفته وسمعته لأول مرة يتكلم في مؤتمر قطري في بغداد. وكانت مفاجأة بالنسبة لي أن أسمع أفكاراً ونظرات نافذة وعميقة في نقد تصرفات القيادة القطرية في ذلك الحين ، وفي نفس الوقت اعطاء صورة عما يجب أن يكون عليه حكم الحزب.

والانطباع الأول والأساسي الذي تركته في نفسي هذه المعرفة هو الاتزان وهدوء الأعصاب وسيطرة العقل ووضوح الفكر. نموذج نادر غير مألوف في العمل الثوري ، على الأقل في وسطنا العربي ، لأن الانفعال والتسرع والعاطفية كانت هي السمات الغالبة على المناضلين الثوريين.

ولم يمض شهر أو شهران على هذا اللقاء وعلى هذه المعرفة حتى أُصيب الحزب في العراق بالنكسة المعروفة في ١٨ تشرين والتي أدت الى سقوط الحكم والى مآسٍ كثيرة

لذلك كان من الطبيعي جداً أن يتجه تفكيرنا بعد هذه النكسة الى المناضل الذي كان أسبق من غيره الى رؤية الأخطاء في القيادة السابقة وان نوكل اليه عملاً قيادياً في فترة العمل السري بعد ردة تشرين. ولو انه ولأسباب وجيهة ، فضل أن يعتذر لفترة من الزمن. ولكن بعد مدة كان هو الشخص القيادي الذي صنع الصمود واعادة البناء على أُسس جديدة واعادة التنظيم في نظرة تجمع بين العقلانية والشجاعة والإقدام.

ولا يفوتني أن أذكر بأن ذلك كان بالتعاون مع الرفيق الكبير أحمد حسن البكر

الذي كانت معرفتي به توثقت كثيراً من بعد ١٤ رمضان. وكانت ثمة فرص عديدة للقاء والحديث بيني وبينه.

صدام حسين ابن الحزب. دخل الحزب في سن الحداثة ولم يعرف جواً غير جو الحزب. وثقافته أيضاً كانت في الدرجة الأولى من تراث الحزب الفكري.». [٢٤]

وأعلن فصل (علي صالح السعدي وحازم جواد) لتنقية المسيرة الجديدة من الانشقاقات الخطيرة ، وبعدئذ وصل قرار القيادة القومية بتعيين قيادة قطرية جديدة ، كان صدام حسين أحد أعضائها ، وتكلف بمسؤولية المكتب الفلاحي ، والمكتب العسكري وفرع بغداد العسكري ، ومكتب الاتصال الخارجي مع التنظيمات خارج بغداد. [٢٥]

وأخذت القيادة القطرية الجديدة تجمع السلاح ، وتصنع بعض القنابل اليدوية محلياً ، ووضعت خطة أولية للتغيير ، تتلخص بالهجوم على القصر الجمهوري والسيطرة على وحدات الحرس من الداخل ، وقيادتها لتطويق القصر نفسه ، وكان في الحرس الجمهوري رفاق لهم ، وتوجه صدام مع رفيق له وفاتحا أحد الضباط في كتيبة الدبابات بالحرس فوافق ، وكانت مهمته تتركز في تسهيل دخول الفرقة الصدامية الى داخل الحرس ، والباقي عليها ، وتحدد ساعة صفر للعملية ، ولكن فجأة ، اكتشفت الخطة ، ووقع هجوم صاعق على أعضاء الحزب أنفسهم في الرابع من أيلول أي قبل الموعد المقرر بيوم واحد.

في هذه الظروف الصعبة ، ووسط محاصرة عيون الشرطة وأزلام السلطة ، حيث جرت مناوشات مسلحة في باب أحد الأوكار ، نجا منها صدام حسين بأعجوبة ، جاءه مندوب من القيادة القومية يأمره بمغادرة العراق بأمر القيادة والتوجه الى دمشق. غير انه رفض الالتزام بالقرار لأن معنويات الحزبيين ستضعف وستحقق السلطة بذلك ما تريد.

ولم يمنعه اختفاؤه عدة أسابيع بعد تلك الحملة من مواصلة العمل وتحدي

النظام حتى انه أرسل من مخبئه في ٧ تشرين الأول ١٩٦٤ تسجيلاً صوتياً لاذاعة دمشق وصف فيه شراسة الحملة الرجعية ضد الحزب وطبيعة المؤامرة على العراق وعاهد مناضلي الحزب وجماهير الأمة العربية على مواصلة النضال حتى إسقاط الحكم الرجعي . . »[٢٦]

وما لبث صدام حسين ان حوصر في أحد الأوكار ولم يكن أمامه إلا ان يستسلم وهو يهتف بسقوط عبدالسلام عارف وينادي بالحياة لحزب البعث العربي الاشتراكي[٢٧] وكان ذلك في ١٤/١٠/١٩٦٤ .

واقتيد على اثر ذلك الى مديرية الأمن العامة حيث كان رشيد محسن مدير الأمن العام بانتظاره ، كان مدير الأمن يريد من صدام الحديث عن أسرار الحزب وعن أماكن بقية الرفاق ، فصمد صدام وتكلم مع مدير الأمن كلاماً أفهمه فيه بأن لا جدوى من الالحاح عليه لاعطاء أية معلومات .

وقبع جميع رفاقه خلف القضبان ، نزلاء المعتقلات ، أو أُبعدوا الى أماكن نائية ، فوُضع صدام حسين وبقية رفاقه في السجن رقم (١) وأُودع البكر في سجن التاجي وتشتت الجميع في كل مكان .

ترى هل ينتهي دوره النضالي عند هذا الحد ؟!

هل يترك العراق في أيدي الذين ضربوا رفاقهم على حين غفلة ؟!

لم تغمض لصدام حسين عين وفي خطة محكمة ساعده في تنفيذها رفيقه سعدون شاكر استطاع أن يفلت في ٢٣ تموز ١٩٦٦ من قبضة السلطة بعد أن أقنع رجال الانضباط بتناول الطعام في مطعم (الجندول) في شارع أبي نواس ، وخرج من الباب الخلفي ، وعاد الى نشاطه مخططاً هذه المرة لتجربة عظيمة وكبيرة وشامخة يتجاوز بها كل أخطاء واخفاقات الماضي وينقذ خلالها الحزب والشعب والأمة كما سيرد ذكره في الفصل الأخير من هذا الكتاب .

هوامش الفصل التاسع

(١) د. مجيد خدوري (العراق الجمهوري) ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٦٨ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٦٩ .
(٣) صالح مهدي عماش ، مصدر سبق ذكره .
(*) ربما كان في ذهن الثوار نقطة الخلاف السابقة بين عارف وقاسم حول من هو الذي نفذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .
(٤) نضال البعث ـ ج ٩ ـ : دار الطليعة ، ١٩٧٢ ، ص ٦٠ .
(٥) أحمد فوزي ـ ثورة ١٤ رمضان ـ دار الكتاب العربي بمصر ، ط ١ ـ ١٩٦٣ ، ص ٢١٨ وما بعدها .
(٦) مصطفى دندشلي ـ حزب البعث العربي الاشتراكي ـ ج ١ ، ص ٢٥ نقلا عن شبلي العيسمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٢ .
(٧) جريدة الجماهير يوم ٢٣ نيسان ١٩٦٣ وما بعدها .
(٨) جريدة الجماهير العدد ١٤٣ الاثنين ١٥ تموز ١٩٦٣ .
(٩) نضال البعث ، ج ٩ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٨ .
(١٠) شبلي العيسمي ـ تاريخ حزب البعث العربي الاشتراكي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٢ .
(١١) المصدر السابق ص ٢٥٢ .
(١٢) مذكرات عبدالسلام عارف ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٦ .
(١٣) انظر شرحاً موجزاً للمنهاج المرحلي في كتاب الأستاذ شبلي العيسمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥٣ .
(١٤) المصدر السابق ، ص ٢٥٣ .
(١٥) الفئة اليسارية تتألف من : علي صالح السعدي نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية (ثم وزير الارشاد) ومحسن الشيخ راضي وحمدي عبدالمجيد وهاني الفكيكي وأبو طالب الهاشمي. وجناح أو فئة اليمين تتألف من طالب شبيب وزير الخارجية وحازم جواد وزير الدولة وحردان التكريتي قائد القوة الجوية وطاهر يحيى رئيس أركان الجيش وعبدالستار عبداللطيف وزير المواصلات والفئة المعتدلة قوامها أحمد حسن البكر رئيس الوزراء وصالح مهدي عماش وزير الدفاع ـ أنظر مجيد خدوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٢ .
(١٦) المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .
(١٧) نضال البعث ، المصدر السابق ، ص ٥٩ .

(١٨) التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٩ .

(١٩) علي حسن مجيد ، التراث النضالي لحزب البعث العربي الاشتراكي ، دار الرشيد للنشر ١٩٨٠ ، ص ١٤٦ .

(٢٠) المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

(٢١) المصدر السابق ، ص ١٤٧ . وفيه شرح مفصل للظروف التي رافقت هذا البيان وطبيعة تلك الفترة. كذلك أنظر : نضال البعث ، الجزء الرابع .

(٢٢) ميشيل عفلق ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٠٣ وجاءت كلمته في افتتاح المؤتمر القطري السوري في ٢ شباط ١٩٦٤ .

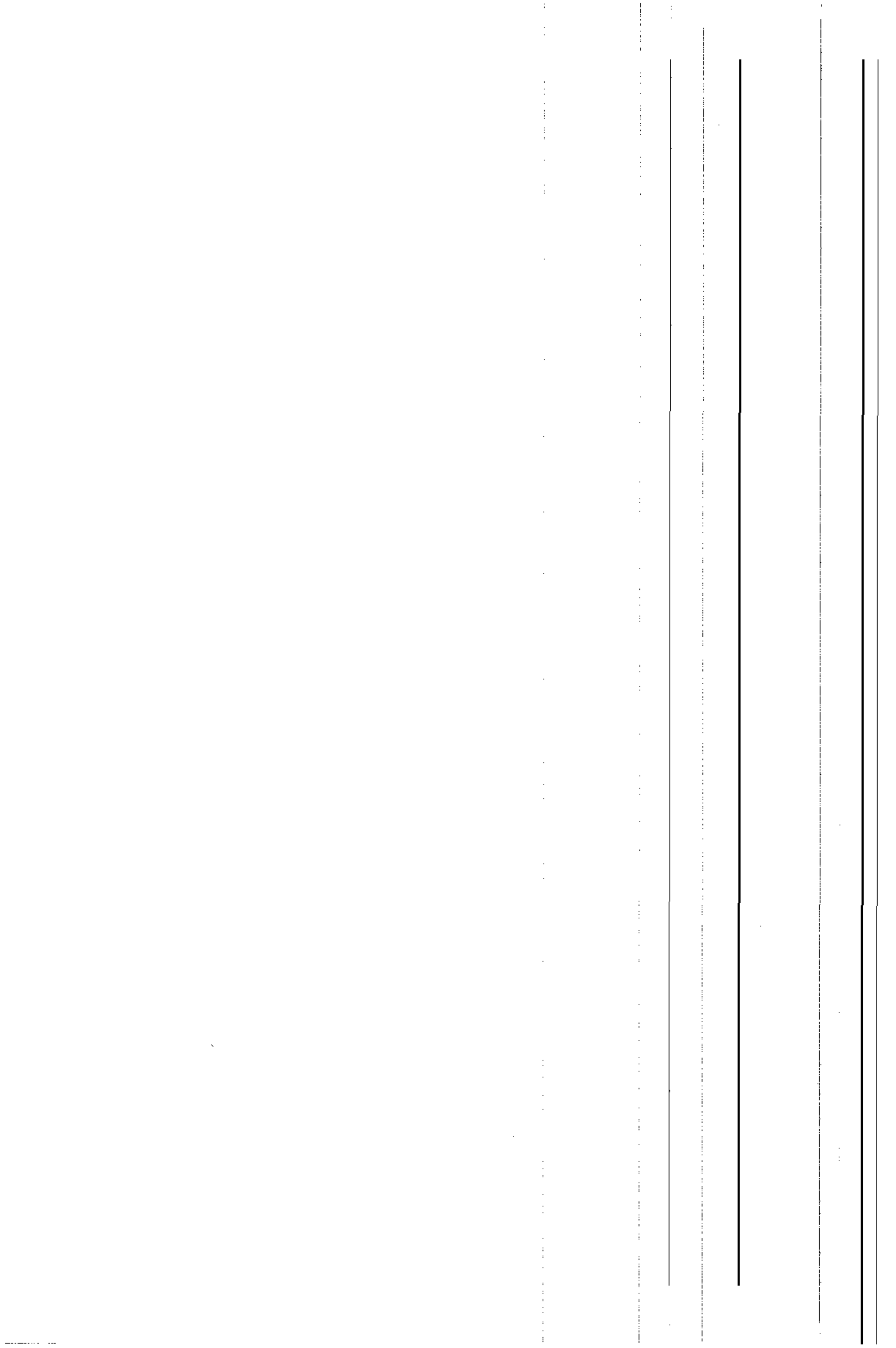
(٢٣) صدام حسين ، نضاله وفكره السياسي ، الدكتور شفيق عبدالرزاق السامرائي ١٩٨٢ ، ص ٢٩ .

(٢٤) فؤاد مطر ، صدام حسين الرجل والقضية والمستقبل . . ط ١ ، ١٩٨٠ ، ص ٥ .

(٢٥) أمير اسكندر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٠ .

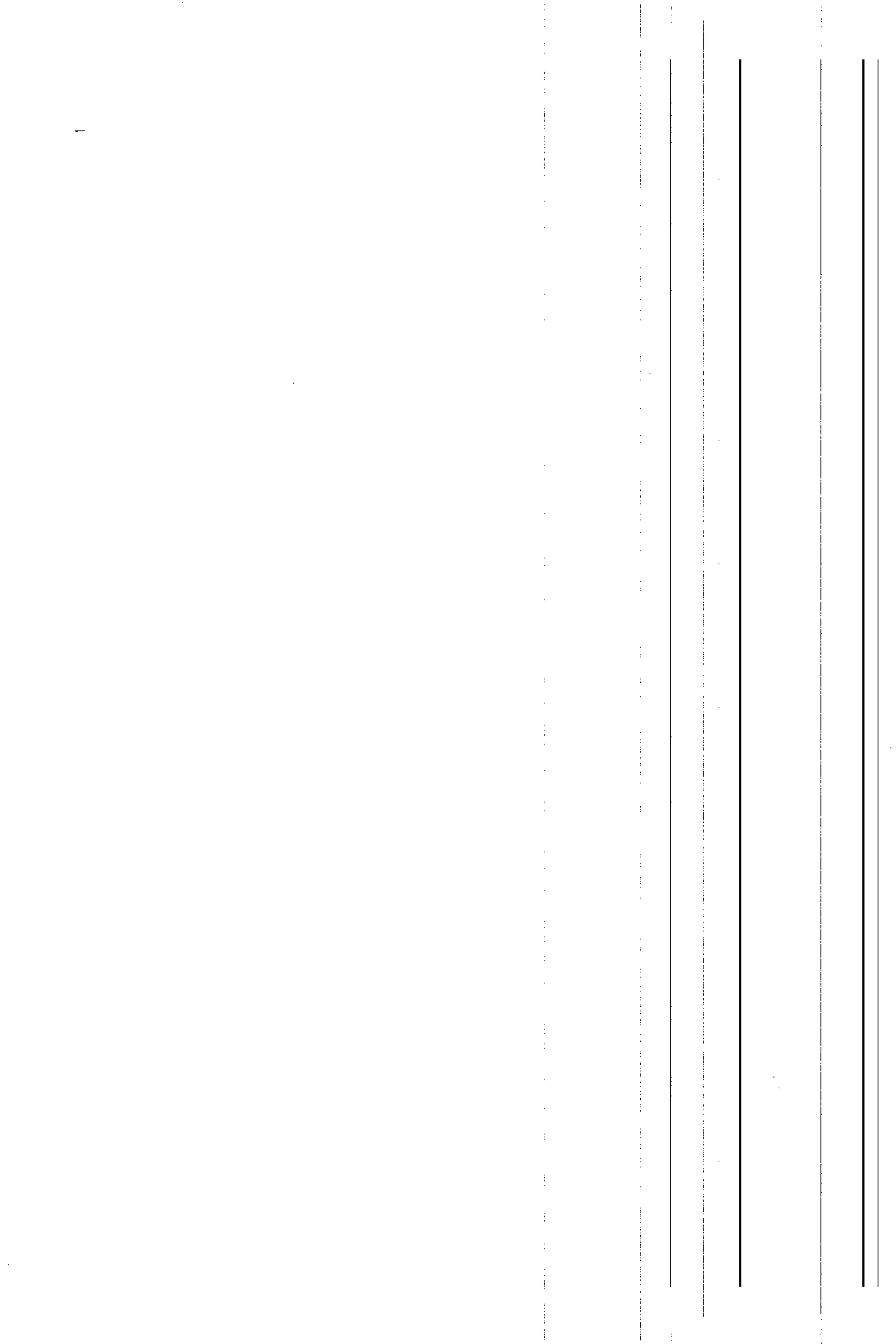
(٢٦) انظر : لمحات من نضال البعث ــ ٤٧ ــ ١٩٧٧ ــ مكتب الثقافة والاعلام ، ص ٨٩ .

(٢٧) أمير اسكندر ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٦ .



الفصل العاشر

انقلاب ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣



خطة الانقلاب العسكري :

إن الانقلاب العسكري أو ما اصطلح على تسميته (الردة) التي جرت في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ليست عملية بلا مقدمات وبلا جذور ، بل كانت تحركاً منسقاً ومنظماً لإبعاد الحزب عن ساحة العمل والانفراد بالسلطة ، ولذلك فقد ركزت قوى الردة على الأخطاء العفوية فضخمتها ، وعلى الأخطاء المقصودة فزينت الوقوع في المزيد منها لتكثر المثالب ، ويسهل بعد ذلك ، التعرف عليها وضربها ضربة غادرة :

وكان من أبرز ملامح خطتهم ما يلي :

١ ـ زيادة التسلل الى أجهزة الثورة والحصول على مواقع أساسية في الثورة.[1]

٢ ـ العمل عن طريق تلك المواقع لشق قيادة الحزب.

٣ ـ حماية الرجعية والتعاون معها لضرب الحزب.

٤ ـ تكتل ما يسمى بالقوميين من الضباط والمدنيين الانتهازيين لعزل الحزب.

٥ ـ العمل على تعجيز الثورة وعدم انتصارها ضد الجيب العميل في الشمال.

٦ ـ خلق التناقضات بين الثورة ونظام عبدالناصر وكسب الأخير الى جانبهم.

٧ ـ استغلال الجمود الذي أصاب قيادة الثورة في توجيه الضربة الغادرة اليها صباح ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.

٨ ـ غش الشعب وبعض العناصر التي ارتبطت بالحزب بأن العملية هي ازاحة الحرس القومي من الشارع وليس من الحزب.

٩ ـ كسب عناصر مرتبطة بالحزب وجرها لضربه.[٢]

لقد تضافرت كل تلك الأمور، لتنفيذ خطة الردة التي كانت تقضي اجراء الخطوات التالية في صفحة التنفيذ:

أولاً ـ في ١٨ تشرين أصدر عبدالسلام عارف مرسوماً باسم مجلس قيادة، يمنحه نفس الصلاحيات التي يمنحها عادة في حالات الطوارىء وقام عارف بحل الحرس القومي وشكّل حكومة جديدة.[٣]

ثانياً: اعتقال وزير الدفاع الفريق الركن صالح مهدي عماش ليلة ١٧/ ١٨ تشرين الثاني أثناء نومه في مقر وزارة الدفاع بواسطة ضباط كان لهم ارتباط بالحزب ومؤتمنين، وهما آمر الانضباط العسكري العقيد سعيد صليبي والرائد علي عريم سكرتير وزير الدفاع وفرض الاقامة الاجبارية عليه في غرفته.[٤]

ثالثاً: اعتقال الضباط البعثيين داخل وحداتهم.[٥]

رابعاً: نقل فوج مشاة وسرايا مغاوير من الشمال بالطائرات ليلة ١٧/ ١٨ تشرين لتنفيذ الردة في بغداد.[٦]

خامساً: السيطرة على مرسلات الاذاعة والاستديو بالدبابات.[٧]

سادساً: اقتحام بغداد بأرتال آلية ومدرعة لضرب الحرس القومي.[٨]

سابعاً: حجز القيادة القومية في قصر الزهور ومنع أعضائها من الخروج من القصر وكان بينهم الأستاذ ميشيل عفلق والفريق أمين الحافظ، وكانت القيادة القومية قد اجتمعت في بغداد يوم ١٤ تشرين الثاني بناء على طلب أحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش في نداء أذيع بالراديو وذلك بعد ان أصبح معظم أعضاء القيادة القطرية خارج القطر بعد ان نفى بعضهم البعض الآخر يومي ١١ و١٣ تشرين الثاني، وكانت القيادة القومية قد أضاعت أربعة أيام في نقاش عقيم رغم الايضاحات والخطر الجاثم لاحتمال الردة التي أوضحها لهم البكر وعماش.[٩]

لقد كان المنفذون للردة ، وبسبب جو البلبلة السائد آنذاك ، ينقسمون بين مندفع بلا ترو شأنه شأن المغرر به لضرب الحزب وبين المتعمد الاساءة وفقاً لمنطلقاته الشخصية والتأثيرات المحيطة به. وكان على رأس المنفذين عبدالسلام عارف وكان رئيساً للجمهورية فاستفاد من منصبه لتنفيذ العملية.

وما ان نجحت الردة حتى تحولت السلطة الى حكومة رجعية ومعادية للعمل النضالي ولكل اتجاه جدي لتغيير الأوضاع في العراق باتجاه يخدم المصالح العامة للشعب ويدعم النضال القومي بل ان حكومة الردة قوضت كل الخطوات الايجابية التي خطتها ثورة رمضان واتجهت الى ازالة آثارها ، وكان من أبرزها اخماد التيار الوحدوي وتجميد العمل بالقوانين التي شرعتها الثورة كقانون الاصلاح الزراعي ولم تقدم شيئاً للقضية الكردية التي ظلت مشتعلة وأهملت القضية الفلسطينية.

ويصف صدام حسين تلك الفترة الطويلة بقوله : « استمر حكم عائلة عارف لخمس سنوات تقريباً ، كان حكماً رجعياً يمينياً مشبوهاً متخلفاً. وكان حكماً متخلفاً وطائفياً ، ومن خلال دفع هذا الحكم المشبوه الى السلوك الطائفي كانت الامبريالية وكانت القوى السوداء والصفراء في الوطن العربي تحضر لتقسيم العراق الى ثلاث دويلات صغيرة تابعة للأجنبي ، وكانوا يريدون من تقسيم العراق الى ثلاث دويلات أن يكون العراق نموذجاً للمباشرة بالتقسيم الطائفي والعنصري في الوطن العربي من خلال تخلف نظام العائلة العارفية ومن خلال عمالته وارتباطاته.

كانت الامبريالية وأعوانها وكل الطامعين في العراق يريدون تقسيم العراق الى ثلاث دويلات. . دويلة للسنة. . ودويلة للشيعة ودويلة للأكراد. . وتدركون كم هي جريمة مثل هذا الفعل وتدركون ماذا يعني وماذا يصيب الأمة العربية فيما إذا نجحوا في تقسيم العراق مثلما كانوا يخططون.

وكان العراق الغني المليء بالخيرات بلد الرجال والتاريخ ، كان الشعب جائعاً ، وكان بائساً وكان مضطهداً أومظلوماً ، ومعزولاً عن تأدية دوره القومي . ». [١٠]

آثار الردة :

ولقد تركت ردة تشرين السوداء آثاراً سيئة على مناضلي الحزب الذين شعروا بالمرارة والأسى ، لأن تجربتهم الأصيلة ضاعت ، فإذا كانت ثمة ايجابية واحدة في حكم الثورة فان السلبيات كلها خيمت في ظل حكم الردة ورزح العراق من جديد تحت نير الانتهازية والظلم والجور والطغيان والرجعية ثم ضاعف الأزمة ما حدث في سوريا من انقلاب عسكري يوم ٢٣ شباط ١٩٦٦ والذي جعل قياديو الردة في كِلا البلدين ينسقون مواقفهما لالحاق المزيد من الأذى بالبعث والبعثيين وبالأهداف القومية وبمسيرة النضال المرير التي قادها الحزب من أجل أمة عربية واحدة وناهضة .

« لقد كان الدرس مؤلماً بالنسبة الى معسكر الثورة العربية عندما أُصيب بنكسة الانفصال في سوريا ، وكان مؤلماً عندما أُصيب بنكسة ١٨ تشرين في بغداد ولكن التقدميين العرب ، القوى العربية التقدمية خرجت أخيراً مستفيدة من هذا الدرس ، بعد ان دفعت هي والشعب العربي في جميع أجزاء وطنه ، أبهض الأثمان يتوصلت أخيراً الى ان تدرك هذه الحقيقة الأولية وهي انها كلها يجب أن تبقى صفاً واحداً في وجه أعداء الأمة العربية وأعداء نهضتها وتقدمها . . » .[11]

من هنا ، نستطيع الاستنتاج بان المسألة الجوهرية هي كيف يتم ضمان تحويل السلطة الى أداة صالحة للتحولات الثورية التي تسعى الحركة الثورية لتحقيقها . وهنا تبرز أهمية تنظيم وإشراف الحزب على أجهزة الدولة . وفي هذا المجال لابد من التمييز بين نتائج الضربة الحاسمة التي أدت الى ازالة السلطة ، وبين الاجراءات اللازمة لتغيير أسس السلطة القديمة من حيث تكوينها الاقتصادي والاجتماعي ، وبالتالي من حيث الوجوه القانونية والدستورية ومن حيث مؤسساتها وملاكاتها القديمة . فالظاهرة الخطرة التي رافقت بعض الثورات في العالم الثالث ، هي

ان الثـورة بَعد ان تـظفر بـالتـطويـح بقمـة السلطة القـديمـة لا تلبث أن تتـوقف عن اجراءاتها الثورية للتغيير ، لذلـك تبقى السلطة القديمـة بجذورهـا القانـونية وملاكاتها الرئيسية وفلسفتها ونظرتها المشبعة بالعداء للشعب والثورة. حيث لا يكون قد تغير فيها إلا القمة وبذلك تنعزل الثورة عن وسطها الطبيعي ، وتبدأ بالاختناق حتى تسقط. (١٢)

تقييم الحزب لنكسة الثورة :

ويمكن اجمال العوامل التي أدت الى ردة تشرين السوداء بما يلي وكما حددها المؤتمر القومي الثامن في نيسان ١٩٦٥ وأكدتها أحاديث قادة الحزب.

١ - الوضوح النظري :

كان المسؤولون عن الحكم في العراق ، يعتقدون أو بالأصح يروجون من باب التبرير لأخطائهم ، ان الحزب يفتقر الى الوضوح النظري ، الأمر الذي يشكل نقطة ضعف في قدرتهم على الحكم(١٣) غير ان النقص في الوضوح النظري عنـد الحزب للمرحلة التي تتلو الثورة لا يمكن اعتبـاره السبب الرئيسي في الفشـل أو في ضياع الحكم من أيدي الحزب ، سيما وان قيادة ١٤ رمضان لم تلتزم بـالبرنـامج المـرحلي الذي وضعه الحزب ، ولم تعبيء حوله الطبقات والقوى الاجتماعية ذات المصلحة في تـطبيقه ، وهي التي كـانت تطلق الشعـارات اليساريـة المرتجلة حيناً وتـظهـر الاستسلام المخزي لليمينيين حيناً آخر ، وهي التي أهملت النضال الفكري ولم تقدره حق قدره وكانت في كثير من الأحيان تعامله بخفة واحتقار. (١٤)

إن الاستمرار في الحكم إذن ليس مرهوناً أساساً بالوضوح النظري بـل هو

مرهون بالظروف وبدراسة علمية للقوى التي تستطيع أن تغير الأوضاع في المجتمع ، فالنقص في الوضوح النظري عند الحزب للمرحلة التي تتلو الثورة لا يعني ان هذا النقص هو السبب الرئيسي في الفشل أو في ضياع الحكم من أيدي الحزب ، بل هو سبب لعدم النجاح في معركة البناء لأن غاية الحزب ليست الاستمرار في الحكم بل النجاح في تطوير مجتمع متخلف الى مجتمع تقدمي متطور اشتراكي .[١٥]

٢ ـ عدم وجود دراسة جدية للواقع الاقتصادي والاجتماعي في العراق :

تأكد بعد مدة قصيرة في بدء الثورة ان حتى البديهيات الأولى للتقييم لم تكن متوفرة لدى قيادة الحزب في العراق وبنوع خاص لدى الأعضاء الأساسيين في هذه القيادة عن القوى الاقتصادية والقوى السياسية والقوى الاجتماعية في العراق ، ذلك لأن الحكم لا يستمر بالشعارات ولا ينجح بالثورية الكلامية ، بل ينجح بمقدار ما يستجيب لمتطلبات الواقع وهذه الاستجابة لا تتم إلا بعد معرفة دقيقة لهذا الواقع في كافة تفاصيله وتشعباته .

وحول هذه النقطة يتساءل الأستاذ شبلي العيسمي فيقول : لو فرضنا ان الدراسات عن الواقع الاقتصادي والاجتماعي كانت متوفرة ، وان المنهاج المرحلي كان جاهزاً من اللحظة الأولى لتسلم الحكم ، بينما كان المسؤولون في المؤسسات العليا للحزب والدولة في حالة انقسام وتناحر ، ولا يلتزمون بمبادىء الحزب وتعليماته ، ولا يأبهون للقيادة القومية ، ويهملون الاتصال مع قواعد الحزب ، ولا يلتزمون الصراحة والصدق في أقوالهم وتعاملهم ، فان النتيجة ستبقى سلبية رغم وجود المنهاج والدراسات المذكورة ، بل ما هي قيمة المنهاج وأهميته إذا أهمل ولم يُنفذ كما جرى بالفعل ؟ .[١٦]

٣ ـ عقلية المعارضة :

كانت عقلية أو نزعة المعارضة تسود القواعد الحزبية في علاقاتها وممارساتها اليومية مع نظام الحكم ، ومع القيادة الحزبية الأعلى ، فلقد اعتاد الحزبيون على المعارضة وعلى الانتقاد للسلطة التي ورثت من أجواء الحكومات السابقة قبل ثورة ١٤ رمضان (٨ شباط) وبهذا فقد أصبحت هذه القواعد أداة تقاوم الحكم في تخطيطه وتعرقل مساعيه اليومية ، وقد ساهم بعض القادة الحزبيين ــ وخاصة من الذين يطلقون على أنفسهم لقب الثورية ــ في الإبقاء على هذه الروح السلبية في القاعدة الحزبية ، فبدلاً من ان يحاولوا أن يخلقوا جسراً بين القاعدة الحزبية وبين الحكم ، أخذوا هم يعمقون الهوة التي تفصل بينهم ، فخلقوا بسرعة في صفوف الحزب الاعتقاد بأن الحكم هو معادٍ للحزب وان القائمين عليه يريدون أن يصفوا الحزب تصفية كاملة ، وهذا النقص في التثقيف والوضوح يتبلور في جهل ضرورات المراحل وحتمية اتخاذ بعض الاصلاحات الجزئية في مراحل معينة ، أو بعض المواقف الحكومية التي تبدو ظاهرياً وكأنها وسطية ، بينما تكون هي مجرد تهيئة لقفزات نوعية .[١٧]

٤ ـ غياب القيادة القطرية واهمال دور القاعدة الحزبية في حماية الثورة في العراق :

إن الخطر الأول الذي تعرضت له الثورة في العراق بعد ١٤ رمضان والذي كان بداية لسلسلة الأخطاء والانحرافات هو غياب القيادة الحزبية في القطر العراقي عن ساحة التوجيه وحلول عدد من أعضائها كأفراد في التوجيه والتنفيذ ، فانساق قسم منهم وراء هذا أو ذاك من المستأثرين وانجرف القسم الآخر وراء درب القرف والتفرج السهل .[١٨]

فمن مظاهر التكتل السائدة آنذاك سعي حازم جواد الى تدعيم موقفه بجلب تأييد العسكريين في المجلس الوطني لقيادة الثورة والوزراء. وأخذ علي صالح السعدي يقوي نفوذه في صفوف الحرس القومي أما التنظيم الحزبي فقد أهمله الطرفان.(١٩)

وكان نتيجة ذلك أن توقف إصدار معظم النشرات الحزبية المهمة آنذاك وتعطلت الاجتماعات الحزبية التي تعد حلقة الوصل بين الحزبيين والقيادة الحزبية أي بين (القيادة) و (القاعدة) وبقيت الاتصالات تجري بين القيادة القطرية ومختلف المنظمات عن طريق محسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي المتفرغين للعمل الحزبي غير ان هذه الاتصالات كانت تتم دون توجيه من القيادة الغائبة عن مسؤولياتها فأخذت شكل الاجتهاد الشخصي ولم تؤد بالتالي أي غرض بنّاء لأن المعلومات لم تكن تصل بصورة واقعية وصحيحة ومنضبطة.(٢٠)

٥ ـ اهمال التنظيم العسكري :

كان الحزب يولي التنظيم في القوات المسلحة أهمية كبيرة ، لأنه الأداة الرئيسة بمشاركة الجماهير في صفحات تنفيذ الثورة ولأنه الحارس الأمين لها بعد قيامها وإيمانه بمسارها ، وقد اتخذ الحزب قبل ثورة ١٤ رمضان مساراً جاداً نواته الضباط الشباب ممن قدموا من الكلية العسكرية وبعض ضباط الصف الذين تم كسبهم من قبل الضباط البعثيين الكبار وهم قلة وبعض الضباط البعثيين الذين كان يتشكل منهم المكتب العسكري ــ آنذاك ــ ، وكان لنشاطهم في الكسب تأثير مهم جاد.(٢١)

وبعد ان لعب هذا التنظيم دوره في الصفحة الأولى ، أهمل المسؤولون الحزبيون هذا التنظيم إهمالاً كلياً.. فلم يعقد اجتماع واحد للتنظيم العسكري ولم يحضر الرفاق العسكريون حلقة واحدة ولم يتلقوا أية نشرة حزبية أو توجيه حزبي ، فاشتدت في أوساطهم التناقضات التي أفضت بالتعاون مع ضباط كانوا سابقاً

في التنظيم العسكري الحزبي الى تنفيذ ردة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ التي قضت على تجربة الحزب الأولى في الحكم بسبب تفكك التنظيم العسكري وبلبلة أعضائه والتناقضات المتراكمة التي أبعدتهم عن بعضهم.[٢٢]

٦ ـ انعدام المقاييس الحزبية في الاختيار وفي العمل :

لقد تم اختيار أعضاء المجلس الوطني من قبل قيادة الحزب في العراق ، غير ان الاتهامات كثرت حول أخطاء المجلس الوطني ، مما يعني ان هناك انعداماً في المقاييس الموضوعية في الاختيار وحلول الاعتبارات العاطفية والشخصية في التقييم والتي كانت من الأسباب الهامة في إيصال عدد من اليمينين والرجعيين للمراكز الحساسة في الحكم وفي الحزب في العراق.

وما يقال عن أعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة يمكن أن يقال أيضاً عن كافة الوزارات وعن كافة الوظائف في الدولة. لقد أثبتت التجربة ان أكثرية التعيينات كانت تتم بشكل غير مدروس ، كانت تلعب فيه العلاقات الشخصية والثقة الشخصية الدور الأساسي محل الثقة الحزبية والتقييم الحزبي ، وكانت شكاوي الحزبيين تتراكم دون أن يسأل عنها أحد من القياديين لانغماسهم في الأعمال الحكومية وانغماسهم في الخلافات الصغيرة على التزعم.[٢٣]

٧ ـ الانغلاق :

لم تستطع القيادة القطرية أن تحافظ على الالتفاف الجماهيري الواسع الذي تميز به الحزب قبيل الثورة وعند قيامها ، ورفضت الاستجابة لطلب القيادة القومية باقامة جبهة واسعة مع القوى السياسية الأخرى ، بحجة ان الانفتاح على هذه القوى يعني انتهاج سياسة وسطية وتوفيقية ، بل ان قواعد الحزب كانت تشعر

بالحاجة لاقامة جبهة شعبية قومية[24] غير ان ذلك لم يتم وكان ان فشلت تبعاً لذلك العديد من المؤسسات الأخرى مثل نقابات العمال التي لم تستطع أن تكسب ثقة العمال لتصرف قادتها المظهري وكذلك فشلت منظمة (الحرس القومي) في كسب محبة وتعاون الأوساط الاجتماعية والسياسية وغرقت بالأخطاء ، وبلغت اساءات المكتب التحقيقي الخاص الى حد الاساءة الى سمعة الحزب مما زاد العزلة والانغلاق تماماً ومهد الأجواء لسقوط الثورة.[25]

٨ - استعداء الجيش وخلق التناقض بين الجيش والحرس القومي :

لقد أدى المركز الممتاز الذي يتمتع به الحرس القومي في بداية الثورة – الى انضمام فئات مختلفة من الناس اليه ممن لا يمتون للحزب بأية صلة ممن يستهويهم حمل السلاح وحب السيطرة والنفوذ ، فتوسع عدد أعضاء هذه المنظمة وتباينت نوعية الناس فيها لحد جعل من الصعب ضبطها والسيطرة عليها ، وكان من الطبيعي بعد ذلك أن يعبأ ضد الجيش بسبب قصر النظر وبسبب جهل كامل لحقيقة الوضع آنذاك مما خلق تناقضاً بينه وبين الجيش.[26]

إن تجربة ثورية رائدة كالحرس القومي كان يمكن أن تظل تجربة عظيمة ناجحة لو لم تسلّم قياداتها الى قيادة كالتي ذكرت ولو لم ترتبط بالمحاولات التكتيكية التخريبية في الحزب ولا ريب ان بعض العسكريين لعبوا دوراً تخريبياً متكتلاً آخر لارتباطهم بتكتل معين مما زادوا من انجرار القيادة العامة في الالتزام بمواقف علي صالح السعدي وجماعته.[27]

٩ ـ الاستعلاء على الجماهير :

رغم ان مبادىء الحزب وسلوكيته في مراحل النضال السري تشدد على التفاعل مع الجماهير ، والابتعاد عن الاستعلاء وعقلية الوصاية عليها ، فقد انزلقت قيادة الحزب في العراق الى هذا المنزلق لعدم تفهمها لعقلية المجتمع وعدم احترامها لتراثه وتقاليده الاجتماعية .[٢٨]

لقد كانت معظم الأحداث التي عاشها الحزب من ٨ شباط حتى ١٨ تشرين تُنقل الى القيادة القومية بصورة مشوهة أدت الى دفعها اتخاذ مواقف خاطئة والى الاحجام عن اتخاذ بعض التدابير عندما كانت هذه التدابير ضرورية .[٢٩]

ويُذكر على سبيل المثال ، ان تشكيل المجلس الوطني لقيادة الثورة قد تم من دون استشارة القيادة القومية ، كما ينص النظام الداخلي للحزب ، وقدمت في تبرير ذلك أعذار غير صحيحة ، وعندما استدعيت القيادة القومية لمعالجة الخلاف الذي تأجج بين السعدي من جهة وحازم جواد وطالب شبيب من جهة أخرى ، أبلغها أمين سر القيادة القطرية (السعدي) بأن الخلاف قد عولج وانتهى ، ولم تعد ثمة حاجة لبحثه ، ولكن خطأ القيادة القومية في انها لم تسأل الأعضاء الآخرين في القيادة القطرية ولم تستقص حقيقة الأوضاع وأسلوب العمل في داخل الحزب والحكم .

وما ان عادت القيادة القومية الى دمشق حتى استدعيت ثانية لمعالجة الخلاف المذكور ، فعادت واتصلت بعدد من أعضاء القيادة القطرية وتبين لها ان ما ذكره لها أمين السر لا أساس له من الصحة ، وبرر ذلك في انه شعر بعجز القيادة القومية عن معالجة الخلاف وانه أرادها أن تبقى خارج هذه المعركة .[٣٠]

١٠ ـ تردد القيادة القومية وعجزها :

كان تكوين القيادة القومية قبل المؤتمر القومي السادس وظروفها تمنعها من أي عمل حاسم ومن قيادة فعلية لسير العمل الحزبي في مختلف المنظمات ، وهذا الضعف يعود الى ظروف الحزب السابقة وضعف امكانياته المادية ، اضافة الى عدم تفرغ الأعضاء القياديين ، فلم يكن في القيادة القومية سوى عضوين متفرغين من أصل عشرة أعضاء ، ثم تفرغ عضو ثالث بعد الثورة[٣١] وتجسد هذا الضعف على أوضح ما يكون في مستوى التنظيم والمعالجات العفوية ، المفتقرة الى الدراسة والتخطيط ووضع البرامج والمناهج المرحلية المتصلة بمبادىء الحزب وأهدافه ، بالاضافة الى البطء الشديد في معالجة الأحداث أو اللهاث وراءها. ونتج عن ذلك كله ميوعة في العلاقات الحزبية ونقص الفهم وسوء التطبيق المركزية والديمقراطية ، وبدأ النقد يأخذ أحياناً طابع القسوة والتجريح ، و يأخذ أحياناً أخرى طابع الافتراء والتجني والتشهير ، حتى ضاعت هيبة القيادات أو كادت. [٣٢]

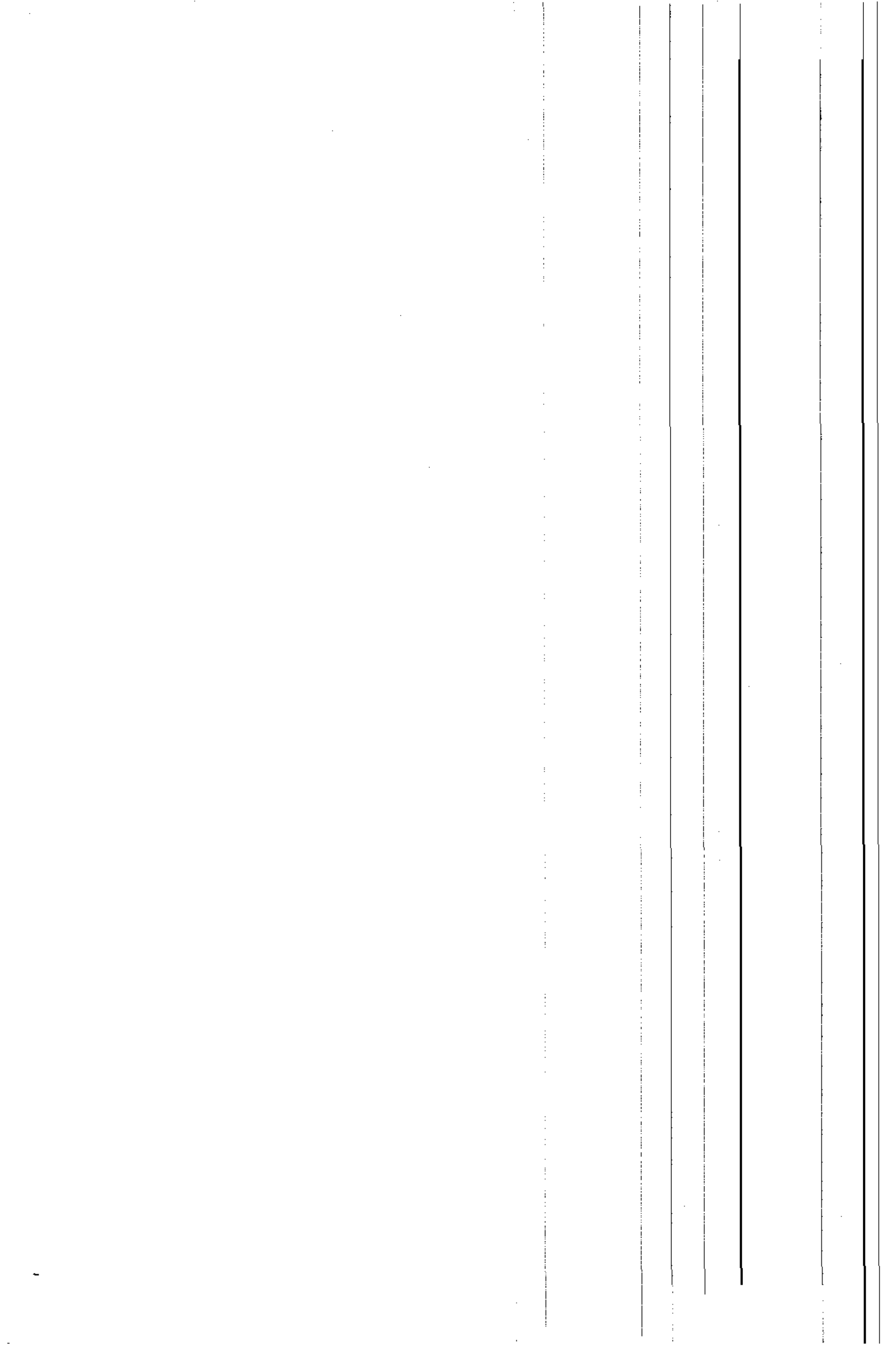
١١ ـ عدم تحقيق انجازات :

على قصر الفترة التي أجهضت فيها ثورة ١٤ رمضان، فان المرحلة لم تشهد انجازات تشد الشعب الى الثورة ، كما ان التسعة أشهر التي استلم فيها الحزب الحكم لم تعبر عن هوية الحزب الاشتراكية من خلال ما تم وأنجز ، فهناك تناقض واضح بين ما قيل وما تم. والقانون الوحيد الذي صدر هو تخفيض الايجارات بنسبة ٢٥٪ وكان قانوناً تنقصه الدراسة العميقة ووضع لأسباب سياسية محضة.

وبهذا يمكن القول ان من أسباب نكسة الحزب على الصعيد الشعبي هو عدم تحقيق أي انجاز يشعر الجماهير بأن الحكم جاء ليمثل مصالحها ، لقد انحصرت الانجازات في طيلة الأشهر التسعة من الحكم الحزبي على الخطابات والتصريحات ،

ومن المؤكد ان أكثر الحركات والقادة تطرفاً لفظياً هم عادة أبعد الفئات عن الانجاز العملي.[٣٣]

كما تم تقييم تجربة ٨ شباط ونكسة الحزب في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ في المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي.[٣٤]



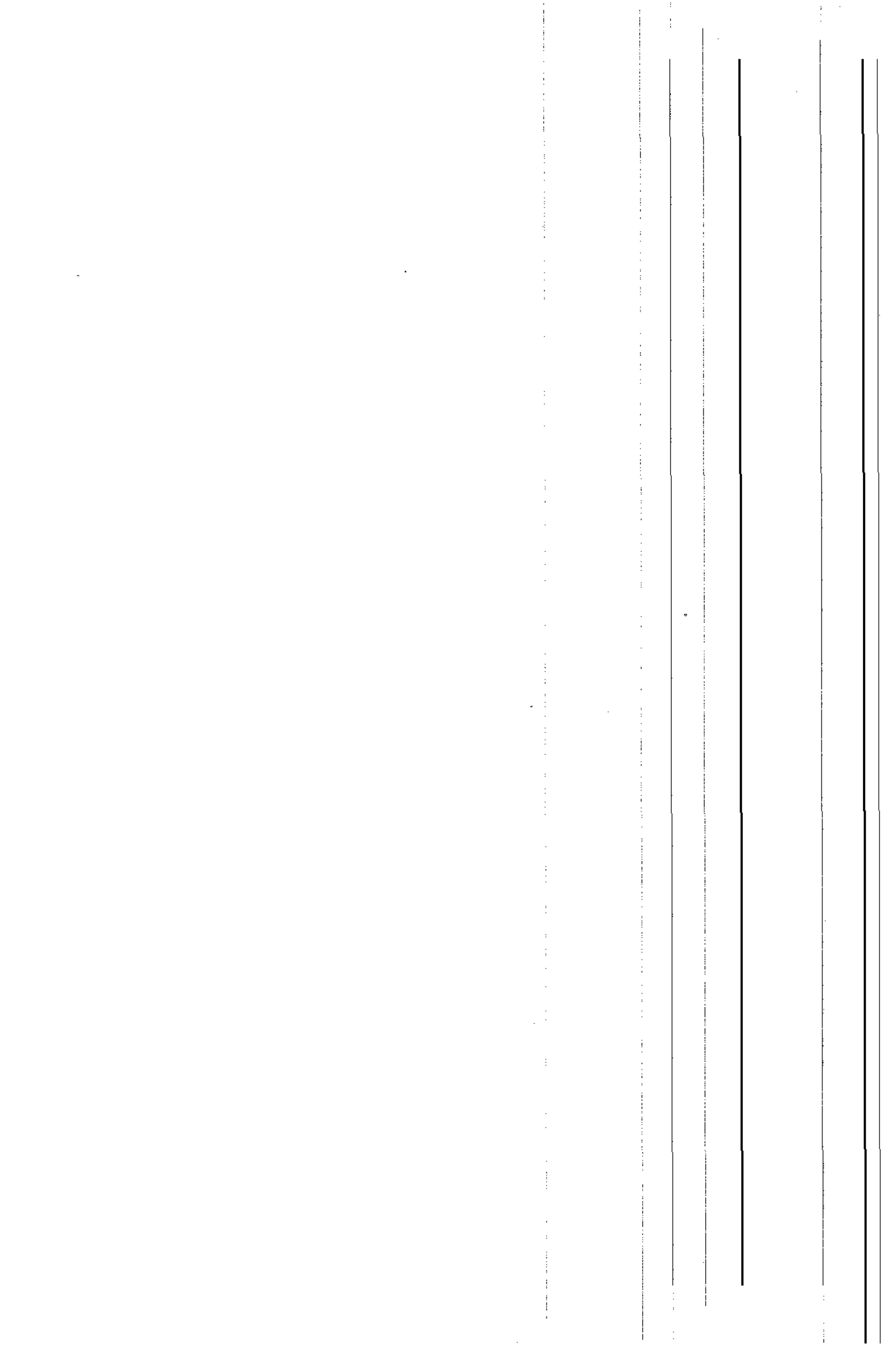
هوامش الفصل العاشر

(١) صالح مهدي عماش ، مصدر سبق ذكره.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق.
(٨) المصدر السابق.
(٩) المصدر السابق.
(١٠) صدام حسين ، خطاب في ذكرى ثورة ٨ شباط ١٩٨٠.
(١١) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، الكتابات السياسية الكاملة. بغداد : مكتب الثقافة والاعلام ، ١٩٨٦ ، ج ٢ ، ص ٣٢٠.
(١٢) الثورة العربية ، العددان (١١ ــ ١٢) ، السنة الثالثة ، ١٩٧٢ ، ص ١٨٤ ــ ١٨٥.
(١٣) شبلي العيسمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧.
(١٤) الياس فرح ، تطور الأيديولوجية العربية الثورية (الفكر القومي) ، ط ٢ ، ص ٢٣٦.
(١٥) أنظر : نضال البعث ، الجزء التاسع ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧.
(١٦) شبلي العيسمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٢.
(١٧) نضال البعث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٢.
(١٨) المصدر السابق ، ص ٥٤.
(١٩) المصدر السابق ، ص ٥٤.
(٢٠) انظر المصدر السابق ، ص ٥٥.
(٢١) مقابلة شخصية مع عدنان خيرالله بتاريخ ٨/١٠/١٩٨٥.
(٢٢) نضال البعث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٧.
(٢٣) تركز الخلاف والتساؤل حول مَن الذي جاء بعبدالسلام عارف رئيساً للجمهورية ، ومَن الذي جاء بطاهر يحيى رئيساً للأركان وعضواً في المجلس الوطني لقيادة الثورة ومَن الذي جاء بحردان التكريتي قائداً للطيران وعضواً في المجلس الوطني لقيادة الثورة ، ومَن هم الذين جاءوا برشيد مصلح حاكماً عسكرياً ومَن الذي أوصل عبدالكريم فرحان الى قيادة الفرقة الأولى. =

= انظر ـ نضال البعث ـ مصدر سبق ذكره ، ص ٥٩ .
(٢٤) شبلي العيسمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٩ .
(٢٥) لمزيد من التفصيل انظر ـ المصدر السابق ، ص ٢٧٩ .
كذلك نضال البعث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٦ .
(٢٦) نضال البعث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٦٧ .
(٢٧) المصدر السابق ، ص ٦٦ .
(٢٨) شبلي العيسمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٢ .
(٢٩) نضال البعث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧١ .
(٣٠). أنظر شبلي العيسمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٢ .
كذلك راجع نضال البعث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧١ .
(٣١) نضال البعث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٣ .
(٣٢) شبلي العيسمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٤ .
(٣٣) نضال البعث ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٦ .
(٣٤) أنظر تفاصيل ذلك في الفصل الثاني عشر من هذا الكتاب .

الفصل الحادي عشر

ملامح العهد العارفي



حكومة الانقلاب العسكري :

كلف عبدالسلام عارف ـ بعد يومين من حركته الانقلابية ـ طاهر يحيى رئيس أركان الجيش ، بتشكيل الحكومة الجديدة[1] وكان ثمن ذلك اختفاء الأحزاب برمتها ، أما حزب البعث فقد تعرض أعضاءه للقمع وتشتت كبار قادته ، فمنهم مَنْ هرب ومنهم مَنْ اعتقل هذا بالرغم من ان عارف وصف تغيير الحكومة الذي تم بانقلاب عسكري انه (ثورة) وان الغاية من هذه الثورة « تصحيح الانحرافات في الثورتين السابقتين بإستعادة سيادة القانون وحماية حريات المواطنين وممتلكاتهم ووضع حد للفوضى والسماح للشعب العراقي بإستعادة شخصيته العربية الأصيلة . » .[2]

واتخذ المجلس الوطني برئاسة عبدالسلام عارف عدة قرارات منها :

١ ـ انتخاب المشير الركن عبدالسلام عارف رئيس الجمهورية العراقية رئيساً للمجلس الوطني للثورة .

٢ ـ يعين الرئيس عارف قائداً عاماً للقوات المسلحة ويمارس جميع السلطات المخولة له .

٣ ـ يعين الزعيم الطيار حردان عبدالغفار نائباً للقائد العام ، بالاضافة الى منصبه الحالي .

٤ ـ يخول المشير الركن عبدالسلام عارف صلاحيات خاصة لمدة سنة واحدة تجدد تلقائياً عند الحاجة .

٥ ـ يحل الحرس القومي وتلغى جميع القوانين والأنظمة والتعليمات والأوامر المتعلقة به .

٦ ـ يتألف المجلس الوطني للثورة على الشكل التالي :

آ ـ رئيس الجمهورية رئيساً له .

ب ـ الأعضاء : القائد العام للقوات المسلحة ، نائب القائد العام

للقوات المسلحة ، رئيس الأركان العامة ومساعدوه ، قادة الوحدات ، قائد القوة الجوية ، الحاكم العسكري العام والضباط الذين يرتأي المجلس تعيينهم.

جـ ـ ينتخب المجلس أميناً للسر إما من بين أعضائه أو من الخارج. ويجوز للرئيس تخويله صلاحيات توقيع البيانات والأوامر التي يصدرها المجلس.

د ـ يشكل المجلس الوطني للثورة مجلساً استشارياً من المدنيين المؤهلين الذين يتمتعون بسمعة طيبة وخبرة واسعة.

٧ ـ يتخذ المجلس اجراءات قانونية فورية ضد المتمردين الذين اشتركوا أو تسببوا في تمرد ١٣ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٦٣.

لم يعد بعد هذا البيان أي مجال للتخمين أين ترتكز السلطة ، كما ان هذا البيان رسم الخطوط العامة للجهاز الدستوري المقبل.(٣)

ويوضح كتاب سكرتير المجلس الوطني لقيادة الثورة المقدم الركن هادي خماس المرقم (٩) والمؤرخ في ٢٧ / ١٠ / ١٩٦٤ أعضاء المجلس الوطني لقيادة الثورة الذين أدوا اليمين الدستورية(٤) وجميعهم من العسكريين.

حكم عبدالسلام عارف :

وعلى هذا الأساس ، يمكن لنا ان نجمل الاتجاهات السياسية الداخلية في البلاد في عهد عبدالسلام عارف بما يلي :

أولاً : تأكيد الحكم العسكري وبروز عارف الرجل القوي في النظام الذي لم تكن لديه الرغبة ، شأنه في ذلك شأن قاسم ، في الاعتماد على الأحزاب السياسية ، فبينما أثار قاسم حزباً على آخر ، أمر عارف بحلها جميعها واعتمد على مجموعة من الضباط الوحدويين.

ثانياً : تأكيد الوحدة العربية كأساس لعلاقات العراق مع الدول العربية الأخرى وعلى الأخص مصر التي ازداد أنصارها السياسيون في البلاد بعد سقوط قاسم. وواصل عارف الذي نادى بوحدة العراق ومصر في سنة ١٩٥٨ الدعوة للوحدة كسياسة رسمية لنظام حكمه ، ولكن الوحدة السياسية ظلت من الناحية العملية بعيدة عن التنفيذ كما كانت في أي وقت مضى غير ان سياسة العراق الخارجية كانت تسير حتماً في ركاب مصر. وقد أيد عارف علناً عبدالناصر في مؤتمرات القمة العربية وفي المحافل الدولية.

ثالثاً : على الرغم من ان عبدالناصر شدد على الاشتراكية والعلمانية ولم يذكر الاسلام إلا على سبيل المجاملة ، فان عبدالسلام عارف لم يبد باديء ذي بدء اهتماماً بالاشتراكية ، وأكد بأنه إنما يستمد آراءه الاجتماعية والسياسية من الاسلام لا من مصادر أجنبية ، وظل حتى بعد ان استجاب للنفوذ المصري وتبنى الاشتراكية العربية في تموز (يوليو) سنة ١٩٦٤ ، يظهر تمسكه بالدين مؤكداً بان قاعدة الاشتراكية هي الاسلام ».[٥]

وفيما يتعلق بالاتجاه الأول ، فقد تجسد في نبذ الأحزاب كما أشرنا من قبل وفي تشكيل وزارة طاهر يحيى العسكرية التي ازداد في ظلها القمع السياسي وما لبثت إن واجهت الصعوبات في تنفيذ برامجها المعتمدة على الكفاءة الادارية لتحقيق بعض الاصلاحات ، ولكن هذه التدابير تسببت في مزيد من خيبة الأمل والاضطراب الاجتماعي مما أضطر يحيى لأن يجري عدة تغييرات في وزارته بين تشرين الثاني ١٩٦٣ وشهر أيلول ١٩٦٥ حين استقال نهائياً من منصبه تحت ضغوط عديدة[٦] كان من بينها تدهور سمعته لدى الرأي العام بتهمة استغلال نفوذه السياسي في خدمة أغراضه الشخصية.[٧]

وكلف عارف العميد الطيار الركن عارف عبدالرزاق قائد القوة الجوية ، بتشكيل حكومة جديدة في ٦ أيلول ١٩٦٥ ، واحتفظ فيها لنفسه الى جانب منصب

رئيس الوزراء مناصب وزارة الدفاع وقيادة القوة الجوية ، وكلف عبدالرحمن البزاز ليكون نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية[8] ولما كان طموح عارف عبدالرزاق واسعاً ، فقد استغل سفر عبدالسلام والبزاز لحضور مؤتمر القمة في الدار البيضاء الذي كان سيعقد في ١٢ أيلول ، لينفذ خطة يقوم بها عدد من الضباط المؤيدين للناصرية يعزلون فيها عبدالسلام ويسلمون عارف عبدالرزاق رئاسة الجمهورية ثم يطلبون من الرئيس جمال عبدالناصر تحقيق الوحدة الفورية. وفي ١٢ أيلول ١٩٦٥ تظاهرت نقابات العمال والمعلمين بإيعاز من أولئك الضباط منادية بوحدة تامة مع الجمهورية العربية المتحدة ، غير ان الخطة فشلت حين علم بعض الضباط الموالين لعبدالسلام عارف بها.[9]

أما فيما يتعلق بالنقطة الثانية من اتجاهات حكم عبدالسلام عارف والمتعلقة بهدف الوحدة ، فان عارف سلك في ذلك سلوكاً متناقضاً ، فقد بدأ عارف يفضي بتصريحات علنية ينحي فيها باللائمة على الزعماء البعثيين لفشلهم في تنفيذ اتفاق الوحدة الموقع في١٧ نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٣ ، ويدعو الى وحدة عربية شاملة ، وتحدث بحماسة عن الوحدة العربية وكان حضوره اجتماعات القمة دليلاً على تأييده لسياسات عبدالناصر ، غير انه بعد أن أصبح رئيساً للجمهورية لم يظهر حماسة كبيرة للتحرك بسرعة نحو تنفيذ الاتفاق الثلاثي المعقود في ١٧ نيسان (ابريل) وأثبت في النهاية انه ، عازف عن تحقيق الوحدة.[10]

واكتفى عارف بأن أعلن الدستور المؤقت في ٣ أيار (مايو) سنة ١٩٦٤ باختياره إحدى الخطوات التي سعى عارف معها لتدعيم نظام حكمه داخل البلاد وجعله منسجماً مع الحكم في الجمهورية العربية المتحدة[11] ولما كان عبدالناصر شأنه شأن عارف لم يكن يرغب في دخول وحدة وثيقة العرى مع العراق[12] فقد اتفق مع عارف في ٢٦ أيار (مايو) ١٩٦٤ على توقيع اتفاق تمهيدي للوحدة بين مصر والعراق ، تناول الخطوط العريضة دون تفاصيل[13] وفي ١٦ تشرين أول (اكتوبر)

خطا عارف تحت ضغوط الضباط الناصريين خطوة أخرى نحو تعزيز العلاقات مع مصر بإنشاء قيادة سياسية موحدة.[١٤]

وكما ان عارف لم يكن في قرارة نفسه مؤمناً بالوحدة ، فانه لم يكن كذلك مؤمناً بالاشتراكية ، أما الخطوات القليلة التي اضطر الى تحقيقها تمشياً مع رغبة عبدالناصر الذي كان يرى ضرورة تحقيق الاشتراكية قبل الوحدة ، فان عارف بعد أن تبنى القرارات الاشتراكية[١٥] أخذ يتردد في تنفيذها وبدأ يصدر بيانات عامة متضاربة ويقي مشروع القرارات سراً واستمر إصدار التصريحات والبيانات العامة التي ليس فيها ما يشعر ان الحكومة عازمة على تنفيذ الاجراءات الاشتراكية ، وساعد في ذلك نظرة عبدالرحمن البزاز المحافظة للاشتراكية والتي عبر عنها بالتسمية التي أطلقها على الاشتراكية التي يؤمن بها وهي « الاشتراكية الرشيدة ».[١٦]

ومع كل تلك الخطوات فان نظام الحكم بعد ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ، بدأ يفقد عطف الناس وتأييدهم لسوء الأحوال الاقتصادية وتذمر الناس من حكومة طاهر يحيى ، وراح عارف يتجول في البلاد ويخطب في كل مدينة وقرية ويبدو انه وجد متعة في تجواله هذا حتى كان سبباً في وفاته حيث كان يزور (القرنة) في ١٣ نيسان ١٩٦٦ عندما سقطت به الطائرة ولاقى حتفه ومَن معه.

شخصية عبدالسلام عارف :

ولد عبدالسلام محمد عارف البزاز يوم ١٩٢١/٥/٢١ في الدار المرقمة ٥٠٧/٢ محلة سوق حمادة جانب الكرخ وأجرى عملية تصحيح لمواليده من ١٩١٨ الى ١٩٢١.[١٧]

دخل عبدالسلام عارف المدرسة العسكرية الملكية في ١٩٣٨/٢/١٧ ومنح رتبة ملازم في ١٩٣٩/٥/٧ متزوج من السيدة ناهدة حسين وله منها أربعة أولاد هم (أحمد ، محمد ، محمود ، جلاء).[١٨] وشأنه شأن قاسم لم يكن في حياة عبدالسلام

عارف ملمح بارز ، بل لم يكن في مطلع حياته تلميذاً نابهاً لا في المدرسة الابتدائية ولا في الثانوية ، ولا في الكلية العسكرية. لقد كان ، نظير قاسم ، طالباً لا يكاد يرقى الى مستوى الطالب المتوسط ، ومما لا شك فيه انه لما كان طالباً في الكلية العسكرية ، أُنب رسمياً لأنه غشّ في أحد الامتحانات.

وبعد شهرين من تخرجه أي في ١٩٣٩/٨/٦ بعث المقدم وكيل آمر منطقة الفرات كتاباً الى مقر لواء المشاة الثاني يذكر فيه انه تمت معاقبة « الملازم الثاني عبدالسلام محمد المنسوب للفوج الأول من لواثكم بقطع راتب يوم واحد لتشاجره مع أحد مفوضي الشرطة وكتابته كشفاً لا يتفق والنظام العسكري ».[١٩]

وفي هذا بعض الدلالة على سلوكه اللاحق مع خصومه. وفي سنة ١٩٤٢ عمل مدة قصيرة من الزمن في بغداد برتبة ملازم ثانٍ مسؤول عن حراسة سجن عسكري زُج فيه عدد من الضباط والجنود في أعقاب ثورة ١٩٤١ ، بعدها تم نقله الى وحدة أخرى في البصرة. . . وفي البصرة ، في سنة ١٩٤٢ التقى عارف وقاسم. . . لقد كان كل منهما يختلف عن الآخر اختلافاً جذرياً ، إن من حيث الطباع أو النزعات ، وقد بدا هذا جلياً واضحاً بعد ان استولى الأثنان على الحكم.

وعندما كان عبدالسلام عارف برتبة (نقيب) عام ١٩٤٦ تلقى من وزير الدفاع في حينه الكتاب التالي :

« ١ ــ تصلح لوظيفتك الحالية وتتمكن من انجاز واجبات وظيفية أعلى ، تعتني بمظهرك.

٢ ــ لا توجد لديك مزايا تجعلك فوق مستوى أقرانك. وسط في التتبع والحرص في اداء الواجب.

٣ ــ تخاف المسؤولية. وسط في التشبث والدقة بأداء واجبك. وسط في اعتنائك بجنودك.

٤ ــ وسط في القيادة والآمرة والتنظيم والادارة والتعليم والتعبية

والتدريب والنشاط والفروسية.

وعليه أطلب منك الاستمرار على الصفات الجيدة منها وتزييد كفاءتك في البعض الآخر ». [٢٠]

واعتبر عبدالسلام عارف فاشلاً لغشه في امتحانات الدراسة الاعدادية مما لا يجوز قبوله في القوات المسلحة لولا أن توسطت له كلية الأركان لدى وزارة المعارف معتبرة انه اشترك في حركات ١٩٤٨ في فلسطين فاعتبر ناجحاً بعد ان كتب العريضة التالية شارحاً فيها الموقف الى آمر كلية الأركان في حينه :

« أرفق لكم طياً كتاب مديرية معارف لواء كركوك المرقم (٥٢٠) والمؤرخ في ١٤/٢/١٩٤٩ والذي يقضي باعتباري ناجحاً بالدراسة الاعدادية. وبعد مرور هذه المدة الطويلة وانتسابي لهذه الكلية بعد نجاحي في امتحان القبول بلغت بكتاب مديرية معارف لواء كركوك المرقم ١٥٦٤ والمؤرخ ١٠/٥/١٩٤٩ والذي يقضي بإلغاء شهادتي ، وبنفس الوقت بلغني المساعد بوجوب اشتراكي في الامتحان الثانوي لهذا العام ، ولا يخفى عليكم تأثير ذلك عليّ فمَن ذا الذي يضمن نجاحي والامتحان بهذه المدة الوجيزة.

أرجو منكم النظر في قضيتي بعين العطف حفاظاً لمستقبلي وصيانة لحقوقي المكتسبة وتوسطكم لدى المراجع المختصة لرفع الحيف الذي يلحق بي.

التوقيع

الرئيس الأول عبدالسلام محمد

كلية الأركان الدورة/١٥ [٢١]

وكان هناك اختلاف في تقييم شخصية عارف وكفاءته العسكرية فقد اعترض اللواء الركن غازي الداغستاني قائد الفرقة الثالثة على التقييم الذي أدرجه الزعيم الركن ناظم الطبقجلي آمر لواء العشرين يوم ١٧ شباط ١٩٥٨ في التقرير السري السنوي حيث ذكر الطبقجلي في الفقرة (ك) من المادة (ثانياً) من التقرير عن عارف انه « يعتبر من آمري الوحدات الفعالة الجيدين. كفوء لقيادة لواء مشاة ، كفاءته بالتدريب والتعبية والتنظيم والادارة جيدة بل ومرضية ، يشتغل بحرص وباستمرار ، يحب وحدته ويتعاون مع وحدات اللواء بدرجة مرضية ، يؤثر نفسه على الغير وهي صفة بارزة فيه »[٢٢] فعقب اللواء الركن غازي الداغستاني بعد اطلاعه على التقرير لمصادقته يوم ١٩٥٨/٥/٨ بقوله « ضابط جيد ، قائم بواجباته بجدارة ، وان الجملة الأخيرة في (ك) من (ثانياً) غامضة إذ غير واضح ما إذا كان آمر اللواء (السابق) قد درجها على اعتبار إيثار النفس عند هذا الضابط هي في تحمل المشاق والعمل أمْ انها في الحصول على المنافع وكسب الراحة مع العلم اني أميل الى الشق الأول ».[٢٣]

كان عارف ذا شخصية واضحة غير مغلقة على ذاتها ، كما كان صريحاً في القول مفوهاً في الخطابة لكن معرفته بالشؤون العامة وتفهمه لها كان سطحياً ، هذه الخصال تختلف اختلافاً كلياً عن خصال قاسم ومزاياه ، كان قاسم ذا شخصية منغلقة منطوية على ذاتها ، كما كان هادئاً ، متحفظاً ، غير مفوه ، يتلعثم في كلامه ويتعثر ، وهكذا يمكن القول ان خصال الواحد منهما كانت مكملة لخصال الآخر ، أما ما ساعد على إيجاد الانسجام فعاملان : الفرق في السن والفرق في الرتبة العسكرية ، فقد كان قاسم أكبر من عارف سناً وأعلى رتبة ، وكان من مصلحة عارف أن يؤاخي رئيسه ويصادقه فكان كثيراً ما يدعوه الى بيته ، كان قاسم أعزب يرتاح الى عشرة المتزوج الذي عنده أولاد كُثر ، كما كان يستهويه الشاب الذي يكثر الكلام ويحسنه ، ولابد أن يكون قاسم قد لحظ سذاجة عارف ، ورأى انه ليس

من العسير ترويض تابعه والسيطرة عليه.[٢٤]

ولقد ورث عبدالسلام عارف عقدة اضطهاد فظيعة منذ أيام قاسم ، فيذكر عارف ان قاسم كان في بداية صداقتهما « يحاول أن يبرز لي احساسه الوطني ، ويحاول أن يفيض في الكلام عن شعوره بالظلم الذي يجعله لا يذوق النوم أياماً ، ويومها أحسنت اليه ووثقت في الرجل ، رغم ما كان يشاع عن اتجاهاته وخلقه . . ».[٢٥]

وكان يأمل من قاسم ان يقدمه للناس على انه هو الذي شاركه مشاركة فعلية وفعالة في تنفيذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ لكن قاسم لم يفعل ، فتضخمت العقدة التي يكشف عنها الحوار الثاري الذي جرى بين عارف وقاسم قبيل اعدام الأخير بلحظات ، فقد انشغل عارف بالحصول على الاعتراف الذي يتمناه من قاسم بانه الذي صنع الثورة وانه الذي أعد بيانها الأول وكما يلي :

« أمسكت المصحف الكريم وقلت : للحقيقة والتاريخ أقسم انني نظمت البيان الأول لثورة ١٤ تموز وقد اطلع عليه عبدالكريم قاسم. وعلى ما أذكر بعد الاطلاع ، وعسى ألا أكون مخطئاً ، قد منا أو أخرنا كلمة واحدة. . وهذا البيان هو النسخة الأصلية ولا يملك قاسم أي مسودة. . والله ينتقم مني وأنا صائم إذا كنت كاذباً بالقرآن الكريم. . ».[٢٦]

إن تلك المشكلة التي كانت في جوهرها طموح عبدالسلام عارف الى السلطة وتشبث عبدالكريم قاسم بها تجلت فيما ذكره عبدالسلام عارف أكثر من مرة حول مسألتين الأولى كتابة البيان الأول كما أشرنا والثانية وصول قاسم الى بغداد وكما يلي :

١ ــ « كان الوقت ما زال قبل منتصف الليل ، قمت الى أوراقي وأعددت صياغة البيان الأول للثورة الذي سيذاع فور احتلال الاذاعة وراجعت القوائم التي أعددناها بأسماء الذين تقرر عزلهم أو اعتقالهم ».[٢٧]

٢ ـ « جاءت الساعة الثانية عشرة ظهراً فإذا بعبدالكريم قاسم يصل بغداد ويحضر الى مبنى الاذاعة بعد ان تأكد له نجاح الثورة وسقوط الخونة ، جاء ليهنىء بالثورة وبجهودي وجهود الضباط التي أدت الى نجاحها » .[٢٨]

وتلك العقدة هي التي دفعت عارف لأن ينافس قاسم في تأكيد ذاته محاولاً أن يختطف الأضواء عنه ، فكان يتحدث عبر جولاته الميدانية متجاهلاً قاسم كما تجاهله ويذكر عارف تلك الحقيقة فيقول « عندما عدت من إحدى جولاتي ، كانت بداية الخلاف مع عبدالكريم قاسم وقد حاول أن يدفع بعض الضباط المقربين اليه ليسألوني لماذا لا تمجد الزعيم ولماذا لا تذكر اسمه في خطاباتك ؟! وكان ردي عليهم . ان هذه الثورة ليست ثورة قاسم » .[٢٩]

ولما كانت الأضواء هي كل ذخيرة قاسم في معركته للبقاء على دفة السلطة ، فسرعان ما نكل به حين أصدر حكماً بإعدامه بتاريخ ١٩٥٩/٢/٧ مع الإيصاء بالرأفة به .

وأرسل بتاريخ ١٩٥٩/٢/٧ الى سجن بغداد بموجب مذكرة المحكمة العسكرية العليا الخاصة الرقم ١٢ في ٧/ ٢/ ١٩٥٩ .[٣٠]

وجاء في خلاصة القضية الملحقة بقرار التجريم ما يلي :

« قام المتهم عبدالسلام عارف بعد ثورة ١٤ تموز بالدعاية لنفسه متناسياً زعيمه في خطبه والتفت حوله فئة ظالمة لخدمة مآربها ومتبنياً أفكارها ، فحدث انشقاق وبلبلة في صفوف الشعب والجيش وحدثت بعد ذلك بعض المؤامرات من الأفراد الموالين له كما انه أقدم على اغتيال الزعيم اللواء الركن عبدالكريم قاسم وعاد المتهم من بون دون أن يستأذن من الزعيم بذلك غير مقدر مصلحة الوطن في ذلك الظرف الخطير.

إجراءات المحكمة : استمعت المحكمة الى مطالعة هيئة الادعاء العام ثم سألت المحكمة المتهم عما جاء في قرار الإتهام فأجاب انه بريء ثم استمعت

المحكمة الى شهادات الشهود التالية أسماءهم : الزعيم المتقاعد فؤاد عارف والزعيم الركن محيي الدين عبدالحميد والعقيد الركن عبدالكريم الجدة والعقيد رفعت الحاج سري والزعيم عبدالوهاب أمين والعقيد وصفي طاهر والرئيس الأول الركن صبحي عبدالحميد والرئيس الأول الركن عبدالستار عبداللطيف والمقدم عبدالغني عبدالستار والأستاذ علي حيدر سليمان والرئيس محفوظ أحمد شوكة والمقدم ابراهيم عبدالرحمن الشيخلي والملازم الأول عباس رشيد العاملي والمفوض صلاح الدين حميد وشاكر محمود وعبدالرحمن البزاز والرئيس عمر فاروق وعبدالرحمن أحمد السامرائي والزعيم الركن ناجي طالب واللواء الطبيب محمد الشواف والزعيم الركن عبدالعزيز العقيلي والعقيد طاهر يحيى والعقيد نعمان ماهر والزعيم الركن ناظم الطبقجلي والزعيم الركن أحمد صالح العبدي والزعيم الركن خليل سعيد والطيار جاويد عمر والمقدم وجيه عبدالرحمن والرئيس الأول الركن سليم الفخري والعقيد عادل جلال والملازم فالح الناصري والملازم الأول محمود فرج والملازم الأول شهاب أحمد.

ثم استمعت المحكمة الى افادة المتهم والى دفاع المحامي وأعلنت ختام المرافعة وحيث ان المحكمة مخولة لمحاكمته عن جميع الوقائع فقد وجهت اليه التهمة وفق المادة (١١) من مرسوم الادارة العرفية وناقشته حولها واستمع الى دفاع المحامي بشأنها ثم أعلن عن ختام المرافعة للمرة الثانية.

واتضح للمحكمة من مجموع الأدلة والشهادات ما يلي :

أولاً : لم يكن المتهم العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف من الضباط الأوائل الذين تبنوا فكرة الثورة ولكن الزعيم عبدالكريم قاسم هو الذي تقدم بطلب انضمامه الى جماعته فقد حصل الاتفاق بوجوب وضعه تحت التجربة لمدة ما لعدم الاطمئنان اليه على ما يظهر وان عبدالكريم قاسم كان يلح كثيراً بالحاقه بهم بالرغم من صدور القرار بعدم الحاقة ونتيجة لتعهده أقسم المتهم اليمين حوالي نيسان ١٩٥٧ وصار مع أخوانه وساهم في الثورة معهم.

ثانياً : كانت الخطة الخاصة للقيام بثورة ١٤ تموز الخالدة هي من وضع الزعيم عبدالكريم قاسم دون سواه ، وان واجب المتهم في الخطة هو عزل مقر لواء العشرين ومن ثم قيادة اللواء المذكور بصفته أقدم ضابط والحضور الى دار الاذاعة والبقاء فيها لقراءة بيانات كُتبت من قبل عبدالكريم قاسم وكانت معه سرية بإمرته أمرها بالمحافظة على دار الاذاعة عند قراءة البيانات في صبيحة ١٤ تموز الخالد.

ثالثاً : عُهدت الى المتهم نيابة رئاسة الوزراء ونائب القائد العام للقوات المسلحة ووزارة الداخلية بالوكالة وحينما طولب بتأليف مجلس قيادة الثورة تردد في ذلك وتلكأ بينما كان الواجب يقضي بتأليف هذا المجلس لأن تأليف المجلس بند من بنود الثورة ولو تم تشكيل المجلس لحد من تصرفات المتهم.

رابعاً : انحاز عبدالسلام عارف الى فئة معينة بالرغم من ان مقررات ميثاق الثورة تشير الى عدم الانحياز الى أي حزب أو جهة وقد تبنت جريدة الجمهورية انحياز المتهم الى تلك الفئة ، فكانت تصدر صور المتهم واضحة وبالصفحات الأولى وأكبر من صور الزعيم عبدالكريم قاسم ، كما ان المتهم أهمل ذكر اسم الزعيم في خطبه وأخذ يدعو لنفسه مما دعى بعض المخلصين الحريصين على وحدة الصف على إرشاده وتوجيه النصح له ولكن ظهر ان البلبلة قد استفحلت وشقت الصف وقد ازدادت فأُعفي من منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة ثم الى اجراء التعديل الوزاري وتعيينه سفيراً في بون.

خامساً : رفض المتهم المذكور السفر الى بون بالرغم من الجهود التي بُذلت من قبل المخلصين لاقناعه بقبوله فكرة السفر وذلك حرصاً على المصلحة العامة وحينما انفرد به بمقره وكان الزعيم المتقاعد فؤاد عارف متشاغل في جانب من الغرفة استغل الموما اليه انشغاله في التفتيش عن أوراق موضوعة تحت

ساعة على المنضدة فمد يده على مسدسه خلسة فسارع الزعيم عبدالكريم قاسم بعد ان لمحه صدفة ومسك يده وصرخ في وجهه ماذا تريد أن تعمل ، فأجابه انني لا أريد قتلك بل أريد أن أنتحر ، فرد عليه لماذا لم تنتحر في بيتك وعلى اثر ذلك همَّ فؤاد عارف وانتزع المسدس من يد المتهم وأفرغ اطلاقاته وحضر على اثـر الحادثـة الزعيم الـركن محيي الدين عبـدالحميد والعقيـد عبدالكريم الجدة.

سادساً : ثم سافر المتهم الى بون على أن يعود بموافقة الزعيم بعـد ثلاثـة أسابيـع ولم يبدو من تصرفاته بانه يريد البقاء بمنصبه كسفير في بون فـأرسل بـرقية مؤرخـة في ١٩٥٨/١٠/٣٠ يعلن فيها رغبتـه في العودة الى العـراق مدة قصيرة فكان جواب الزعيم ان الموقف بـالوقت الحـاضر يقضي بـذهابـه الى بون وبعد مدة يخبرنا برأيه فلم يمتثل للأمر بالرغم من تبليغه به وتوجه الى العـراق على مسؤوليتـه في منتصف ليلة ٣ ــ ٤ تشرين الثـاني ١٩٥٨ في الطائرة العراقية راغباً في إخفاء شخصيته فوصـل بغداد في صبـاح يوم ١٩٥٨/١١/٤.

سابعاً : كانت قد راجت إشاعات كثيرة في بغداد حول عودة المتهم وان أحداث هامة ستحدث يوم ١٩٥٨/١١/٥ وكانت تلك الاشاعات بشكل تهـدد وحدة الصف وتبعث القلق في النفوس فقد يستفيد منها ذوي النوايا السيئة تجاه الجمهورية ، وعند وصول المتهم صباح يوم ١٩٥٨/١١/٤ استقل سيارة أجرة وذهب الى بيته دون أن يتصل بأحد ثم استدعاه الزعيم لمواجهته وأذيع البيان باعتقاله ثم قامت مظاهرة ببغداد تقدر بمليون نسمة من جميع أنحاء العراق تأييداً لموقف الزعيم عبدالكريم قاسم ولسياسته الحكيمة.

ثامناً : وعلى اثر أحداث البلبلة في صفوف الشعب حدثت بعض المؤامرات سواء كانت في صفوف الجيش أو الشعب وحدثت بعض التكتلات وكانت تلك

المؤامرات والتكتلات ضد مصلحة الشعب وضد النظام الجمهوري وتستخلص المحكمة من سير الوقائع ما يلي :

آ : إن المتهم عبدالسلام عارف لم يلتف حول زعيمه كما تقتضي الأخوة التي تعاهدا عليها لصالح الجمهورية وقد خرج عن مبادىء الثورة وأوجد البلبلة واستغلته فئة ظالمة لخدمة مآربها وأوجدوا في الالتفاف نحوه تحقيقاً لأهدافهم الخاصة لذلك حيكت المؤامرة ضد مصلحة الجمهورية وبالرغم من ان هذه الفئة معروفة بموالاتها للمتهم إلا انه لم يتأيد للمحكمة بالدليل القاطع من اتصاله بتلك الفئات أو ترأسه لها لغرض استعمال القوة الظاهرة ضد الجمهورية العراقية لذلك قررت المحكمة براءته من التهمة المسندة اليه بموجب المادة ٨٠ ق.ع.ب.

ب : إن المتهم عبدالسلام عارف أراد اغتيال الزعيم اللواء الركن عبدالكريم قاسم ولولا يقظته لحلت النكبة العظمى لا سمح الله في هذا الكيان الجمهوري الديمقراطي ويتجلى هول الجريمة ان الزعيم رجل عظيم جاد به الزمان على العراق والعالم العربي والعالم ، ليكون قائداً من قادة الديمقراطية والحرية والسلام بما يتميز به من عبقرية ونبوغ وذكاء وشجاعة وطيبة قلب وحب للمواطنين على اختلاف مللهم ونحلهم موحداً صفوفهم جامعاً كلمتهم تحت لواء الجمهورية وتتجلى فظاعة الجريمة انها ترتكب من قبل المتهم وقد كان أخاً حميماً وصديقاً معروفاً للزعيم الذي يمثل في ظروف هذه الثورة الحكومة بكاملها ويجمع في شخصه سلطات كثيرة فهو زعيم الأمة وقائد القوات المسلحة ورئيس الوزراء ووزير الدفاع لذلك تحققت أركان المادة ١١ من مرسوم الادارة العرفية وبدلالة الفقرة السادسة من المادة ٢١٤ / ٦٠ ق.ع.ب. بحقه ، وقررت المحكمة تجريمه بموجبها.

جـ : لم تهمل المحكمة موقف المتهم عبدالسلام عارف من ثورة ١٤ تموز الخالدة واندفاعه الشديد وتحمسه لتقويض النظام الملكي الفاسد لذلك تتقدم المحكمة للزعيم عبدالكريم قاسم بالرأفة به فهو الذي يملك تلك الرأفة دون سواه والمتضمنة تخفيف العقوبة عملاً بأحكام المادة ٢٠ من قانون معاقبة المتآمرين وصدر القرار باتفاق الآراء وأُفهم علناً.

العقيد
فاضل عباس المهداوي
رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة[٣١]

ولعل الغريب في أمر قاسم الصديق اللدود لعارف انه نسي تقييمه الأول لعبدالسلام عارف ، حيث لم يكن هناك ما يتنافسان عليه ، وبغية تسليط المزيد من الأضواء على شخصيتيهما ندرج هنا ما كتبه عبدالكريم قاسم يوم ١٩٥٦/١/١٩ في التقرير السري السنوي مادحاً صديقه بما يلي :

« يمتاز هذا الضابط (مقدم ركن فـ٣ ل ١٩) بالتشبث والحرص الزائد وهو مخلص في اداء واجباته وأعماله ، معلوماته وأخلاقه جيدة جداً وهو يسعى لرفع مستوى فوجه دائماً وعلى العموم فهو ضابط ممتاز لبق ولائق لاشتغال منصب آمر فوج ويستحق التقدير . . »[٣٢] وقد علق قائد الفرقة الثالثة في حينه وعلى نفس التقرير

بما يلي :

« آمر وحدة جيد كما وصف الآمر ولكن نظرته الى ضباطه نظرة (نجمية) أي أذا اتفق نجمه مع الضابط رضى عنه وإلا فلا . . » .[٣٣]

ولم يغير الزعيم الركن عبدالكريم قاسم آمر اللواء التاسع عشر رأيه بالعقيد الركن عبدالسلام عارف آمر الفوج الثالث قبل الثورة بأشهر فقد كتب في التقرير السري السنوي في ١٩٥٧/٢/٥ ما نصه :

« هذا الضابط آمر وحدة مستقيم يعمل لصالح وحدته وبحرص زائد ويتحمل المشاق والصعوبات ، مخلص في واجباته وتقوى عزيمته عند حراجة الموقف وتزداد معنوياته ، يوثق به ويعتمد عليه وهو ضابط مؤمن معلوماته جيدة جداً . . » .[٣٤]

غير ان عبدالسلام عارف لم يكن بالصورة التي رسمها عنه قاسم ، ففي الانتكاسة التي تعرض لها على يد قاسم لم تشتد عزيمته عند حراجة الموقف ولم تزدد معنوياته ، بل قبع في داره بلا حول ولا قوة ، ويذكر الدكتور محمد حسين الزبيدي انه زار عبدالسلام عارف في داره بالصليخ وسأله :

« كيف تم إبعادك بهذه الطريقة التي لا ترضي أحداً ، قال عبدالسلام : لا أدري ؛ فقلت له : كيف لا تدري ونحن نعلم بأنك سوف تقال من مناصبك . . فقال عبدالسلام : كنت في ذلك اليوم في اجتماع مع عبدالكريم قاسم في وزارة الدفاع وعند انتهاء الاجتماع غادرت غرفته ذاهباً الى البيت وعندما جئت لأركب سيارتي وإذا بالسائق يخبرني بأن بياناً أُذيع من دار الاذاعة بإعفائي من منصبي نائب القائد العام للقوات المسلحة ، فرجعت الى عبدالكريم قاسم مستفسراً ومستفهماً عن صحة ما أُذيع بخصوص اعفائي من منصب نائب العام للقوات المسلحة فأخذ يعتذر ويقبّلني في وجهي ويقول : اني واقع تحت ضغط الفرق

وان قادة الفرق يريدون ذلك وأخذ يبكي . ». [٣٥]

وظل بعد خروجه من السجن ، ملازماً داره ، حتى جاء مَن يطلبه في صبيحة ١٤ رمضان ١٩٦٣ للحضور الى الاذاعة كما أسلفنا ، غير ان عبدالسلام عارف ادعى ما ليس له ، فقد أصدر قراراً اعتبر ان ما قام به في ثورة ١٤ رمضان من الأعمال الباهرة التي يستحق عليها التكريم ، ونفذ القرار في ٢٠ شباط ١٩٦٣ أي بعد الثورة بأيام معدودة وهذا نصه :

« بناءاً على ما أبداه العقيد عبدالسلام محمد عارف بالخدمة الجليلة للبلاد والأمة العربية في ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ والتي أطاحت بالحكم الملكي الفاسد وكان هدفها تحرير الشعب من العبودية والاستعمار وحيث ان اعفاءه من منصب معاون القائد العام للقوات المسلحة بموجب المرسوم الجمهوري المرقم ٢٧٤ والمؤرخ في ١٩٥٨/٩/١١ كان اجراء غير قانوني الأمر الذي أدى الى عدم تمتعه بحقوقه القانونية من قِدم وترفيع ، ونظراً لما قام به من عمل باهر في ثورة الرابع عشر من رمضان سنة ١٣٨٢ هـ الموافق للثامن من شباط ١٩٦٣ مما أدى الى القضاء على الحكم الدكتاتوري الشعوبي وإعادة الحق الى نصابه ولشموله بأحكام القرار الاستثنائي المرقم (١) والمؤرخ في ١٢ شباط ١٩٦٣ فقد قرر المجلس الوطني لقيادة الثورة ما يلي :

أولاً : الغاء المرسوم الجمهوري المرقم ٢٧٤ والمؤرخ في ١٩٥٨/٩/١١ الخاص بإعفاء العقيد الركن عبدالسلام محمد عارف من منصب معاون القائد العام للقوات المسلحة في حينه .

ثانياً : منحه رتبة مشير ركن اعتباراً من ١٩٦٣/٣/٨ .

ثالثاً : اعتبار الفترة الواقعة بين ١٩٥٨/٩/١١ و١٩٦٣/٢/٨ خدمة له لغرض أحكام قانون خدمة الضباط وقانون التقاعد العسكري . . ». [٣٦]

أما الجانب الحزبي في حياة عبدالسلام عارف فلم يتفق مع طباعه فقد كان

عبدالسلام عارف من ذوي النشأة المحافظة المغلقة بطابع ديني طائفي والتي يميل الشخص فيها الى التصلب النابع من تأثيرات البيئة وليس من التقوى والورع الديني الواعي[٣٧] ولذلك جاء عدم ارتياحه للظاهرة الحزبية.

وهذا يلتقي مع ما يراه بعض السياسيين من ان معارضة الأحزاب في البلاد المتخلفة تأتي من ثلاثة مصادر هي ، القوى المحافظة وقوى الادارة وأصحاب الاتجاهات الشعبية.[٣٨] فالمعارض المحافظ للأحزاب يعتقد ان البناء الاجتماعي القائم يكفي لربط الشعب بالحكومة ، والمعارض الاداري يرى ان البناء البيروقراطي يلبي تلك الاحتياجات ، أما المعارض « الشعبي » فهو ينكر الحاجة الى أي بناء يقع بين الشعب والقادة السياسيين ، انه يريد ديمقراطية لا حزبية وهكذا يرى « المحافظ » في الحزب تحدياً للتسلسل الاجتماعي القائم و « الاداري » يرى فيه تهديداً للحكم الرشيد ، في حين يرى الشعبيون فيه عقبة أمام التعبير عن الارادة العامة.[٣٩]

ورغم ان الكثير من الآراء قد قيلت عن شخصية عارف فان أكثرها صراحة وجرأة تلك التي ذكرها الفريق الركن علاء الدين الجنابي من ان « عبدالسلام عارف لم يكن وحدوياً ولا قومياً ولا ناصرياً ، وانني أؤيد ان عبدالسلام عارف هو أسوأ من عبدالكريم قاسم ». ويقول أيضاً « قال لي جاسم العزاوي وهو سكرتير عبدالكريم قاسم ، بعد فترة من قيام الثورة ، أرجو أن تنبه فؤاد الركابي بان عبدالسلام عارف لا قومي ولا وحدوي ، عبدالسلام عارف يريد ان يركب الموجة القومية الوحدوية وراح يستغل حزب البعث العربي الاشتراكي وبعدين يضربه فتنبهوا من ذلك.. ».[٤٠]

وفعلا حدث ما توقعه جاسم العزاوي آنذاك ، حيث أُتيحت لعارف فرصة تنفيذ الردة على الحزب الذي أتى به الى السلطة في ردة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ وبقي عارف في السلطة حتى مساء الأربعاء ١٣/٤/١٩٦٦ حيث لاقى حتفه في حادث

تحطم طائرة. ففي الساعة السابعة إلا عشر دقائق من مساء الأربعاء ١٣/٤/١٩٦٦ غادرت أرض ملعب الادارة المحلية في القرنة ثلاث طائرات أقلت إحداها عارف ومن معه، وفي صباح يوم ١٤/٤/١٩٦٦ تم العثور على طائرته في منطقة قريبة من قرية النشوة على شط العرب.. [٤١]

وقد أيدت مديرية الادارة في رئاسة أركان الجيش في كتابها الموجه الى مديرية التقاعد العامة مصرع عدد من المسؤولين الى جانب المشير الركن عبدالسلام محمد عارف فأدرجت أسماء كلاً من اللواء المتقاعد عبداللطيف الدراجي وزير الداخلية والعميد الركن المتقاعد عبدالهادي الحافظ وكيل وزارة الصناعة والعميد المتقاعد جهاد أحمد فخري المدير العام لمصلحة الكهرباء الوطنية والعميد زاهد محمد صالح المرافق الأقدم لرئيس الجمهورية والرائد عبدالله مجيد سكرتير عام ديوان رئاسة الجمهورية والنقيب الطيار خالد محمد نوري ونائب الضابط الفني كريم مجيد ونائب الضابط الفني محمد كريم. [٤٢]

الفترة العارفية الثانية :

في اليوم التالي لوفاة عبدالسلام عارف ، أصدر عبدالرحمن البزاز بياناً الى الشعب العراقي أعلن فيه عن حادث الوفاة وتولى بموجب الدستور سلطات رئيس الجمهورية مؤقتاً.

وأجري تحقيق في الحادث غير ان أحداً لم يتهم به ، إنما فُسر سقوط الطائرة لاحتمال تصاعد عاصفة ترابية صغيرة اثر إقلاع الطائرة مما أربك الطيار في الظلام فأدى الى تحطيمها.

كان المجلس الوطني لقيادة الثورة الذي أشرنا اليه في فصل سابق قد ألغي ،

فعقد اجتماع مشترك لمجلس الدفاع الوطني ومجلس الوزراء يوم ١٦ نيسان ١٩٦٦ ، وقد تركزت المحادثات التمهيدية في هل يجب انتخاب مرشح مدني أمْ عسكري ، واقترح العسكريون ترشيح اثنين منهم لاختيار أحدهما ، ورفض المدنيون الاقتراح واقترحوا ترشيح مدني وآخر عسكري غير ان العسكريين اخفقوا في الاتفاق على مرشح واحد ، وعندما عقدت الجلسة النهائية في ١٧ نيسان ، رشح الزعيم عبدالرحمن عارف والزعيم عبدالعزيز العقيلي وكان البزاز هو المرشح المدني على الرغم من انه كان واضحاً انه لا يصر على ترشيح نفسه ضد عسكري. ولم يحصل أي من المرشحين الثلاثة خلال الاقتراع الأول على أكثرية الثلثين المطلوبة ، فصوت المدنيون في الاقتراع الثاني الى جانب عبدالرحمن عارف.[٤٣]

في ١٨ نيسان (ابريل) ١٩٦٦ شكل البزاز وزارة جديدة لم ينضم اليها إلا ثلاثة من أعضاء الوزارة السابقة ، ولم تكن مهمة البزاز سهلة هذه المرة ، فالعسكريون الذين تمت السيطرة عليهم في عهد الرئيس السابق ، جددوا ضغطهم في العهد الجديد المتسامح ، وكان اعلان عبدالرحمن البزاز بأنه سينتهج السياسة ذاتها التي تبنتها وزارته الأولى ، ان أثار العسكريين ، فبدأوا يهاجمون بيانه الوزاري علانية أمام الجمهور.[٤٤]

وتوافق ذلك مع عودة عارف عبدالرزاق سراً من القاهرة الى بغداد بغية الاستيلاء على السلطة بقوة السلاح ، وتم له تنفيذ ذلك يوم ٢٩ -حزيران ١٩٦٦ معتمداً على المطار العسكري في الموصل ومعسكري أبو غريب والتاجي في بغداد.

وأفلح عبدالرزاق في إرسال خمس طائرات للاغارة على مواقع عسكرية في بغداد كما تحرك مؤيدوه للسيطرة على أبو غريب والتاجي ، ويبدو ان عبدالرحمن عارف والبزاز كانا على علم بالأمر ، فقد قام الحرس الجمهوري وبعض الضباط الموالين لهما في الموصل بإحباط الانقلاب واعتقال عبدالرزاق.[٤٥]

لقد كانت تلك الانقلابات سمة ذلك العصر ، وكان الشعب العراقي الذي

سئم تلك الظاهرة ، يتطلع بتذمر الى القلة التي تتصارع على السلطة ، بينما كانت كل فئة مغامرة تصف أعمالها بأنها قامت من أجل الشعب وحظت بتأييده.

وعاد العسكريون ، للضغط باتجاه تنحية رئيس الوزراء ، فاستقال في ١٦ آب ليقوم الزعيم ناجي طالب بتأليف الوزارة التي استمرت في الحكم حتى ١٠ أيار (مايو) ١٩٦٧[٤٦] ثم واجه ناجي طالب ورجب عبدالمجيد نائب رئيس الوزراء أزمة مالية خطيرة بسبب خلاف الحكومة السورية مع شركة نفط العراق مما أشاع قلقاً عاماً اضطر على أثره الى الاستقالة.

وللتنافس الشديد بين المجموعات التي رغبت باستقالة الوزارة القديمة لم يتفق على مرشح معين فقرر الرئيس عبدالرحمن عارف في ١٠ أيار الى تأليف وزارة ائتلافية ، أصبح فيها رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزراء.

وواجهت هذه الحكومة أزمة لم تكن متوقعة هي هجوم (إسرائيل) على مصر والأردن وسوريا فحولت الاهتمام من الشؤون الداخلية الى الشؤون الخارجية ، التي لم يكن عبدالرحمن عارف يوليها اهتماماً ، مما جعل عارف يتخلى عن رئاسة الوزارة الى طاهر يحيى وتخفيض عدد الوزراء الى سبعة[٤٧] غير ان حكومة طاهر يحيى لم تتمكن أمام المشكلات العديدة التي واجهتها من اقامة نظام حكم دائم ، اضافة الى ان حكومته أصبحت في نظر الناس حكومة ضعيفة ممقوتة ، فسقطت حكومته بثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ ، بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي الذي كان قد فقد السلطة في ردة ١٨ تشرين الثاني واعتبر ان مغتصبي السلطة هم « أكثر القوى يمينية ودكتاتورية وتخلفاً من ١٤ تموز ١٩٥٨ ، وأكثرها ميلاً الى مهادنة الاستعمار وفتح المنافذ للتسلل الرجعي ومعاداة الديمقراطية والأفكار والتطبيقات التقدمية »[٤٨] ونتيجة لذلك تعرضت كل الانجازات التي حققتها ثورتي ١٤ تموز ١٩٥٨ و٨ شباط ١٩٦٣ « للتهديد والالتفاف والتراجع والتشويه كما تعرضت الجماهير وقواها التقدمية وفي طليعتها حزب البعث العربي الاشتراكي الى شتى صنوف الارهاب والتنكيل . . ».[٤٩]

(١) تألفت الوزارة على الشكل التالي : الفريق طاهر يحيى رئيساً للوزراء ، الزعيم حردان التكريتي للدفاع ، العقيد عبدالكريم فرحان للارشاد ، الزعيم رشيد مصلح للداخلية ، المقدم صبحي عبدالحميد للخارجية ، اللواء محمود شيت خطاب للشؤون البلدية والقروية ، المقدم عبدالستار عبداللطيف للمواصلات ، عبدالكريم علي للتخطيط ، عبدالعزيز الوتاري للنفط ، عبدالكريم هاني للعمل والشؤون الاجتماعية ، أحمد عبدالستار الجواري للتربية ، محمد جواد العبوسي للمالية ، كامل الخطيب للعدل ، عزة مصطفى للصحة ، عبدالعزيز الحافظ للاقتصاد ، العقيد الطيار عارف عبدالرزاق للزراعة ، عبدالفتاح الآلوسي للاسكان والأشغال العامة ، عبدالصاحب علوان للاصلاح الزراعي ، شامل السامرائي وزير دولة لشؤون الوحدة ، عبدالكريم كمونة للصناعة ومصلح النقشبندي وزير دولة. وعدلت الوزارة في ٣١ كانون الثاني (يناير) فعين رشيد مصلح وزيراً للصحة خلفاً لعزة مصطفى ، وأصبح عبدالرزاق محيي الدين وزير دولة لشؤون الوحدة. وفي أول آذار أعفي الزعيم حردان التكريتي من منصبه كوزير للدفاع وتولى رئيس الوزراء المنصب بالوكالة. وفي ٢٧ آذار (مارس) حل العقيد عبدالغني الراوي محل الزعيم عارف عبدالرزاق كوزير للزراعة ، وأصبح عارف عبدالرزاق قائداً للقوة الجوية. وفي ١٨ حزيران (يونيو) شكل طاهر يحيى وزارة جديدة أحدث فيها التغييرات التالية : حل عبدالمجيد سعيد محل الجواري في منصب وزير التربية وتولي العبوسي وزارة التخطيط بالاضافة الى وزارة المالية. وحل عبدالمحسن زلزلة محل كمونة كوزير للصناعة وحل محسن حسين الحبيب محل عبدالستار عبداللطيف في وزارة المواصلات بينما حل اسماعيل مصطفى محل اللواء محمود شيت خطاب كوزير للشؤون البلدية والقروية وأصبح مسعود محمد وزيراً للدولة.

(٢) مجيد خدوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩٦.

(٣) مجيد خدوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩٥.

(٤) وهم : الفريق طاهر يحيى رئيس الوزراء ووكيل وزير الدفاع والعميد رشيد مصلح وزير الداخلية والحاكم العسكري العام واللواء عبدالرحمن محمد عارف وكيل رئيس أركان الجيش والعميد الركن طه محمد أمين قائد الفرقة الأولى والعميد الركن ابراهيم فيصل الأنصاري قائد الفرقة الثانية والعميد الركن محمود عريم قائد الفرقة الثالثة والعميد الركن سعيد قطان قائد الفرقة الرابعة والعميد صديق مصطفى قائد الفرقة الخامسة والعميد الركن عارف عبدالرزاق

قائد القوة الجوية والعقيد الركن محمد مجيد معاون رئيس أركان الجيش والمقدم الركن هادي خماس مدير الاستخبارات العسكرية والعقيد سعيد صليبي قائد موقع بغداد ــ الاضبارة الشخصية لعبدالسلام عارف ــ ملفات ووثائق وزارة الدفاع.

(٥) مجيد خدوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩٨.

(٦) كانت الضغوط من كتلة عارف عبدالرزاق بمعرفة عبدالسلام عارف ، المصدر السابق ، ص ٣٢٣.

(٧) المصدر السابق ، ص ٣٢٣.

(٨) تألفت الوزارة من: عارف عبدالرزاق رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع بالوكالة وعبدالرحمن البزاز نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية ووزيراً للنفط ، وسلمان عبدالرزاق الأسود للمالية وعبداللطيف الدراجي للداخلية ، وخضر عبدالغفور للتربية ، وجمال عمر نظمي للعمل والشؤون الاجتماعية ، وعبداللطيف البدري للصحة ومحمد ناصر للثقافة والارشاد ، واسماعيل مصطفى للمواصلات ووزيراً للشؤون البلدية والقروية بالوكالة ، وعبدالرحمن محمد القيسي للاصلاح الزراعي ووزيراً للأوقاف بالوكالة وجعفر العلوي للاشغال والاسكان وشكري صالح زكي للاقتصاد ومصطفى عبدالله للصناعة ووزيراً للتخطيط بالوكالة وعبدالرزاق محيي الدين لشؤون الوحدة ، وأكرم الجاف للزراعة وحسين محمد السعيد للعدل وسلمان الصفواني وزيراً للدولة.

(٩) وهم عبدالرحمن عارف ــ شقيق عبدالسلام ــ رئيس الأركان وسعيد صليبي وحميد قادر ، وتمكن عبدالرزاق عارف من الهرب الى القاهرة بطائرة عسكرية.

(١٠) مجيد خدوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٠.

(١١) المصدر السابق ، ص ٣٠٢.

(١٢) المصدر السابق ، ص ٣٠٧.

(١٣) المصدر السابق ، ص ٣٠٧.

(١٤) المصدر السابق ، ص ٣١١.

(١٥) صدرت في ١٤ تموز ١٩٦٤ خمسة قرارات تقضي بتأميم المصارف والصناعات وإنشاء الاتحاد الاشتراكي العراقي.

(١٦) مجيد خدوي ، مصدر سبق ذكره ، ٣٤٢.

(١٧) الاضبارة الشخصية لعبدالسلام عارف ــ من وثائق وزارة الدفاع.

(١٨) المصدر السابق.

(١٩) المصدر السابق.

(٢٠) المصدر السابق.

(٢١) المصدر السابق.
(٢٢) المصدر السابق.
(٢٣) المصدر السابق.
(٢٤) مجيد خدوري، مصدر سبق ذكره، ص ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩.
(٢٥) مذكرات عبدالسلام عارف، مصدر سبق ذكره، ص ٣٠.
(٢٦) أحمد فوزي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٢٧.
(٢٧) مذكرات، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣.
(٢٨) المصدر السابق، ص ٥١.
(٢٩) المصدر السابق، ص ٥٦.
(٣٠) نص المذكرة الموقعة من العقيد فاضل عباس المهداوي: «اسم المحكوم: عبدالسلام محمد عارف، جنسيته: عراقي، محل الاقامة: الأعظمية، صنعته: ضابط متقاعد. عمره ٣٧ سنة، عدد الدعوى: ١٩٥٨/٧٥، تاريخ التوقيف: ١٩٥٨/١١/٥، تاريخ الحكم: ١٩٥٩/٢/٥، المواد القانونية: المادة (١١) من مرسوم الادارة العرفية وبدلالة الفقرة السادسة من المادة ٦٠/٢١٤ ق.ع.ب والمادة (٨٠) ق.ع.ب. خلاصة الحكم: حكمت المحكمة العسكرية العليا الخاصة على المجرم العقيد الركن المتقاعد عبدالسلام محمد عارف:
١ ــ بالاعدام شنقاً حتى الموت وفقاً للمادة (١١) من مرسوم الادارة العرفية وبدلالة الفقرة السادسة من المادة ٦٠/٢١٤ ق.ع.ب.
٢ ــ الايصاء بالرأفة به استناداً للمادة (٢٠) من قانون معاقبة المتآمرين.
٣ ــ براءته من التهمة المسندة اليه بموجب المادة (٨٠) من ق.ع.ب. استناداً الى أحكام المادة (١٦٠) الأصولية.
٤ ــ ويطرده من الجيش وفق المادة (٣٠) من قانون العقوبات العسكري قد حكمت المحكمة العسكرية العليا الخاصة.» ــ الاضبارة الشخصية لعبدالسلام عارف.
(٣١) المصدر السابق.
(٣٢) المصدر السابق، وقد كان عبدالكريم قاسم في هذه الفترة آمر اللواء التاسع عشر.
(٣٣) المصدر السابق.
(٣٤) المصدر السابق.
(٣٥) محمد حسين الزبيدي، ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، بغداد دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٣، ص ٥٤٢.
(٣٦) الاضبارة الشخصية، مصدر سبق ذكره.
(٣٧) انظر مجيد خدوري، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩٩.

(٣٨) الرأي للمفكر هنتيتجنون ـ انظر ـ الأحزاب السياسية في العالم الثالث ، د. اسامة الغزالي حرب ، سلسلة عالم المعرفة ، أيلول ١٩٨٧ ، ص ٩٢.

(٣٩) المصدر السابق ، ص ٩٣.

(٤٠) « الذاكرة التاريخية لثورة ١٤ تموز » النص الكامل لوقائع ندوة آفاق عربية ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ ط ١ ١٩٨٧ ، مصدر سبق ذكره.

(٤١) مذكرات ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٠ .

(٤٢) الاضبارة الشخصية ، مصدر سبق ذكره.

(٤٣) لمزيد من التفاصيل ، انظر ـ مجيد خدوري ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٥٢ .

(٤٤) أنظر شرحاً للاشتراكية الرشيدة، ص ٣٥٥ من المصدر السابق.

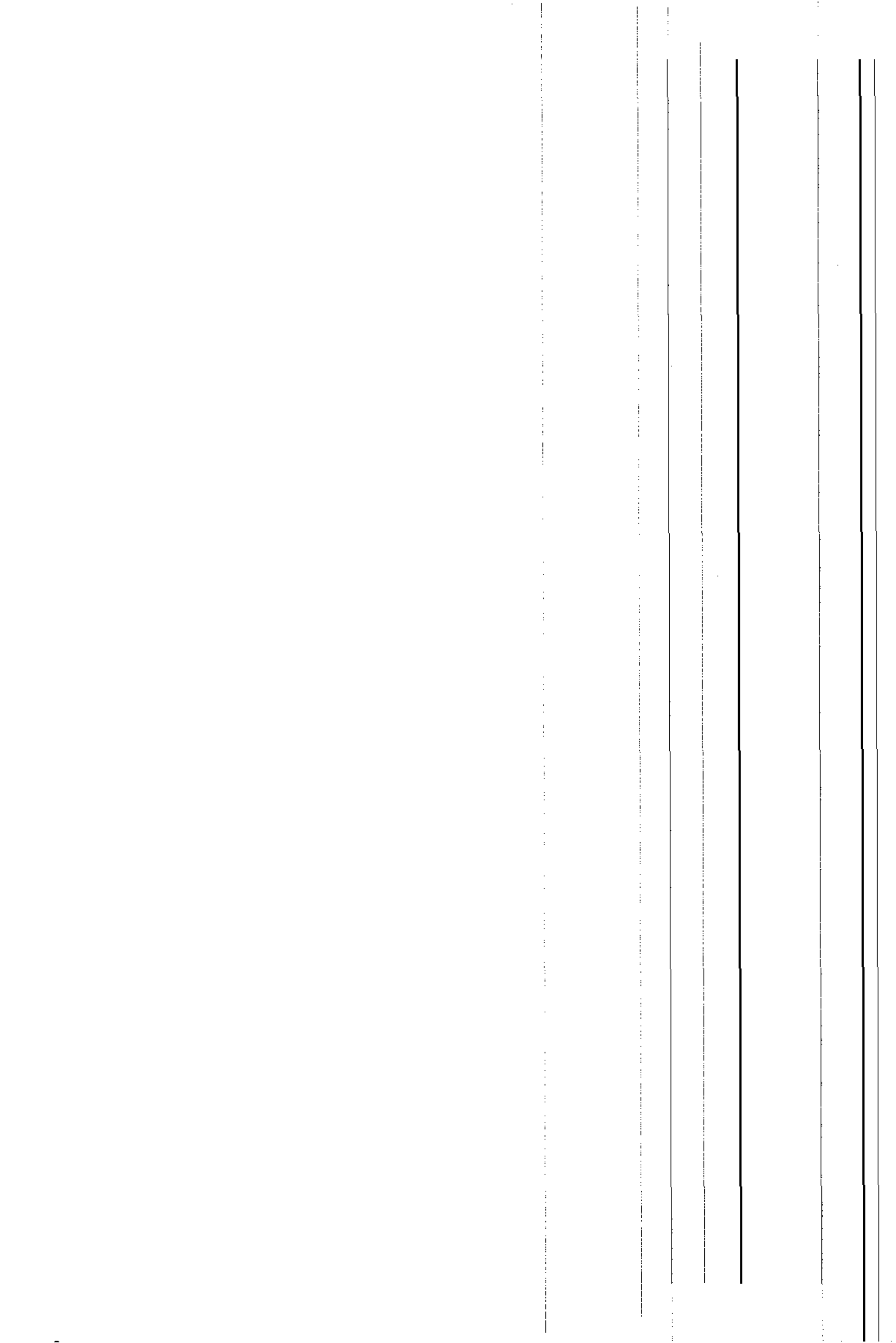
(٤٥) المصدر السابق ، ص ٣٦٩ .

(٤٦) المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .

(٤٧) المصدر السابق ، ص ٣٨١ .

(٤٨) التقرير السياسي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥ .

(٤٩) المصدر السابق ، ص ٥ .



الفصل الثاني عشر

ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز التجربة والآفاق

محاولات لثورة جديدة :

استطاع حزب البعث العربي الاشتراكي الـذي لمسنا دوره البـارز في الحياة السياسية للقـطر العراقي أن يستعيـد جزءاً من عـافيته وقـدرتـه عـلى النهـوض بعد الردة ، كما استطاع أن يقارع الانشقاقيين فكريـاً وتنظيميـاً وسياسيـاً وأن يرد اتهاماتهم . وفي خضم ذلك كله كان عليـه أن يعبىء الجماهـير ، ويستعيد ثقتهـا الكاملة به ، وبقدرته عـلى تطبيق مبـادئه وشعـاراته بعـد ان تعرضت تلك الثقـة الى حالات من الأزمة بسبب الظروف المارة الذكر. وكان نصب عينيه تلك التجربة الرمضانية التي ضاعت على حين غفلة ، وهذا ما نلمسه في حديث لصدام حسين أبرز قادة الحزب في نضاله السري آنذاك حيث يقول :

« لقـد كان من بـين الهواجس الملحـة في نفسي عندمـا تحملت من موقعي مسؤولية بناء الحزب. . بعدما أصابه من تمزق اثر الردة. . انه عندما يستعيد حزبنا في القطر العراقي ثورته من المرتدين. . ينبغي عليه أن يجسّد قيماً جديدة. . مستوحاة من نقيض السلوك الخاطىء والمنحرف لبعض العناصر الحزبية القيادية الذي ساعد على ضياع ثورة رمضان العظيمة.

وقدْ وجدت ان الواجب يقضي أن أجسّد جـانباً من هـذه القيم. . وذلك بأن لا أكون بعد نجاح الثورة التي كنا نخـطط لتفجيرهـا آنذاك في مـوقع القيـادة والسلطة وأن أبقى فقط مناضلاً في صفـوف الحزب بـرغم إدراكي الموضـوعي. . بـأن المسؤولية الثـورية. . عـلى نقائهـا لا ترتبط بمـرحلة النضال السـري فقط. . وقد عرضت هذه الأفكار رسمياً لأول مرة في الاجتماع المشترك الذي عقدته القيادة القطرية مع المكتب العسكري في شهر أيلول من عام ١٩٦٤ والذي خصص لوضع اللمسات الأخيرة لخطة الثورة التي كنا قد أعددناها ضد نظام الردة العارفي.

عرضت هذه الأفكار على الرفاق في ذلك الاجتماع وقلت لهم. . انني سأكون

معكم حتى ساعة انتصار الثورة ولن أكون في أي مركز رسمي في الدولة . . لذلك أرجو أن تستجيبوا لهذه الرغبة الرفاقية . . وان تتفهموا دوافعها الحقيقية .

وقد أثرت هذه الفكرة مرة أخرى يوم كنت في السجن رقم واحد العسكري في أوائل عام ١٩٦٦ . . ففي حينه وصلتني رسالة من الرفيق « أبو هيثم » الرئيس أحمد حسن البكر يخبرني فيها ان الرفاق في القيادة قد نضجت لديهم التهيئة الأولى للقيام بالثورة . . وان توقيت الثورة سيكون في شهر شباط من ذلك العام . .

أرسلت الى الرفيق أبو هيثم رسالة خطية أبارك فيها هذا العمل وأشجع عليه وذكرته والرفاق أعضاء القيادة فيها بالمبادىء التي أشرت اليها وطلبت اليه أن يحفظ لي رغبتي في عدم تحمل أية مسؤولية ، وان يعيد عرض الأمر في القيادة بعد نجاح الثورة . . ولكن الفرصة لم تسمح للحزب للقيام بالثورة في ذلك الوقت » .[1]

ثم تهيأت الظروف المناسبة للعمل قبيل ١٧ تموز ١٩٦٨ حين تجمعت المبررات الكافية للقيام بثورة ، وكان من بين أبرز المبررات أو العوامل ما حدث في ٢٣ شباط في سوريا و١٨ تشرين الثاني في العراق الذين اعتبرهما الحزب في مؤتمراته القومية التي عقدت آنذاك بمثابة رمز واحد لتحقيق الذاتي على حساب الموضوعي ، الحكم على حساب الشعب والمبادىء ، أي ان كليهما من الحزب بمعناه التاريخي ومعناه كرسالة ومشروع حضاري فكان التفكير بالثورة يعني الانتقام من ثلاثة أشياء : من ١٨ تشرين الثاني ومن ٢٣ شباط ومن ٥ حزيران ١٩٦٧ .[2]

وكان تقييم المرحلة ، يتطلب بناء تجربة جديدة مستوعبة للأمراض الداخلية للعملية الثورية ، وبنفس الوقت متفهمه لحجم المؤامرة على المصير العربي ، لذلك لم يكن بناء الثورة الجديدة في تصور الحزب بناءاً عادياً ، كان لابد أن يكون بناءاً منسجماً مع روح البعث ، مع روح النهضة العربية ، مع القدرة على فهم دروس الماضي وتوظيفها من أجل المستقبل .[3]

١٧ تموز ١٩٦٨ :

ومن أجل ذلك ، وضع قادة الحزب الذين خططوا لتنفيذ الثورة في ١٧ تموز ١٩٦٨ ، كل التصورات التي من شأنها جعل انطلاقتهم الجديدة ، بناءاً متكاملاً وقوياً وقائماً على أُسس متينة من العمل المقتدر وبما يجنب الثورة محاولات التآمر من الداخل والخارج والعبور بها الى مكانة الثورة (غير المسموح بها) لكن الثورة الجديدة التي أطلق عليها (الثورة البيضاء) كناية عن اختلافها في الجوهر والتنفيذ عن صورة الصراعات الدموية في السابق كادت تتحول الى مجرد (انقلاب) يضاف الى سلسلة الانقلابات السابقة، حين فوجئت القيادة القطرية التي كانت مجتمعة صباح يوم ١٦ تموز ١٩٦٨ في دار السيد أحمد حسن البكر أمين سر القيادة القطرية لوضع خطة الثورة بصيغتها النهائية ، بوصول رسول من المقدم الركن عبدالرزاق النايف معاون مدير الاستخبارات العسكرية العامة ـ آنذاك ـ يحمل رسالة تتضمن عرضاً منه بالمشاركة في الثورة. وعلمت القيادة القطرية ان المقدم الركن ابراهيم الداود وهو آمر لواء الحرس الجمهوري ـ آنذاك ـ هو الذي أخبر النايف بعملية الثورة ، وعرض عليه المشاركة فيها وتولي منصب رئيس الوزراء ، وكان على القيادة أن تبت بسرعة في أمر هذا التطور الخطير.[٤]

وبعد دراسة الموقف ، قررت القيادة التظاهر بقبول مشاركة النايف في الثورة والموافقة على ما تم الاتفاق عليه بينه وبين الداود ، كما اتخذت ، في الوقت نفسه ، قراراً حازماً بتصفية النايف والداود.[٥]

ولم تكن عملية تصفية النايف سهلة أبداً. . بل كانت من أخطر العمليات ، فلقد كان للنايف بعض الأنصار في قوات الحرس الجمهوري وفي داخل مبنى القصر الجمهوري.[٦]

وفي يوم ٣٠ تموز ١٩٦٨ غادر ابراهيم الداود العراق الى الأردن لتفقد القوات

العراقية هناك ، وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم ، شرع صدام حسين بتنفيذ الخطة واختار ساعة التنفيذ ووزع الأدوار على بعض الرفاق معه ، فتم لـه اعتقال النايف في داخل القصر الجمهوري وكانت قد أعطيت التعليمات قبل تنفيذ الخطة بدقائق الى (حماد شهاب) آمر اللواء المدرع العاشر لتحريك اللواء وتطويق القصـر الجمهوري(٧) وفي الـوقت نفسه تم تـرتيب ما يلزم لتسفـير النايف خـارج العراق .

وبهذا يكون صدام حسين قد حقق الانجاز التصحيحي الأول ، مستفيداً من كل الكبوات والتجارب السابقة بما فيها ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ وردة ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ حين أزاح مفهوم (الانقلاب العسكري) عن الثورة ، وان يحافظ على هوية الثورة باعتبارها ثورة الحزب .(٨)

إذ ان بعض العسكـريين الحـزبيين أو الـذين حسبوا عـلى الحزب بـدافـع من طموحهم الشخصي ، ومن قلة وعيهم الحزبي والثوري لم يكن لهم تصور حزبي وشعبي ، وتاريخي لعملية الثورة ولدور الثورة التي يقودهـا الحزب في قـطر واحد كقاعدة لحركة الثورة العربية ، لقد كانت (الثورة) بالنسبة اليهم وبالدرجة الأولى عملية انتقام ثأرية من الذين سرقوا السلطة من الحزب في تشرين الثاني ١٩٦٣ ، وعملية فوقية أقرب الى التغيير الاصلاحي السطحي الذي ينتهي دائـماً في تجارب الوطن العربي ، والعالم الثالث الى نظام يميني عاجز عن تحقيق أهداف الثورة الجذرية الديمقراطية والاجتماعية والثقافيـة ، وعن تأمـين المستلزمات الضـرورية لمـواجهة الامبريالية والصهيونية والقوى الرجعية .(٩)

غير ان المؤامرات لم ينقطع دابرها بتلك المحاولة(١٠) فقد واجهت الثورة في أكثر المنعطفات حدة وفي أدق الظروف ، وكان من بينها ما ترافق مع تسلم الرفيق صدام حسين الموقع الأول في الحزب والدولة في ١٧ تموز ١٩٧٩ ، واستمر بعدها ، لكن بفضل قيادة صدام حسين وبفضل شجاعة مناضلي الحزب ويقظتهم كان النجاح

التام حليف الثورة ، في القضاء على كل المؤامرات التي استهدفت الحزب من قبل القوى الاستعمارية والرجعية والعناصر المغامرة والفئات السياسية الحاقدة .. وفي القضاء أيضاً على كل محاولات التآمر من داخل الحزب.[11]

لقد بذلت قيادة الحزب جهوداً جبارة كي تحافظ على الثورة الجديدة ، بالقول وبالفعل ، جاء ذلك من يقين ثابت بأن سقوطها يعني تراجعاً معنوياً ومادياً كبيراً وخطيراً لحركة الثورة العربية كلها ، لأن موازنة الثورة في تنفيذ انجازاتها بين (الوطني) و (القومي) ، جعل جزءاً كبيراً من المهمات التي واجهتها على الصعيد الداخلي بعد يوم ١٧ تموز ١٩٦٨ ، كتثبيت السلطة الثورية وقيادة الحزب لها وتعزيز الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادي بتطبيق تأميم عمليات شركة نفط العراق وحصص أمريكا وهولندا وكولبنكيان في شركة نفط البصرة وتحقيق التحولات الديمقراطية وفي مقدمتها الحل السلمي والديمقراطي للمسألة الكردية واقامة الجبهة التقدمية والتحولات الاشتراكية والاجتماعية وبناء الجيش الثوري القوي ، هي مهمات متصلة ومتداخلة ومتفاعلة مع المهمات القومية ، وكان كل تقدم يحققه حزب البعث العربي الاشتراكي على طريق تأدية هذه المهمات يزيد من قدرة الثورة على التأثير في المحيط القومي كما يزيد من خبرتها ويطلق يدها أكثر على طريق تأدية المهمات القومية المباشرة.[12]

فلقد تقرر تسفير عبدالرحمن عارف الى خارج العراق بسلام . . وعومل أنصاره بنفس الطريقة ولم تتخذ أية اجراءات انتقامية قاسية ضد أي من أركان الردة التشرينية ومن عناصر أجهزة الأمن الذين ولغوا في دماء مناضلي الحزب وجماهير الشعب وجرعوهم شتى أصناف الاضطهاد والامتهان ، وإنما اعتقل منهم من اعتقل وترك الآخرون طلقاء . . وحتى عبدالرزاق النايف تقرر تسفيره الى خارج العراق وعين سفيراً في حينه ، وكذلك الأمر بالنسبة لابراهيم الداود.

لقد كانت القيادة حريصة على هذا النهج ولم تكن تسمح بأي اراقة للدماء

إلا إذا اقتضت ذلك الضرورة القصوى لحماية الثورة والحزب. . ولم تحدث ، في تلك المرحلة أوضاع ، تستوجب العنف الدامي.(١٣)

وقد أثبت هذا النهج فائدته. . فلم تُقابل الثورة بردود أفعال حادة وقوية ، ولم تنشأ في البلاد حالة متوترة. . واستطاع الحزب أن يجتاز المرحلة الأولى من الثورة بسلام وان ينصرف منذ البداية الى العمل الايجابي البناء.(١٤)

إن الثورة بعد ان امتلكت في ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨ شروطها في المعنى الحقيقي للثورة المستقلة ذات الطريق الخاص ، كانت تحتاج الى الشخصية القيادية ذات المنظور الحضاري المتجدد ، الممتلك لتصور واضح وواسع لمفهوم « القيادة التاريخية » والذي بمقدوره أن يسبغ طابعاً (عقلانياً) على المسيرة الجديدة قياساً الى ما سبقها من أحداث منطلقاً من الأيديولوجية التي تستند اليها ، والواقع العربي الذي يحيط بها والمنجزات الوطنية المطلوبة.

إن (العقلانية) هنا ، هي أولاً ، في أن نتحرر من صور « اللامعقول » التي تملأ جوانب الواقع العربي ، صور التجزئة التي تهدر طاقات الأمة ، ونماذج الوحدات التي لم توحد قوى الأمة الحقيقية في الماضي ، وأشكال التوجه الكاذب نحو المعركة التي تضلل الجماهير وتنتهي بها الى الخيبات المريرة(١٥) كما تفضي بها الى التأرجح والتناقض والتناحر في الداخل.

القيادة التاريخية :

الحاجة الى « القيادة التاريخية » هنا ، هي ليست وليدة اليوم ، بل هي حاجة أكدتها تلك الأيام السوداء والعصيبة التي عاشها العراق في أيام التمزقات الحادة في قواه الوطنية والقومية ، وحالة البلبلة والضياع واهتزاز الثقة التي اشتد أوارها بعد ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣ ، وبالرغم من كثرة التحليلات والاجتهادات والتقييمات التي درست تلك الفترة سواء من داخل منظمات حزب البعث العربي

الاشتراكي أومن الجماهير في خارج أو داخل العراق ، فان الجميع يتفقون في ان من بين أهم الأسباب التي أدت الى النكسة ، بل في مقدمتها جميعاً ، الافتقار الى (القائد) ذي الصفات المتكاملة (المبدئية ـ الحكمة ـ الشجاعة ـ الأخلاق ـ الصبر ـ العقل الستراتيجي والقدرة التكتيكية) الذي يستطيع أن يوحد ويحشد الطاقات الهائلة للجماهير ويستثمر استعدادها للبذل والتضحية والأقدام ، وان يحل الخلافات والمتناقضات ، ويحدد الأولويات ويشرح المعضلات ويتصدى للأعداء كما يجب وفي الزمان المناسب والمكان المناسب.[١٦]

فالأمر الثابت والذي لا يختلف فيه أثنان ، ان القيادة أو (القائد) ، من الموضوعات ذات الشأن الكبير في حياة الجماعات ، ذلك ان طبيعة الوجود الانساني فرضت على الأفراد أن لا يعيشوا في عزلة ، وإنما ضمن جماعة أو جماعات ومن خلال هذا النوع من الحياة تحتم وجود القيادة.

ويؤكد علماء النفس على أهمية الدور الذي تقوم به القيادة في تماسك وبناء الجماعات المختلفة ، كما يؤكدون على ما للقائد من أهمية بالغة في تماسك الجماعة ، ولما كان السلوك البشري يسعى دائماً الى تحقيق أهداف حيوية متجددة فان القيادة تعمل على بلورة هذا الهدف حتى يكون محدداً واضح المعالم.[١٧]

لذلك فان مفهوم القيادة يتحدد بالمجال الذي تمارس فيه القيادة والاطار النظري الذي تعتمد عليه وطبيعة الأيديولوجية التي تستند عليها ومن خلال عرض النظريات الخاصة بالقيادة يحدد العلماء طبيعة القيادة وفقاً لما يلي :

١ ـ القيادة كدالة لفرد ، بان بعض الأفراد يمتلكون صفات موروثة لا توجد عند آخرين ، تؤهلهم لتبؤ موقع القيادة.

٢ ـ القيادة كدالة لموقف ، لأنها ترمز للظروف المحيطة بالموقف مما يعني وجود قوة اجتماعية خارجية لها الأثر في إظهار الفرد الذي يقود الجماعة.

٣ ـ القيادة كدالة لسلوك له وظيفة محددة وتعني الارتباط الفعلي بالأعمال التي تساعد الجماعة على تحقيق أهدافها والتي يمكن أن تسمى بالوظائف الاجتماعية.

٤ ـ القيادة كدالة لتفاعل عدد من التغيرات ، ومفهوم القيادة يعني عملية تفاعل اجتماعي.(١٨)

من هنا ، نجد ان القيادة التي جاءت في ١٧ ـ ٣٠ تموز في العراق مستوعبة للتجارب السابقة استخلصت تلك المعاني التي أتينا على ذكرها ، فكانت الشروط التي حددت علناً للشخصية القيادية أو التي لها مركز قيادي حزبي في العراق هي التي تتوفر على المعاني التالية :

١ ـ شجاعة فائقة في الملمات ، بدرجة أعلى من الظروف الاعتيادية ، وأهم ركن في الشجاعة هو القرار الشجاع المستند الى الايمان المطلق بقضية نضال الحزب والشعب مهما اهتزت من حوله الصور وتداخلت الألوان.

٢ ـ العفة المطلقة أو شبه المطلقة تجاه ما زاد عن حاجة الحياة المتوازنة ومتطلبات المستقبل المشروعة للمناضل البعثي وعائلته.

٣ ـ الايمان والرغبة في العمل المثابر لتطبيق المبادىء من موقعه في الحزب والدولة والمجتمع ، وهكذا تكون الرقابة التقليدية ضرورية للمستويات الحزبية التي تلي القيادة العليا وليس لأعضاء القيادة العليا ، ولذلك ، لا يفترض أن يكون الأساس في التزام أعضاء القيادة بهذه الضوابط ناجماً عن رقابة أمين سر القطر ، بل يكون الضمير البعثي وشرف ومسؤولية القيادة هي الرقيب الأساس على أعضاء القيادة القطرية في كل الأوقات والظروف. . وعند ذاك ينصرف أمين سر القطر لدوره الاشرافي والقيادي والتربوي فضلاً

عن مهماته الأخرى.

٤ ـ الايمان المطلق بأهمية وضرورة استقلالية العراق والحزب بما يحصن تجربتنا الثورية من مداخلات وشرور التيارات الخارجية الأجنبية والعربية.

٥ ـ عدم اهتزاز الايمان والشخصية تجاه التيارات الفكرية الدولية والسلفية واعتبار عقيدة الحزب هي العقيدة القادرة وحدها على شق طريق الحياة الذي يؤمن به البعثي ، وعلى أساسها تقيم الأمور.[١٩]

هذا ما يخص القيادة ، فما الذي يتوجب على الشعب ازاء الثورة ؟

لقد قدم الرئيس صدام حسين أمام المؤتمر القطري التاسع المنعقد بين الرابع والعشرين والسابع والعشرين من حزيران ١٩٨٢ في بغداد ، عرضاً تناول فيه بعض المنطلقات التي أثر بموجبها انجازات الثورة وشخّص الأعداء المحتملين فذكر ان ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز وقيادتها تعقبت « الحياة الاجتماعية والمعاشية للشعب حتى شعيراتها الدقيقة ، وسنت أدق القوانين ، ومن أرقاها في الضمان الاجتماعي والرؤية الانسانية على مستوى العمال والفلاحين والعسكريين ، وعلى مستوى النساء ومكانتهن الاجتماعية والقانونية ، وعلى مستوى الأسرة والأمومة والطفولة وبما تتطلب من مستلزمات. وقد بنت الثورة عراقاً قوياً ومزدهراً واحتل قطرنا مكانة رفيعة على الصعيد العربي والدولي.. وقد حققت الثورة منجزات عظيمة.. التأميم.. الحكم الذاتي.. الجبهة الوطنية.. التقدم الكبير في الثقافة والتربية وفي كل الميادين الأخرى.

إذا كان الأمر هكذا.. وهو كذلك فعلاً.. الى حد الاندهاش ، فان كسب الأعداء لمجاميع محسوبة من ناحية التقييم الفني الثوري على صفوف الشعب يؤشر خللاً يتحمل الحزب في المكان والمستوى المعني مسؤوليته.. وأهم ما في الخلل هو الخلل في الحصانة المبدئية والفكرية لدى بعض الحزبيين المسؤولين أو قلة اقتدارهم

وكفاءتهم في التعبير عن مبادىء الحزب بالمنهج والأسلوب. وعجزهم عن كشف وسائل وطبيعة الأعداء وما ينبغي توفيره والتثقيف عليه في وسط الشعب، وعلى المستويات الحزبية الصغيرة.

إن أسلوب أعدائنا في هذه المرحلة ينطلق من اثارة العادات والمفاهيم الاجتماعية والدينية المتخلفة والسلفية، فهم يعمدون الى اثارة الغرائز على هذا الأسلوب بما يحقق الفعل المضاد للثورة، وتتلون أساليبهم بالغش والدجل والشعوذة والكذب وحسب مقتضيات الحرب النفسية وأهدافها، وان الأساس الذي يجب أن ننطلق منه في مواجهة الأعداء هو الالتصاق الصميم بالجماهير، وكشف أساليب الأعداء وتحديد المعلومات والحقائق ووضعها أمام الشعب، وتسليط الضوء عليها، وفضح أغراضها بأساليب مباشرة أو غير مباشرة، وعلى أساس اختيار الأساليب الأكثر تأثيراً، وأهم ما ينبغي أن نبدأ به هو تحصين عوائلنا وأصدقائنا ومعارفنا ازاء فعل التيارات المضادة واعتبار هذا من الواجبات النضالية والأساسية، وعند ذاك نكون في النتيجة قد حولنا هذا الوسط المحصن لا الى وسط خارج قدرات القوى المضادة في التأثير السلبي فحسب، وإنما حولناه الى وسط فاعل لتوعية وتحصين الشعب، وعلى أوسع نطاق، مما يسد الطريق على الدعايات وأساليب الأعداء الموجهة ضد الثورة ». [٢٠]

ويمكن القول، ان ما تحقق في العراق، وما ينتظر أن يتحقق في المرحلة القادمة، كان نتيجة استفادة كاملة من اخفاق ثورتي ١٤ تموز ١٩٥٨ و١٤ رمضان (٨ شباط) ١٩٦٣ بالعمل على توفير عاملين مهمين :

الأول : قيادة تاريخية موحدة وواعية ومستوعبة لحاجات الجماهير في سعيها الى البناء والنهوض الحضاري الذي يوفر لها الأقدام في محيط الأسرة الدولية.

والثاني : هو الاستقرار السياسي الذي توفره سلطة قادرة وبناء دولة قوية مزدهرة متينة قادرة على مجابهة القوى الاستعمارية والرجعية وكبح جماح العناصر

المغامرة والفئات السياسية الحاقدة التي تحركها عناصر وإرادات خارجيـة طامعة .

ملامح الطريق الجديد :

لقد تميزت المرحلة التي أعقبت عام ١٩٦٨ عما سبقها من سنوات في تاريخ القطر العراقي ، بان الحياة باتت تخضع للتخطيط الشامل والابتعاد عن العشوائية والارتجـال ، أي ما يمكن تسميتـه بـ « وضع سـتـراتيجية متكـاملة »بغية الانتقـال من ردود الفعل الى السيطرة على حركة الزمن والموقف المتكامل من الحياة .

وهذا لم يعتمد النضج النظري حسب ، وإنما يغتني بالتجربة عـلى مستوى الحـزب ككل والجمـاهير التي صـارت تطور هـذا النهج ثم وجـود القائـد القـادر على تجسيد هذا النضج[٢١] ويبرز التخطيط الستراتيجي في عمليتين مهمتين قام بهما الحزب في العراق ، هما تقييم العمل وفق خطط زمنية محسـوبة ، الأولى نستـطيع تسميتها مرحلة المؤتمر القطري الثامن من ١٩٦٨ وحتى ١٩٧٤ . والثاني مرحلة المؤتمر القطري التاسع من ١٩٧٤ حتى ١٩٨٢ .

المؤتمر القطري الثامن :

بين الثامن والثاني عشر من كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ انعقد ببغداد المؤتمر القـطري الثـامن لحـزب البعث العـربي الاشتـراكي في القـطر العــراقي وأعلن على الجماهير في الأيام ٥ ، ٦ ، ٧ آذار (مارس) ١٩٧٤ .

وأوضحت المقدمة ان هذا المؤتمر يختلف عن المؤتمر القطري السابع الذي سبقه بأكثر من خمس سنوات والذي انعقد ببغداد بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٦٨ بعد قيام الثورة وتسلم الحزب السلطة السياسية في القطر العراقي بفترة وجيزة وقبل ان تغتني

تجربة الحزب ويشتد ساعد الثورة.

ومعنى هذا القول ان المؤتمر القطري الثامن لا يكتفي باستعراض منجزات مرحلة وإنما يهدف الى (وضع برنامج ثوري واقعي واضح تلتقي وتتوحد عنده إرادة الحزب والجماهير وتنتفي فيه احتمالات الاجتهادات المتنافرة أو المتناقضة). (٢٢)

وكان التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن ، غنياً بالفعل وشاملاً ، فقد تناولت فيه القيادة القطرية بصراحة وتفصيل ودقة ، الظروف والملابسات والعوامل التي رافقت مسيرة الحزب والثورة خلال المرحلة التي سبقت انعقاده ، سواء ما يتعلق منها بأوضاع الحزب الداخلية أو بالأوضاع القطرية والعربية والدولية ، ومقدار تأثيرها سلباً أو إيجابياً على قدرة الحزب والجماهير ونجاحهم في تأدية هذه المهمات ومواجهة هذه المشكلات.

ولقد استخلص التقرير السياسي في تقييمه الموضوعي للأحداث ، ان مسيرة الثورة ــ برغم كل ما اكتنفها من اخفاقات وسلبيات ، ومن ظروف وعوامل معوقة كانت بالقياس الى إمكانات الحزب والجماهير الذاتية والى الظروف الصعبة التي أحاطت بالثورة ، قطرياً وقومياً ودولياً ، وبالقياس الى التجارب المماثلة السابقة والراهنة ــ مسيرة ناجحة وظافرة استطاعت بحق :

- أن تشق طريقاً جديداً متصاعداً في الحركة الثورية في القطر.
- وأن تضع القواعد الأساسية لتجربة ثورية شعبية قومية اشتراكية وديمقراطية نموذجية في الوطن العربي وفي العالم الثالث.
- تؤدي الآن وفي المستقبل بصورة أقوى وأكثر اشراقاً ــ دوراً طليعياً بارزاً في حركة الثورة العربية وفي حركة الثورة العالمية. (٢٣)

واعتبر التقرير ان هذه الأهداف هي بعض ما ناضل حزب البعث العربي الاشتراكي في سبيله طيلة ثلاثين عاماً وما ناضلت من أجله الجماهير في القطر والوطن العربي وقدمت في سبيله التضحيات والشهداء. (٢٤)

تقييم تجربة ٨ شباط :

وأفرد التقرير السياسي للمؤتمر المذكور ، فصلاً لمناقشة نظريتين حول تقييم تجربة ٨ شباط ، انطلاقاً من حقيقة ان الحزب وهو يستلم السلطة من جديد يضع تجربته السابقة نصب عينه دائماً ، وان يشعر ازاءها بدرجة عالية من الحساسية .

ولخص التقرير في تقييمه بعض الطروحات السابقة في دراسة تجربة ٨ شباط ، فعارض ما رآه بعض الرفاق من ان ما طبع تجربة شباط من تحالفات وما احتوته سلطتها وأجهزتها القيادية من عناصر يمينية ، وما تميزت به حركتها من تردد عن الاقدام السريع والمباشر على اجراء تحولات اجتماعية اشتراكية جذرية تكسب تأييد الجماهير. . وما شابه ذلك من العوامل كان وراء سقوط تجربة الحزب السابقة والثانية ان البعض الآخر ظن ان اتسام تجربة شباط بالعفوية والارتجال والتسرع في اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاصطدام مع الحلفاء والصراع مع القوى السياسية الأخرى. . وما شابه ذلك من العوامل. . كان وراء سقوط ثورة شباط .

وأوضح التقرير ان (أصحاب النظرة الأولى يبالغون في التعبير عن قلقهم من التباطؤ في اعلان قيادة الحزب للثورة ، وفي تصفية أجهزة الدولة الحساسة من العناصر المتآمرة والفاسدة ، وفي اجراء التحولات السياسية والاقتصادية الجذرية التي تتلاءم مع مبادىء الحزب وطموحاته ويلحون على ذلك. . بينما كان أصحاب النظرة الثانية يبالغون في الدعوة الى التريث وعدم استعجال الأمور في اتخاذ الاجراءات التي تتطلبها الثورة ومبادئها وأهدافها في أجهزة الدولة ، واتخاذ القرارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المنسجمة مع مبادىء الثورةوأهدافها الثورية والقومية والاشتراكية والديمقراطية .

وفي الواقع. . ان كلتا النظريتين السابقتين كانت وحيدة الجانب في تفسيرها

للتجربة السابقة وأسباب سقوطها ، وفي استخلاص الاستنتاجات الصحيحة والمناسبة للمرحلة الراهنة منها.

وينتهي التقرير السياسي الى القول : ان تجربة شباط لم تسقط لأنها غالت في ما سمي بالاتجاه « اليساري » أو لأنها غالت في ما يسمى بالاتجاه « اليميني ».. وإنما كان من أبرز عوامل سقوطها ان قيادتها فشلت في تحقيق التوازن الثوري بين الأهداف والآمال ، وبين الظروف الموضوعية المحيطة بالثورة ، ولم تتمكن من حساب المراحل والامكانيات بدقة ووضع برنامج متدرج ومتصاعد لتحقيق أهدافها الأساسية.

كما ان قيادة ثورة شباط (أي قيادة الحزب حينذاك) لم تمارس مهامها كقيادة بالمعنى الطبيعي لقيادة حزب ثوري . وترك جهاز الحزب بدون توجيه مركزي دقيق وشامل ، ولذلك لم يؤد الحزب ، كمؤسسة ثورية طليعية ، مهماته في قيادة الثورة على الوجه المطلوب بصرف النظر عن الظروف المحيطة به والمشكلات والأخطار التي تواجهه فافلت الزمام من يده الأمر الذي جعل الردة ممكنة وسهلة . وبعد ثورة ١٧ ــ ٣٠ تموز كان لابد من تأكيد النظرة الصحيحة الى تجربة ثورة شباط عند كل قضية أو مشكلة أو مهمة تطرح على الحزب ، كما كان لابد من استخلاص استنتاجات وبرامج عمل صحيحة من تلك المعالجات.[٢٥]

انجازات الثورة في المرحلة الأولى :

يتطرق التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن بالتفصيل الى انجازات الثورة في الخمس سنوات الأول ، ولعل ما يهمنا هنا ، ما جاء منه في باب المهمات الوطنية والديمقراطية والتي تطرق فيها الى جملة حقائق منها ما يتعلق :

١ ـ (بالاستقلال السياسي) الذي عبرت عنه الثورة بمهمتين الأولى هي تصفية شبكات التجسس والعمالة تصفية جذرية وحاسمة. وقد تبدو هذه المهمة لغير المطلعين على أوضاع القطر العراقي السابقة اطلاعاً كافياً فرعية لا تتعدى اعتقال بضعة أشخاص وإنزال القصاص القانوني بهم. غير انها كانت في الواقع ، من أخطر المهمات الوطنية وزادتها خطورة وأعطتها بُعداً قومياً خطيراً الأوضاع السياسية والعسكرية والنفسية التي نشأت عن هزيمة حزيران وما تتطلبه من ارادة وطنية وقومية غير مقيدة لمقارعة العدو الامبريالي والصهيوني.

والمهمة الثانية التي واجهتها الثورة في ميدان تعزيز الاستقلال السياسي وتحرير الارادة الوطنية من كل قيد هي « بناء سلطة وطنية مركزية قوية ». ففي بلدان العالم الثالث عندما تكون السلطة ضعيفة ومهزوزة تتآكلها الانقسامات وتقوم فيها الكتل المتناحرة تجد نفسها ، موضوعياً ، في حالة عجز عن التصرف بارادة وطنية حرة في كافة الميادين حتى وإن كانت نواياها وبراجها وطنية لا شائبة فيها.

٢ ـ وفي ميدان (الاستقلال الاقتصادي) فقد واجهت الثورة ـ منذ المرحلة الأولى ـ مهمة خوض معركتين هما : معركة الاستثمار الوطني للنفط ، ومعركة الاستثمار الوطني للكبريت. ان العراق بلد غني بالخامات الكبريتية ، وقد سعت الاحتكارات الاستعمارية ـ وبخاصة الأمريكية ـ الى السيطرة على هذه الثروة منذ العهد الملكي..

وقد بدأ التفكير بالتأميم في صيف عام ١٩٧٠ ، وبعد فشل مفاوضات لم يعلن عنها في حينه بين الحكومة وشركات النفط ، تبين فيها للحزب ان الشركات تحاول انتهاج خطة تسويف تستهدف ترويض الثورة وتهيئة مقدمات إسقاطها.

وكان قرار التأميم الخطوة الحاسمة الكبرى على طريق تحقيق الاستقلال الاقتصادي الناجز للبلاد فأصبحت الحكومة بعده تسيطر على (٦٥٪) من قطاع انتاج النفط ، الذي كان القطاع الوحيد الخاضع للسيطرة الأجنبية ، ما عدا نسبة ضئيلة كان يمثلها الانتاج الوطني في حقل الرميلة ، كما أصبحت تسيطر على (٩٩,٧٥٪) من رقعة الأرض التي يستخرج منها النفط.

لقد أثار قرار التأميم نتائج وأبعاداً تعدت نطاق الاستقلال السياسي بمعناه الاعتيادي لأسباب أساسية منها ان شركات النفط الاحتكارية ليست مجرد شركات تجارية أجنبية تسيطر على قطاع كبير أو صغير من الاقتصاد الوطني في هذا البلد أو ذاك ، وإنما هي اخطبوط دولي عملاق يمتد في عدة قارات ويرتبط أشد الارتباط بمصالح الامبريالية الستراتيجية وموقعها الدولي وسياستها الكبرى.. مما يجعل الصراع معها صراعاً مباشراً مع الامبريالية وفي أخطر مواقعها الحساسة.

٣ ــ وفي إطار (المسألة الكردية) سعى حزب البعث العربي الاشتراكي بكل الطرق المتاحة ومنذ ١٧ ــ ٣٠ تموز ١٩٦٨ لحل المسألة الكردية التي كانت قد بلغت درجة كبيرة من التعقيد والتشابك بسبب التداخلات العديدة التي طرأت عليها وبخاصة التداخلات الأجنبية وبسبب الموقف التعسفي والشوفيني الذي وقفته الأنظمة الرجعية والدكتاتورية من الجماهير الكردية وتطلعاتها المشروعة واستمرار القتال سنوات طويلة وبسبب أوضاع الحركة الكردية ذاتها وعوامل عديدة أخرى.

وقد استطاع الحزب أن يجد الصيغة الصائبة والمتكاملة من النواحي النظرية والسياسية والعملية وان يجسدها في الوثيقة التاريخية العظيمة ــ بيان الحادي عشر من آذار ١٩٧٠ الذي يعد نقطة تحول تاريخية في نضال جماهيرنا الكردية وتطلعاتها

القومية المشروعة وفي نضال شعبنا في القطر العراقي بأسره من أجل بناء مجتمع ديمقراطي تقدمي مزدهر.

٤ ــ وفي مجال العمل الجبهوي ، فقد طرح تسلم حزب البعث العربي الاشتراكي للسلطة السياسية في ١٧ ــ ٣٠ تموز مسألة موازين القوى السياسية في البلاد وفي الجبهة بشكل جديد ودقيق بالنسبة للحزب وللأطراف السياسية الأخرى.

وكان من الضروري تماماً العمل بجهد دائب وصبور وبروح جبهوية عالية للوصول الى صيغة دقيقة ومستقرة لموازين القوى الأساسية داخل الجبهة يحتل خلالها حزب البعث العربي الاشتراكي ويحق دوراً قيادياً متميزاً.

ومن ناحية أخرى اعتبر اعلان بيان الحادي عشر من آذار من جانب الحزب ، كحل مبدئي وسياسي صائب ومتكامل للمسألة الكردية عامل توحيد في داخل الحركة الوطنية في البلاد ، بعد ان كانت المسألة الكردية من أهم أسباب الخلاف والتناقض بينها. وبذلك أزيلت واحدة من أكبر المعوقات التي تعترض قيام الجبهة التقدمية في القطر العراقي.

إن العمل النظري والسياسي الكثيف ومتعدد الجوانب الذي قام به الحزب خلال المرحلة الماضية قد عبّد الطريق أمام قيام الجبهة الوطنية والقومية التقدمية وجعله ممكناً. ويمكن القول انه برغم ما تطلبته عملية اقامة الجبهة من وقت طويل ومن جهود مضنية فان الجبهة قد قامت في الوقت المناسب وبالصيغة المناسبة.

٥ ــ أما في مجال (التحولات الديمقراطية) فقد سعى حزب البعث العربي الاشتراكي على العمل الحثيث لتحقيق ما يلي :

آ ــ انجاز تشكيل المجلس الوطني بصيغته المرحلية.

ب ــ استكمال المستلزمات النظرية والسياسية والتشريعية لصيغة مجالس الشعب

وتوفير الكوادر المجربة لقيادتها ، واعطاؤها ما تستحقه من الاهتمام والرعاية كمؤسسة جديدة من مؤسسات المجتمع الثوري وكركيزة من ركائز بناء التجربة الديمقراطية الشعبية.

حـ ـ توسيع الفرص المتاحة للصحافة الحزبية والرسمية والمنظمات الشعبية لممارسة النقد ، وفي اجراء المناقشات والحوار حول القضايا الأساسية والقضايا التي تهم المواطنين ، والسعي دائماً وبكل الوسائل المتيسرة لتوسيع قاعدة المشاركة في مناقشة هذه القضايا وإيجاد الحلول لها.

د ـ وفي إطار المرحلة القادمة ككل ، وبعد انضاج الشروط الملائمة يجب السعي لاستكمال مقومات التجربة الديمقراطية الشعبية بوضع دستور دائم للبلاد ، واجراء انتخابات عامة للمجلس الوطني وتشكيل مجالس الشعب على أساس الانتخاب.

٦ ـ وفي ميدان الجيش والقوات المسلحة ، فقد واجه الحزب والثورة منذ اليوم الأول للثورة وبصورة ملحة جداً مهمتين أساسيتين :

الأولى : تعزيز قيادة الحزب للجيش جنباً الى جنب مع تطهيره من العناصر المشبوهة والمتآمرة والمغامرة ، ونشر مبادىء الحزب والثقافة القومية والاشتراكية العامة بين منتسبيه ، ووضع الأسس والضوابط المبدئية والعسكرية التي تمكنه من تأدية واجباته على أكمل وجه ، وتحصنه ضد الانحرافات والمنزلقات التي ارتكبتها باسمه ، في العهدين القاسمي والعارفي ، زمر « الارستقراطية العسكرية ».. وضمان التحامه الكامل بالحركة الشعبية التي يقودها الحزب ، وإسهامه الفعال والصحيح في البناء الثوري ، وفي تأدية المهمات الوطنية والقومية.

والثانية : هي القضاء على أوضاع التخلف والفوضى التي

نشأت في الجيش خلال العهود الماضية ، وتنظيمه على أُسس علمية حديثة وتطوير أساليب تدريبه وتعبئته وقدراته النضالية والفنية ، وزيادة تشكيلاته وإمداده بأسلحة ومعدات قوية وحديثة . . كي يتمكن ــ وعلى أفضل وجه ــ من تأدية واجباته المقدسة في الحفاظ على وحدة البلاد ودرء العدوان الخارجي ، والإسهام الفعال في المعركة القومية ضد العدو الامبريالي والصهيوني .

وخاطب التقرير السياسي الجماهير في الختام مذكراً بان « المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الاشتراكي يضع أمامكم هذا التقرير الذي يحتوي دراسة جادة وصادقة لتجربة المرحلة السابقة منذ انبثاق الثورة وحتى تاريخ انعقاده ، كما يحتوي برنامجاً ثورياً لمرحلة السنوات الخمس المقبلة حتى انعقاد المؤتمر القطري التاسع » . [٢٦]

المؤتمر القطري التاسع :

بين المؤتمر القطري الثامن ـ كانون الثاني ١٩٧٤ ، والمؤتمر القطري التاسع ـ حزيران ١٩٨٢ ، قطع حزب البعث العربي الاشتراكي وثورته في القطر العراقي مرحلة طويلة وحافلة بالأحداث الجسام والمنجزات الكبيرة ، وإذا كانت المرحلة التي سبقت المؤتمر القطري الثامن قد تميزت بالدرجة الأولى بكونها تثبيت السلطة الثورية ، والحفاظ على الوحدة الوطنية وخوض معارك الصمود بوجه مؤامرات الاستعمار والرجعية ، وشق الطريق بصعوبة لتحديد هوية الحزب والثورة بعد فترة طويلة من النكسات ، والانقسامات ، والانحرافات ، والتشويهات ، فان المرحلة التي تلت المؤتمر القطري الثامن ، وإن حملت بعض ملامح الفترة السابقة ، وخاضت بعض معاركها ، قد تميزت بالدرجة الأولى بكونها مرحلة استقرار الثورة ، واستمرارها ، وازدهار عطائها في كافة الميادين.

وقد تناول التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع نفس البنود التي تطرق اليها التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن مع اضافة فصلين مهمين هما « قادسية صدام » و « المسألة الدينية » وسبب ذلك عائد الى ان المؤتمر القطري التاسع أدرك فترة اندلاع الحرب العراقية الايرانية في ١٩٨٠/٩/٤ .

وإتماماً للفائدة ، واستكمالاً للصورة التي نرسمها عن نضال الشعب العراقي في مراحل مهمة من تاريخه نلقي بعض الضوء على ما تحقق في الفترة التي تناولها التقرير الجديد.

المهمات الوطنية والقومية :

يشير التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع الى ان الثورة قدمت في السنوات ٧٤ ـ ١٩٨٢ العديد من المنجزات على الصعيدين الوطني والقومي وكما يلي :

١ ـ الاستقلال السياسي : لقد أغتنت تجربة الحزب خلال المرحلة موضوع البحث في معركة الاستقلال الوطني ، واكتشف بعمق ان المسألة لا تقف عند حدود الاستقلال السياسي الذي تم تحقيقه بصورة حاسمة ، وإنما تتصل اتصالاً وثيقاً بصيانة الارادة الوطنية الحرة وتأمين كل مستلزماتها السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وغيرها من المستلزمات وبخاصة في ظروف التصدي للمهمات الوطنية والقومية الكبيرة والمعقدة. ومن أبرز المستلزمات الأساسية لذلك :

أولاً : بناء علاقات دولية متوازنة مع مختلف القوى في العالم ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمصالح الوطنية والقومية. ان عدم تحقيق هذا الانجاز يوقع القطر المعني ، ليس بالارادة وإنما بالنتيجة ، في فلك إحدى القوى الكبرى ، أو في فلك مجموعة معينة من الدول ، وقد أكد الرفيق صدام حسين في أحاديثه الى السفراء العراقيين في عام ١٩٧٥ والتي نشرت في كتاب (نضالنا والسياسة الدولية) هذه المسألة ووضع الحلول السليمة لها ، وأكد ضرورة تنويع علاقات العراق الخارجية ، وبخاصة مع مراكز القوى في العالم ، والمراكز الناشئة منها لتعزيز الارادة الوطنية الحرة من ناحية ، وتوفير فرص أفضل لتأمين الحاجات الوطنية والقومية في شتى الميادين من ناحية أخرى.

ثانياً : مسألة تنويع مصادر التسليح. ان هذه المسألة المهمة في تعزيز الاستقلال السياسي والارداة الوطنية الحرة لكل الدول تحتل بالنسبة لظروف العراق الخاصة ولطبيعة مهماته القومية مرتبة مهمة جداً ، وحساسة جداً. [٢٧]

٢ ـ الاستقلال الاقتصادي : طبقاً لتوجيهات المؤتمر القطري الثامن تم انجاز المشاريع النفطية ذات الطبيعة الستراتيجية مثل (الخط الستراتيجي) و (ميناء البكر) والعميق وأنبوب النفط المار عبر تركيا وغيرها من المشاريع الكبيرة التي تسهم في توطيد أركان الاستقلال الاقتصادي. [٢٨]

أما في ميدان التجارة الخارجية وعلاقتها بمسائل الاستقلال الاقتصادي

التي تعرض لها التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن ، فقد اتبعت الثورة سياسة متوازنة ، فأقامت العلاقات التجارية مع الدول الصديقة ومع الدول التي نحقق نفعاً من التعامل معها ، وتم ربط صلاتنا التجارية بمواقف هذه الدول من قضيتنا الوطنية والقومية ومن مسألة تسويق النفط ، وبذلك تجنب العراق أية محاولة لربط اقتصادياته بأية كتلة أو محور أجنبي . ان العراق يتصرف في الميدان التجاري بكل حرية مما يجعل استقلاله الاقتصادي غير منقوص .

كما انتهج العراق نفس المبادىء في تنفيذ خطة التنمية الشاملة . ان تنفيذ خطة شاملة وطموحة يتطلب الاستعانة بالشركات والمؤسسات والخبرة الأجنبية . . كما برزت الحاجة ايضاً الى استخدام الأيدي العاملة الأجنبية . وقد حرصت قيادة الحزب والثورة على تنويع التعامل مع الدول في هذا الميدان لكي لا ترتبط خطة التنمية الوطنية بأية جهة أجنبية محددة مما قد يقيد ارادتنا الوطنية الحرة ويمس استقلالنا ، ومع الاهتمام بالنوعية في تنفيذ المشاريع ، وعامل سرعة الانجاز التي هي ضرورية جداً ، والأسعار ، فان القيادة غالباً ما كانت توزع الفرص على الشركات والمؤسسات والدول الأجنبية وفق منظور سياسي يحمي الاستقلال الوطني والارادة الوطنية من أي شكل من أشكال التلاعب أو التأثير ، ويربط تلك الفرص بمواقف الدول المستفيدة من قضايانا الوطنية والقومية .[٢٩]

٣ ــ المسألة الكردية : بعد شهرين من انتهاء أعمال المؤتمر القطري الثامن ، وفي الموعد المحدد لتطبيق الحكم الذاتي وفقاً لبيان آذار ١٩٧٠ ، أعلن مجلس قيادة الثورة في ١١ آذار ١٩٧٤ قانون الحكم الذاتي لمنطقة كردستان وأنشئت بموجبه هيئات الحكم الذاتي ــ المجلس التنفيذي والمجلس التشريعي ــ التي تضمن للشعب الكردي ممارسة حقوقه المشروعة في إطار الوحدة الوطنية .

غير ان زمرة الملا مصطفى البارزاني لم تتعاون مع قيادة الثورة ، واتخذت مواقف معادية للوحدة الوطنية ، وللثورة ، وشرعت بالتمرد المكشوف على نطاق واسع جداً .

إن المنطلق الأول في النهج الذي اتبعته الثورة في المعركة ضد التمرد هو الموازنة الدقيقة والواعية بين ضرورة النضال بكل الوسائل المشروعة ضد التمرد وبين الالتزام المبدئي الكامل بقانون الحكم الذاتي ، وتأمين الحقوق المشروعة لشعبنا الكردي ، تماماً ، كما أكد ذلك المؤتمر القطري الثامن.

إن لقيادة التمرد خبرة طويلة في مواجهة القوات المسلحة العراقية وكان من بين تقديراتها الخاطئة انها يمكن ان تخوض حرباً طويلة الأمد ضد قوات مسلحة تقليدية تتبع وسائل عسكرية تقليدية ، وبذلك تحقق الغرض من التمرد وهو الاستنزاف المرتبط بالتآمر على الثورة والذي يستهدف إسقاطها أو اخضاعها للمخططات والتأثيرات الاستعمارية والأجنبية. لقد وعت القيادة هذه الحقيقة. وضعت

خطط مستحدثة استندت اليها الاتجاهات الأساسية للعمليات العسكرية الناجحة واتبعت في القتال أساليب جديدة فاجأت المتمردين وأربكت خططهم وأوقعت بهم خسائر كبيرة ، وقد بذل جهد كبير في هذا المضمار ، إذ لم يكن سهلاً تغيير أساليب القتال في الجيش بعد سنوات طويلة من اعتمادها.

وبالقضاء على التمرد الرجعي أمكن تطبيق مقومات الحل الديمقراطي للمسألة الكردية ، فقامت مؤسسات الحكم الذاتي وترسخت ، وساد الاستقرار والاطمئنان في شمال الوطن ، وبدأت عملية التنمية تنتشر في كافة أرجاء المنطقة بعد ان حرمت منها سنوات طويلة وتخلفت عن ركب التطور في بقية مناطق العراق.

وقد رصدت الثورة مبالغ كبيرة لتعمير منطقة الحكم الذاتي وتطويرها فأنشئت الصناعات وشقت الطرق ، وبنت المدارس ، والمستوصفات والمستشفيات ، وتطورت المرافق السياحية في المنطقة وازدهرت حركة السياحة فيها.[٣٠]

٤ ــ الجبهة الوطنية والقومية التقدمية : تطورت العلاقات بعد الثورة بين حزب البعث العربي الاشتراكي والأحزاب الأخرى حتى تمت اقامة الجبهة

في تموز ١٩٧٣ واعلان ميثاقها وتشكيل هيأتها في آب ١٩٧٣ .

واعتبر الحزب قيام الجبهة انجازاً وطنياً مهماً ، وخطوة بارزة على طريق توحيد قوى الشعب من أجل انجاز المهمات الوطنية والقومية انجازاً عميقاً وشاملاً ، واعتبرها نموذجاً يمكن أن يشع بآثا ره الايجابية على قوى حركة الثورة العربية التي عانت سنوات طويلة من شرور التمزق والتناقض .

وكان من أبرز النقاط الجوهرية التي تم الاتفاق عليها عند اقامة الجبهة مع الحزب الشيوعي العراقي منع أي شكل من أشكال التنظيم والنشاط السياسي في داخل الجيش والقوات المسلحة لأي حزب أو حركة سياسية عدا حزب البعث العربي الاشتراكي . . وقبل قيام الجبهة في تموز ١٩٧٣ كان قد صدر في ١٩٧١/١١/١٠ قانون يوضح هذه المسألة بدون أي لبس ، وكان القانون سارياً ومعمولاً به منذ ذلك الوقت .[٣١]

غير ان الحزب الشيوعي العراقي حاول بكل الوسائل الالتفاف على هذا الاتفاق بعد قيام الجبهة واستمر في النشاط التنظيمي داخل القوات المسلحة ، وعندما كان هذا النشاط يكتشف من قبل الأجهزة المعنية كانت قيادة الحزب الشيوعي تحاول تقديم التبريرات لانقاذ القائمين به من العقاب أو محاولة تخفيفه . ودفعت بعض قادة البلدان الشيوعية الى إرسال رسائل الى القيادة تطلب منها عدم تنفيذ حكم الاعدام بهؤلاء .[٣٢]

وكان رد قيادة الحزب واضحاً وصارماً ، فقد تم إعداد رسائل جوابية لقادة البلدان الذين أرسلوا الرسائل تؤكد بكل وضوح رفض أي شكل من أشكال التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد ، وتؤكد ان الثورة عازمة على تطبيق القوانين على كل مَن يخالفها .

إن مسيرة الجبهة الوطنية التي قامت قواعدها على أساس الاخلاص للوطن وللثورة لم تتوقف بخروج الحزب الشيوعي منها ، بل انها سارت في طريقها الطبيعي

وهي تؤدي واجبها في ضم كافة الوطنيين المخلصين في إطار من العمل الموحد لخدمة الوطن وتعميق مسيرة الثورة.(٣٣)

٥ ـ التحولات الديمقراطية: جرى العمل على تنفيذ توصيات المؤتمر القطري الثامن بإكمال انجاز المجلس الوطني وانتقاله من طريق التعيين الى الانتخابات العامة وتوسيع الفرص المتاحة للصحافة الحزبية والرسمية والمنظمات الشعبية لممارسة النقد، وفي اجراء المناقشات والحوار حول القضايا الأساسية والقضايا التي تهم المواطنين والسعي دائماً بكل الوسائل المتيسرة لتوسيع قاعدة المشاركة في مناقشة هذه القضايا وإيجاد الحلول لها.(٣٤)

النصر وآفاق السلام:

في يوم الرابع من أيلول ١٩٨٠ قصفت المدفعية الايرانية الثقيلة، وبعيدة المدى مدن خانقين ومندلي وزرباطية ومنطقة نفط خانه وكان هذا العدوان معززاً بحشود عسكرية واسعة على الحدود العراقية وداخل الأراضي العراقية (زين القوس وسيف سعد وهيلة وخضر).

لقد كان هذا التصرف يعني من الناحية الواقعية اعلان الحرب.

وكان السكوت عليه يعني القبول بنقل ساحة الحرب الى الأرض العراقية.

ازاء هذا التطور، قررت القيادة ضرب المدن الايرانية الحدودية في المنطقة بالمدفعية معاملة بالمثل، وإبعاد المدفعية الايرانية عن المواقع التي يمكن أن تصيب منها المدن الحدودية العراقية.

وازاء هذا التطور اجتمعت القيادة في ٢١ أيلول ١٩٨٠ وكان تقييمها الدقيق للواقع العسكري هو ان النظام الايراني يعد لهجوم شامل بري وجوي على أراضينا وعلى المدن والمنشآت الحيوية العراقية وعلى قواعدنا الجوية لذلك وتحوطاً من هذه الضربة العادية اتخذت القيادة قراراً تاريخياً بالهجوم الشامل على المواقع العسكرية

الايـرانية واحتـلال مناطق محـددة من إيران بمـا يضمن تحقيق الأهداف التـالية :

١ ــ إبعاد ساحة الاشتباكات العسكرية عن الأراضي العراقية ، وتأمـين الأراضي والمدن العراقية من العدوان العسكري الايراني ، وبخاصة القصف المدفعي .

٢ ــ إشعار النظام الايراني بقوة العراق وقدرته على ردع العدوان وتبديـد أوهامه في السيطرة على العراق ، ودحض التقديرات المشبوهة العربية والدولية التي كانت تغريه بالعدوان .

٣ ــ ارغام النظام الايراني على التخلي عن أطماعـه التوسعيـة في العراق وفي المنطقة واحترام سيادة العراق على أرضه ومياهه وعدم التـدخل في الشؤون الـداخلية للعـراق وبلدان المنطقـة واخماد حـالة الحـرب والوصول الى اتفاق يضمن هذه الأهداف .

وفي الساعة الثانية عشرة ظهراً من يوم الثاني والعشـرين من أيلول ١٩٨٠ قامت طائرات القوة الجـوية العـراقية بـالاغارة عـلى القواعـد والمطارات الحـربية الايـرانية ، واجتـازت القوات المسلحـة العراقيـة الأراضي الايرانية في محـورين أساسيين :

١ ــ محور القاطع الأوسط باتجاه مدينة قصر شيرين ، وسربيل زهاب وكيلان غرب ، وسومار ومهران .

٢ ــ ومحور القاطع الجنوبي باتجاه المحمرة والأحواز ودزفول والشوش .

وخلال ستة أيام من القتال الباسل ، والحركة السريعة الجريئة وصلت القوات المسلحة العراقية الى جميع الأهداف التي رسمتها لها القيادة .[٣٥]

إن معركة قادسية صدام ، تعتبر بحق معركة متكاملة ، فهي معركة سياسية ، وعسكرية ، وفكرية ، ونفسية ، واقتصادية ، واعلامية ، ودبلوماسية ، فيها كل عناصر الحرب.[٣٦]

وفي ١٩٨٨/٨/٨ احتفل العراقيون بالانتصار الكبير الذي تحقق والذي توج بإيقاف اطلاق النار بين العراق وإيران.

وكان أول نشاط يقوم به الرئيس صدام حسين يوم ١٩٨٨/٨/٩ هو زيارة سكنه القديم في حي دراغ بالمنصور ابان النضال السري الذي حول الى متحف ضم للوازم التي استخدمها في ذلك العهد ومن بينها طابعتان ورونيو استخدمها في طبع وتوزيع منشورات الحزب وعدد من الصور الفوتوغرافية التي التقطت عام ١٩٦٣ وخنجر وفاس استخدمها كسلاح في ذلك العهد.[٣٧]

إن هذا يعني ان النصر الذي تحقق في المعركة ، ما كان إلا « ثمرة ذلك التاريخ » الذي عبر من خلاله الحزب عن روح ثورية وعن وعي ثوري ملتحم بالجماهير ومعبر عن شخصية العراق القومية والحضارية.

أمام هذه التجربة كانت كل المؤامرات التي حاولت أن تتصدى للمسيرة وكل النكسات تتحول الى دروس ثمينة.

إن كل ذلك ، يجعلنا نقول بلا تردد اننا نحب تاريخنا لأن سلبياته هي دروس مضافة ، وإيجابياته رصيد للمستقبل.

أما الجيش العراقي الذي كان أداة فاعلة لتحقيق النصر ، فقد تكاملت فيه تلك اللبنة الأولى للجيش (العقائدي) المتمثلة في « دبابات رمضان »[٣٨] التي سارت

خلفها الطلائع المدنية جنباً الى جنب مع الطلائع العسكرية والتي أنجزت ثورة ١٧ ـ ٣٠ تموز في « دبابات تموز » ليلة اقتحمت القصر الجمهوري بالثوار مدنيين وعسكريين ، وكانت هي « الدبابات » والأسلحة الساندة الأخرى التي حررت الفاو مدينة الفداء وبوابة النصر العظيم يوم ١٧/٤/١٩٨٨ في عمليات « رمضان مبارك » التي كانت كلمة السر لثورة ١٤ رمضان (٨ شباط) ١٩٦٣ ، وكانت « صواريخ تموز » طفرة نوعية متميزة أوصلت العراق الى مصاف الدول السائرة في طريق العلم وموكب الحضارة .

هوامش الفصل الثاني عشر

(١) شفيق عبدالرزاق السامرائي ، صدام حسين ـ نضاله وفكره السياسي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧.
(٢) مقابلة شخصية مع الدكتور الياس فرح بتاريخ ٦/٤/١٩٨٩ وبتاريخ ١٥/١٢/١٩٨٨.
(٣) المصدر السابق.
(٤) التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣.
(٥) المصدر السابق ، ص ٢٣.
(٦) المصدر السابق ، ص ٢٦
(٧) المصدر السابق ، ص ٢٧.
(٨) التقرير المركزي للمؤتمر القومي التاسع ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣١.
(٩) المصدر السابق ، ص ٣١.
(١٠) من بين أبرز تلك المؤامرات ماحدث في عام ١٩٧٠ وحزيران ١٩٧٣ وتموز ١٩٧٩ كذلك أنظر محاولات اغتيال الرئيس صدام حسين ، برزان التكريتي.
(١١) التقرير المركزي ، مصدر سبق ذكره ص ٣٢.
(١٢) التقرير المركزي ، مصدر سبق ذكره ص ١٦٠.
(١٣) المصدر السابق ، ص ٢٩.
(١٤) المصدر السابق ، ص ٢٩.
(١٥) د. الياس فرح ، القومية العربية والوحدة العربية ، بغداد ١٩٨٨ ، ص ١٩٦.
(١٦) التقرير المركزي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨.
(١٧) علم النفس العسكري ، كامل علوان الزبيدي ، جامعة بغداد ١٩٨٩ ، ص ١٧٣.
(١٨) المصدر السابق ، ص ١٣٥.
(١٩) التقرير المركزي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦.
(٢٠) المصدر السابق ، ص ١٨.
(٢١) مقابلة شخصية مع الدكتور الياس فرح بتاريخ ٦/٤/١٩٨٩.
(٢٢) التقرير السياسي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤.
(٢٣) المصدر السابق ، ص ٧.
(٢٤) المصدر السابق ، ص ٧.
(٢٥) المصدر السابق ، ص ٣٤.

(٢٦) المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .

(٢٧) التقرير المركزي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧ .

(٢٨) المصدر السابق ، ص ٥٥ .

(٢٩) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٣٠) المصدر السابق ، ص ٦٢ .

(٣١) المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٣٢) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(٣٣) المصدر السابق ، ص ٧٤ .

(٣٤) المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٣٥) المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

(٣٦) المصدر السابق ، ص ٢٠٠ بتصرف ولمزيد من التفاصيل راجع فصل (قادسية صدام) من التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع .

(٣٧) جريدة الثورة ، العدد ٦٦٤٩ في ١٠/٨/١٩٨٨ ، ص ٢ .

(٣٨) دبابات رمضان ــ هو كتاب الباحث الذي صدر عن دار الشؤون الثقافية عام ١٩٨٨ ، ويعتبر هذا البحث مكملاً لـه ومن المفيد الاطلاع عليه لاستكمال الصورة التي نرسمها عن جزء من تاريخ العراق السياسي .

المراجع

١ ـ احمد عزت راجح . اصول علم النفس . طـ ٨ ، الاسكندرية ، ١٩٧٠ .
٢ ـ احمد فوزي . ثورة ١٤ رمضان • طـ ١ . مصر : دار الكتاب العربي ، ١٩٦٣ .
٣ ـ اسامة الغزالي حرب . سلسلة . الاحزاب السياسية في العالم الثالث ، ١٩٨٧ (سلسلة عالم المعرفة) .
٤ ـ امير اسكندر . صدام حسين مناضلاً ومفكراً وانساناً ، ١٩٨٠ .
٥ ـ الياس فرح . تطور الايديولوجية العربية الثورية (الفكر القومي) . طـ ٢ . بيروت : دار الطليعة .
٦ ـ الياس فرح . قراءة منهجية في كتاب في سبيل البعث جـ ١ طـ ١ ، ١٩٨١ .
٧ ـ الياس فرح . القومية العربية والوحدة العربية . بغداد ، ١٩٨٨ .
٨ ـ الياس فرح . معركة العرب القومية على الحدود الشرقية بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
٩ ـ الياس فرح . الوطن العربية بعد الحرب العالمية الثانية طـ ٣ . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ .
١٠ ـ البراك ، فاضل . دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني . طـ ٢ ، ١٩٨٧ .
١١ ـ ثورة ١٤ رمضان المباركة . بغداد : منشورات شركة الرافدين الفنية .
١٢ ـ الچادرچي ، كامل (مذكرات كامل الچادرچي) . طـ ١ . بيروت : دار الطليعة .
١٣ ـ الجبوري ، صالح حسين . ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق . رسالة

ماجستير . بغداد ، ١٩٨٦ .
١٤ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي . الثورة العربية (جريدة الحزب) ع (١١ ـ ١٢) ، ١٩٧٢ .
١٥ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي . التقرير المركزي للمؤتمر القطري التاسع . حزيران ، ١٩٨٢ . بغداد : دار الحرية للطباعة ١٩٨٣ .
١٦ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي . القيادة القطرية . التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن كانون الثاني ١٩٧٤ . ط ـ ٢ بغداد : دار الثورة ، ١٩٧٤ .
١٧ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي . مكتب الثقافة والاعلام . لمحات من نضال البعث ١٩٤٧ ـ ١٩٧٧ . ط ٤ . بغداد : ١٩٨٦ .
١٨ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي . القيادة القومية . المنهاج الثقافي المركزي (المؤيدين) . ط ـ ٢ . بغداد : دار الحرية ، ١٩٨٨ .
١٩ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي . نضال البعث . ج ٧ . بيروت : دار الطليعة .
٢٠ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي . نضال البعث . ج ٩ . بيروت دار الطليعة ، ١٩٧١ .
٢١ ـ حزب البعث العربي الاشتراكي . نضال البعث . الجزء العاشر . بيروت دار الطليعة ، ١٩٧١ .
٢٢ ـ الحسني ، عبد الرزاق . (تاريخ الوزارات العراقية) عشرة اجزاء .
٢٣ ـ خليل ابراهيم حسن . الصراع بين عبد الكريم قاسم والشيوعيين وعبد الوهاب الشواف وضباط الموصل الوحدويين . ج ٤ .
٢٤ ـ دائرة التوجية السياسي . (ثورة ٨ شباط الأبعاد والمعطيات) نشرة خاصة .
٢٥ ـ الذاكرة التاريخية لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ (وقائع الندوة التي نشرت على حلقات في أفاق عربية) . بغداد دار الشؤون الثقافية ١٩٨٧ .

٢٦ ـ الركابي ، فؤاد . الحل الاوحد . القاهرة : الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ .
٢٧ ـ الزبيدي ، كامل علوان . علم النفس العسكري . بغداد جامعة بغداد ، ١٩٨٩ .
٢٨ ـ الزبيدي ، ليث عبد الحسن . ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ العراق ، ١٩٨١ .
٢٩ ـ الزبيدي ، محمد حسن . ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق بغداد : دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٣ .
٣٠ ـ السامرائي ، شفيق عبد الرزاق . حزب البعث العربي الاشتراكي ودوره في السياسية العربية منذ نشأته حتى الانفصال بغداد : دار الرشيد للنشر ، ج ١ .
٣١ ـ السامرائي شفيق عبد الرزاق . صدام حسين نضاله وفكره السياسي . باريس : مطابع سوفنك ، ١٩٨٢ .
٣٢ ـ سمير عبد الكريم . اضواء على الحركة الشيوعية في الغراق . جـ ٣ بيروت : دار المرصاد .
٣٣ ـ السوداني ، صادق حسن . لمحات موجزة من تاريخ نضال الشعب العراقي . الموسوعة الصغيرة ، ١٩٧٩ .
٣٤ ـ الشابي . محمد سعود . لاتراجع بل خطوة الى الامام . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
٣٥ ـ صالح مهدي عماش ـ اوراق شخصية مطبوعة على الآلة الكاتبة . من وثائق المكتب العسكري لحزب البعث العربي الاشتراكي .
٣٦ ـ صبحي عبد الحميد . اسرار ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق . بغداد : مطبعة الاديب البغدادية (د ت) .
٣٧ ـ صدام حسين . حديث يوم ٢٩ آيار ١٩٨٨ .

٣٨ ـ صدام حسين . خطاب في ذكرى ٨ شباط (جريدة الثورة) ٩ شباط ١٩٨٠ .
٣٩ ـ صدام حسين ، المختارات . الاجزاء من ١ ـ ١٠ بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٩ .
٤٠ ـ صدام حسين . نظرة في خصائص القيادة الناجحة . بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٢ .
٤١ ـ عادل حموده . عبد الناصر اسرار المرض والاغتيال . صحيفة الانباء الكويتية . العدد ٤٥٩٤ في ١٥/١٠/١٩٨٨ .
٤٢ ـ عبد المناف شكر جاسم . العلاقات العراقية السوفيتية . طـ ٢ .
٤٣ ـ العراق . وزارة الارشاد . الكتاب الاسود . بغداد ، ١٩٦٣ .
٤٤ ـ العراق . وزارة الدفاع . محاكمات المحكمة العسكرية العليا الخاصة ، ٢٢ ج . بغداد : مطبعة الحكومة ، ١٩٦٠ .
٤٥ ـ علي حسن مجيد . التراث النضالي لحزب البعث العربي الاشتراكي . بغداد : دار الرشيد للنشر ، ١٩٨٠ .
٤٦ ـ علي خيون . دبابات رمضان . بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٨ .
٤٧ ـ علي منير . مذكرات عبد السلام عارف . طـ ١ . بغداد : المؤسسة القومية للتأليف والنشر ، ١٩٦٧ .
٤٨ ـ العيسمي ، شبلي . تاريخ حزب البعث العربي الاشتراكي . المرحلة الصعبة ٥٨ ـ ١٩٦٨ . جـ ٣ . بغداد : دار الشؤون الثقافية ١٩٨٧ .
٤٩ ـ فؤاد مطر . صدام حسين الرجل والقضية والمستقبل طـ ١ ، ١٩٨٠ .
٥٠ ـ مجيد خدوري . العراق الجمهوري . طـ ١ . الدار المتحدة للنشر ، ١٩٧٤ .
٥١ ـ محمد حسنين هيكل . سنوات الغليان . جريدة (القبس) العدد ٥٩٣٧ الاثنين ٢١/١١/١٩٨٨ .

٥٢ ـ مذكرات الطبقجلي . طـ ٢ ، بغداد : مطبعة الزمان ، ١٩٨٥ .
٥٣ ـ مشتاق طالب ، أوراق أيامي ج ١ ، بيروت ، دار الطليعة .
٥٤ ـ ميشيل عفلق . في سبيل البعث . ج ٢ . بغداد : مكتب الثقافة والاعلام ، ١٩٨٦
٥٥ ـ ميشيل عفلق . النضال ضد تشويه حركة الثورة العربية طـ ١ . بيروت : دار الطليعة ، ١٩٧٥ .
٥٦ ـ نازارث . التفكير السديد للقيادة العسكرية المؤثرة ، العميد جي نازارث ، ترجمة مديرية التطوير القتالي . بغداد ، ١٩٨٧ .
٥٧ ـ هادي حسن عليوي . دور حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق ، طـ ٢ . بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٦ .
٥٨ ـ وزارة الارشاد . خطب الزعيم . بغداد : مطبعة الحكومة ، ١٩٦٠ .
٥٩ ـ وزارة الارشاد . دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠ . بغداد : مطبعة التمدن ، ١٩٦٠ .
٦٠ ـ وزارة الدفاع . الاضبارة الشخصية . عبد الكريم قاسم .
٦١ ـ وزارة الدفاع . الاضبارة الشخصية عبد السلام عارف .
٦٢ ـ وزارة الدفاع . الاضبارة الشخصية عدنان خير الله .
٦٣ ـ وزار الدفاع . اضابير وملفات وزارة الدفاع .
٦٤ ـ وكالة الانباء العراقية . الراصد ليوم ٢/١/١٩٨٩ .
٦٥ ـ وميض جمال عمر نظمي و (آخرون) . . التطور السياسي المعاصر في العراق . بغداد : وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .
٦٦ ـ يونس بحري . ثورة ١٤ رمضان المبارك . طـ ١ . بيروت ، ١٩٦٣ .

الصحف :

٦٧ ـ اتحاد الشعب (جريدة) ع ١٥٨ . ٣١ تموز ١٩٥٩ .

٦٨ ـ الانباء الكويتية (جريدة) ع ٤٥٩٤ . ١٥/١٠/١٩٨٨ .

٦٩ ـ الثورة (جريدة) ع ٥٧٤١ . ٨ شباط ١٩٨٦ .

٧٠ ـ الثورة (جريدة) ع ٦٦٤٩. ١٠ آب ١٩٨٨ .

٧١ ـ الجماهير (جريدة) ٢٠ شباط ١٩٦٣ .

٧٢ ـ الجماهير (جريدة) ع ٤٥ . ا نيسان ١٩٦٣ .

٧٣ ـ الجماهير (جريدة) ٣ نيسان ١٩٦٣ .

٧٤ ـ الجماهير (جريدة) ع ٥٠ . ٧ نيسان ١٩٦٣ .

٧٥ ـ الجماهير (جريدة) ١٤ نيسان ١٩٦٣ .

٧٦ ـ الجماهير (جريدة) ع ٦١ . ١٨ نيسان ١٩٦٣ .

٧٧ ـ الجماهير (جريدة) ٢٣ نيسان ١٩٦٣ .

٧٨ ـ الجماهير (جريدة) ع ١٠٨ . ١٠ حزيران ١٩٦٣ .

٧٩ ـ الجماهير (جريدة) ع ١٠٩ ـ ١١ حزيران ١٩٦٣ .

٨٠ ـ الجماهير (جريدة) ع ١٣٧ ـ ٩ تموز ١٩٦٣ .

٨١ ـ الجماهير (جريدة) ع ١٤٣ ـ ١٥ تموز ١٩٦٣ .

٨٢ ـ الجمهورية (جريدة) ٨ شباط ١٩٧٢ .

٨٣ ـ الجمهورية (جريدة) ملحق ٨ شباط ١٩٧٢ .

٨٤ ـ القبس الكويتية (جريدة) ع ٥٩٣٧ ـ ٢١/١١/١٩٨٨ .

٨٥ ـ المصادر غير المتداولة

ـ الاوراق الشخصية ـ عبد الكريم قاسم من وثائق وزارة الدفاع العراقية .

ـ الاوراق الشخصية ـ عبد السلام عارف من وثائق وزارة الدفاع العراقية .
ـ الاوراق الشخصية ـ عدنان خير الله من وثائق وزارة الدفاع العراقية .
ـ الاوراق الشخصية ـ صالح مهدي عماش من وثائق المكتب العسكري لحزب البعث العربي الاشتراكي .

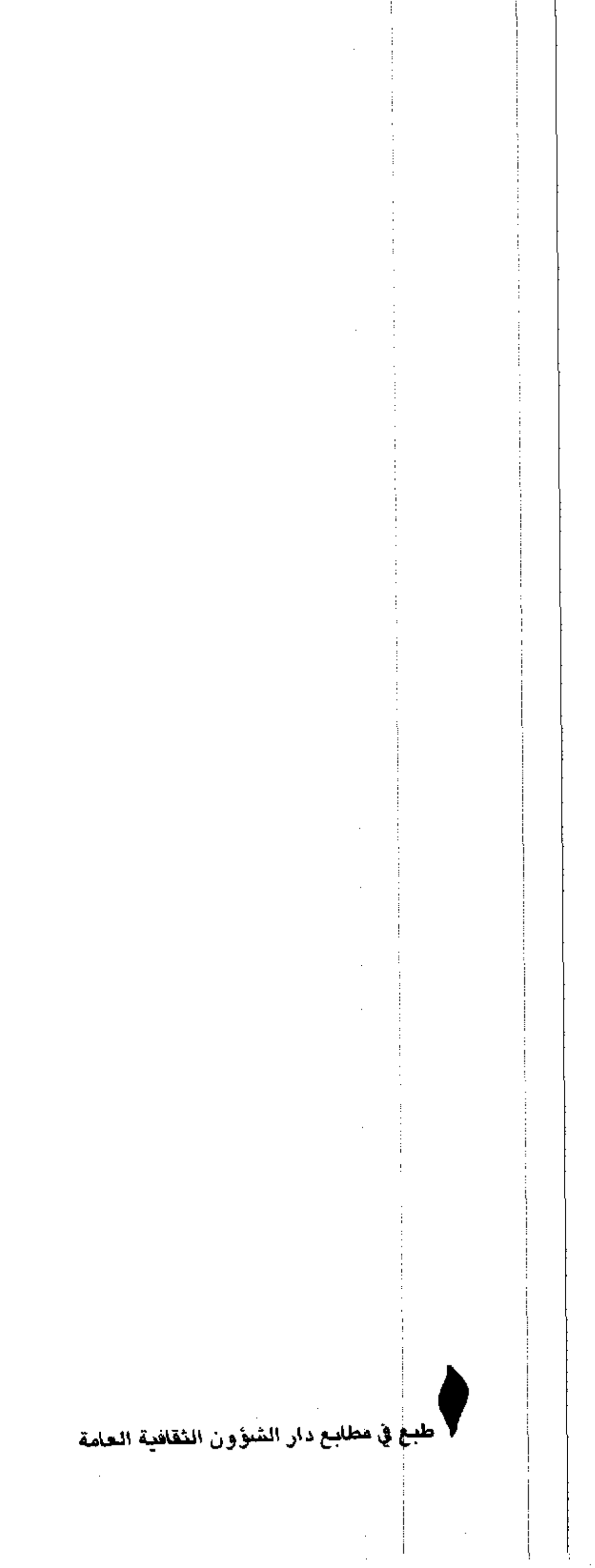
الفهرست

المؤلف في سطور :

* بكالوريوس علوم سياسية من جامعة بغداد.
* عضو اتحاد الأدباء والكتّاب العراقيين.
* عضو عامل في نقابة الصحفيين العراقيين.
* صدرت له المؤلفات التالية :

١ ــ قراءة في أوراق الفجر	(قصص) ١٩٧٨ ـ بغداد.
٢ ــ رحلة الليل الأخيرة	(قصص) ١٩٨٠ ـ بغداد. طبعة ثانية ١٩٨٥ ـ بغداد.
٣ ــ الحداد لا يليق بالشهداء	(من أدب الحرب) ١٩٨١ ـ بغداد.
٤ ــ صخب البحر	(من أدب الحرب) ١٩٨٢ ـ بغداد.
٥ ــ زائر آخر	(من أدب الحرب) ١٩٨٣ ـ بغداد.
٦ ــ حدود النار	(من أدب الحرب) ١٩٨٤ ـ بغداد.
٧ ــ عيون الظلام	(من أدب الحرب) ١٩٨٥ ـ بغداد.
٨ ــ أيام في الذاكرة	(من أدب الحرب) ١٩٨٧ ـ بغداد.
٩ ــ العزف في مكان صاخب	(رواية) ١٩٨٨ ـ بغداد.
١٠ــ الأعماق	(مختارات قصصية) ١٩٨٨ ـ بغداد.
١١ــ دبابات رمضان	(بحث سياسي) ١٩٨٨ ـ بغداد. طبعة ثانية ١٩٨٩ بغداد.
١٢ــ عيون الحب	(قصص) ١٩٨٩ ـ القاهرة.





طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة